

# المجلة العربية للمحركات اللغوية

مجلة علمية محكمة نصف سنوية، يصدرها معهد الخرطوم الدولي للغة العربية

العدد (47) ربيع الثاني، 1442هـ / ديسمبر 2020م

اقرأ في هذا العدد:

6	كلمة التحرير: أ.د. علي عبدالله النعيم رئيس التحرير، مدير معهد الخرطوم الدولي للغة العربية
9	التدريب على الكتابة في مرحلة ما قبل الكتابة د. يوسف الخليفة أبوبكر - أرشيف المجلة - العدد الثاني فبراير 1983م
27	تجليات النظم والتأليف في شعر أبي الطيب المتنبي - دراسة بلاغية دلالية (الدالية نموذجاً) - د. علي عبد الله إبراهيم أحمد
71	رَحَابَةُ الْعُدُولِ عَنِ الْأَصْلِ عِنْدَ مُعَرَّبِي الْقُرْآنِ - (حذف الخبر نموذجاً) د. الوليد حسن علي مسلم
103	التقنيات الحجاجية في وصف أمّ معبد الخُزاعية د. شاذلية سيد محمد السيد محمد
143	جماليات التحوّل الصّرفي في الربع الأول من القرآن الكريم - "دراسة تحليلية" د. ازدهار عبد الرحمن السيد إبراهيم
179	ظاهرة ضعف التلاميذ في التعبير الشفهي والتحريري وإمكانية علاجها باستخدام الوسائط التعليمية السمعية د. السر الشيخ أحمد المختار



المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم



معهد الخرطوم الدولي للغة العربية

ردمدم 1858 - 6031 - ISSN - 1858 6031

## المجلة العربية للدراسات اللغوية

مجلة علمية محكمة نصف سنوية، تعنى بالدراسات والبحوث اللغوية المتخصصة

يصدرها معهد الخرطوم الدولي للغة العربية

العدد (47) ربيع الثاني، 1442هـ / ديسمبر 2020م

رئيس التحرير:

أ. د. علي عبدالله النعيم

مدير معهد الخرطوم الدولي للغة العربية

مدير التحرير:

أ. د. حمد النيل محمد الحسن

سكرتارية التحرير:

أ. أحمد محمد عزو

أ. فرح أبو القاسم محجوب

التدقيق اللغوي:

أ. تاج السر بشير صالح

الإخراج الفني والطباعة الأوفست:

الشيخ الأمير محمد

## هيئة التحرير العلمية:

أ. د. عبدالرحيم علي محمد إبراهيم

أ. د. حمد النيل محمد الحسن إبراهيم

أ. د. محمد زايد بركة أحمد

أ. تاج السر بشير صالح

البحوث والدراسات المنشورة لا تعبر بالضرورة  
عن آراء يتبناها معهد الخرطوم الدولي للغة العربية

توجه المراسلات والاستفسارات إلى:

مدير تحرير المجلة العربية للدراسات اللغوية

ص ب: 13257 الرمز البريدي 11111

الخرطوم - السودان

هاتف: 00249183223722

تحويلة: (121) سكرتارية التحرير، (103) مكتب المدير

فاكس: 00249155299155 - 00249155299255

البريد الإلكتروني: [alecsolugha@yahoo.com](mailto:alecsolugha@yahoo.com)

## قواعد النشر:

1. تُعنى المجلة بنشر البحوث والدراسات في مجال الدراسات اللغوية وتعليم اللغة العربية.
2. اللغة الأساسية للمجلة هي اللغة العربية. وتقبل البحوث والدراسات باللغات الأجنبية المعتمدة لدى «اليونسكو» مع ضرورة إرفاق مستخلص للبحث باللغة العربية.
3. لا يتعدى البحث أو الدراسة عشرة آلاف كلمة بما في ذلك الملاحق وقائمة المصادر والمراجع والمستخلص.
4. الالتزام بعلامات الترقيم في الكتابة ووضع المعلومات المنقولة بين علامتي «تنصيص».
5. تقدم البحوث والدراسات على نسخة ورقية وأخرى الكترونية على برنامج وورد (2007) «word» ونوع الخط (Arial) بحجم 14 للمتن و 12 للهامش.
6. إرفاق سيرة ذاتية مختصرة للباحث مع عنوان التواصل (البريد الإلكتروني – ورقم الهاتف).
7. بعد تحكيم البحث يخطر الباحث بقرار التحكيم، وترد البحوث مع توصيات المحكمين لإجراء التصويبات.
8. على الباحث أن يلتزم بما يقترحه المحكم ويوصي به وأن يرجع البحث في فترة لا تزيد على أسبوعين.
9. تمنح إدارة المجلة الباحث إفادة بقبول بحثه للنشر إذا أوصى المحكم بقبوله للنشر بصورته الراهنة، أما إذا طلب المحكم إجراء بعض التصويبات أو التعديلات فسيمنح الإفادة بعد إجرائها وقبولها لدى المحكم.
10. لا تقبل البحوث والدراسات التي تعدُّ لإكمال متطلبات إجازة الرسائل الجامعية (الدكتوراه).
11. يُشترط ألا يكون المقال قد نُشر من قبل في أي جهة أو قُدم إلى جهة أخرى للنشر.
12. توثيق المعلومات يكون بالإشارة إلى مصادرها أو مراجعها برقم صغير في متن البحث، على أن توضع الهوامش في آخر البحث قبل المصادر والمراجع.
13. الآيات القرآنية توثق في المتن بكتابة اسم السورة ورقم الآية بعد الآية مباشرة مثال (الأعراف 15).

14. أبيات الشعر تضبط بالشكل ويشرح غريبها بهامش الصفحة
15. كتابة مقدمة للبحث وخاتمة تحوي تعريفاً موجزاً بعنوان البحث ثم أهم نتائجه مع التوصيات.
16. على الباحث أن يرفق مستخلصين لبحثه أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الإنجليزية متضمنين عنوان البحث واسم الباحث.
17. يوضع ثبت المصادر والمراجع في نهاية البحث بعد الهوامش ولا بد من حصره على المصادر والمراجع التي استعان بها الباحث في بحثه فقط ووردت الإشارة إليها في هوامش التوثيق – ولا بد من إيرادها مرتبة ترتيباً ألفبائياً محكماً وأن تحوي كل المعلومات عن المصدر أو المرجع على النحو التالي:
- اسم المؤلف، عنوان الكتاب، اسم المحقق (إن وجد)، رقم الطبعة، دار النشر أو المطبعة، مكان النشر، تاريخها – إذا لم يثبت التاريخ في النسخة يكتب (بدون تاريخ). مع مراعاة عدم النظر لكلمة (ابن) و (ال) التعريفية في الترتيب مثال «ابن خلدون» يوضع مع حرف الخاء، و «الطبري» يوضع مع حرف الطاء، و «ابن السراج» مع حرف السين.
18. لهيئة التحرير الحق في عدم قبول أي بحث دون إبداء الأسباب ولا يحق للباحث المطالبة برد بحثه.
19. تمنح إدارة المجلة الباحث نسختين من عدد المجلة الذي يحوي بحثه.
20. المراسلات باسم مدير معهد الخرطوم الدولي للغة العربية على البريد التالي: السودان – الخرطوم – رمز بريدي 11111 ص ب 13257 أو البريد الإلكتروني: [alecsolugha@yahoo.com](mailto:alecsolugha@yahoo.com)

## كلمة التحرير

الحمد لله الذي بفضلہ تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسول  
الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعد،

الأعزاء الكرام، قرّاء المجلة العربية للدراسات اللغوية من العلماء  
والباحثين والمتقنين، يتجدد اللقاء بكم في العدد 47 من المجلة، وهو  
كما تعلمون امتداد لمسيرة المجلة العربية للدراسات اللغوية التي رأت  
النور بعددها الأول في العام 1982، وهو العدد الثاني خلال العام  
2020، على الرغم من التحديات التي فيه. وعلى رأسها الوباء العالمي  
كوفيد 19، نسأل الله أن يسلم الجميع ويرفع الوباء والبلاء.

ولابد في صدر هذه الكلمة من شكر مستحق للعلماء والباحثين  
الذين يرفدون المجلة ببحوثهم القيّمة، وقد حرصت هيئة التحرير على  
الاهتمام بكل ما يصل إلى المجلة من بحوثهم، وفق الترتيب الزمني  
لوصولها إلّا أنّ الإجراءات الدقيقة في مراحل التحكيم والتدقيق هي  
التي تتحكم في الموضوعات التي تقدم للنشر في العدد المعني ويستمر  
من بعد ذلك التواصل مع أصحاب البحوث التي تنتظر النشر.

وأشير هنا إلى أن التزام الباحثين بقواعد النشر المنشورة في المجلة  
يسهل على هيئة التحرير مهمتها ويعجّل نشر البحوث.

وقد حرصنا في هذا العدد على نشر أحد الموضوعات من أرشيف  
المجلة وبخاصة الأعداد الأولى منها، وعنوانه: التدريب على الكتابة  
في مرحلة ما قبل الكتابة وقد كتبه الأستاذ الدكتور يوسف الخليفة  
أبو بكر رحمه الله رحمة واسعة، وقد كان آنئذ الخبير الأول بمعهد  
الخرطوم. وتوزعت الموضوعات الأخرى بين الدراسات اللغوية  
اللسانية التطبيقية، ومنها الدراسة التي أعدها الدكتور علي عبدالله  
إبراهيم أحمد وعنوانها: تجليات التأليف والنظم في شعر أبي الطيب  
المنتبى، دراسة بلاغية دلالية، وكذلك الدراسة التي أعدتها الدكتورة  
شاذلية سيد وعنوانها: التقنيات الحجاجية في وصف أمّ معبد الخزاعية.  
أما في مجال الدراسات النحوية والصرفية فقد حوى العدد بحثاً  
للدكتور الوليد حسن وعنوانه: رحابة العدول عن الأصل عند  
معربي القرآن (حذف الخبر نموذجاً)، وكذلك بحث الدكتور هازدهار  
عبدالرحمن السيد وعنوانه: جماليات التحول الصرفي في الربع الأخير  
من القرآن الكريم، دراسة تحليلية، وقد اهتم الدكتور السر الشيخ أحمد  
في ورقته بتقنيات التعليم واستخداماتها وعنوان بحثه: ظاهرة ضعف  
التلاميذ في التعبير الشفهي والتحريري وإمكانية علاجها باستخدام  
الوسائط التعليمية السمعية، وقد جاءت موضوعات العدد على  
هذا النحو من التنوع ضمن اهتمامات المجلة ومجالاتها.

---

ويشرفني في ختام هذه الكلمة ان أزجي شكراً خاصاً وتقديراً مستحقاً  
لمعالي الأستاذ الدكتور محمد ولد أمير المدير العام للمنظمة العربية  
للتربية والثقافة والعلوم على حرصه على أن تستمر مسيرة العطاء  
الأكاديمي والبحثي رغم التحديات والظروف الماثلة، وقد وجه بتوفير  
التمويل اللازم لكل هذه الأنشطة، والمجلة العربية للدراسات اللغوية  
أحد الإصدارات المهمة التي يحرص على استمرارها ويوليها عنايته.  
والحمد لله رب العالمين من قبل ومن بعد واختتم بالصلاة والسلام  
على رسول الله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أ. د. علي عبدالله النعيم**

مدير معهد الخرطوم الدولي للغة العربية

رئيس التحرير



## التدريب على الكتابة في مرحلة ما قبل الكتابة

---

إعداد:

د. يوسف الخليفة أبوبكر

---



يعاني المبتدئون في تعلم الكتابة - أطفالاً وكباراً - من مشكلتين أساسيتين هما:-

### عدم المقدرة على إمساك القلم بطريقة سليمة.

عدم المقدرة على السيطرة على عضلات أصابع اليد حتى يسير القلم في الاتجاهات والمسافات المطلوبة والتي تشكل الرموز أو الحروف حسب مقتضيات نظام الكتابة.

بل نجد المبتدئ في الكتابة يحرك كلتا يديه ويحرك كتفه، ويميل برأسه، وكل هذه الحركات تفقده توازنه وتعوق أداءه. ولكي نوفر على المتعلم في مرحلة الكتابة هذه الحركات غير المفيدة، ونعد المبتدئ إعداداً سليماً لمرحلة الكتابة فلا بد من تدريب عضلات أصابع يده في وقت مبكر، وإكسابه المقدرة على الإمساك بالقلم بطريقة صحيحة، وإكسابه المهارة على رسم الخطوط أو الأشكال الهندسية التي تتكون منها شخصية الحروف التي تكتب بها اللغة التي يتعلمها أو يتعلم كتابتها، وأن يكون هذا التدريب سابقاً لمرحلة الكتابة.

إن الكتابة «عملية تحتاج الى تعلم. والنجاح في هذه العملية يتوقف على توافق الطفل العضلي، ومدى ما يصيبه الطفل من نضج في هذه الناحية. وكلما تم للطفل التوافق ساعد ذلك على أن يكتب في اتزان وسرعة. وقبل أن تتوافر للطفل هذه المقدرة تكون كتابته عبارة عن «شخبطات غير مقروءة»<sup>1</sup> إن التدريبات التي تسبق مرحلة الكتابة تقلل من المحاولات العشوائية غير المفيدة التي يقوم بها الطفل فيما بعد في دروس الكتابة، وتكون العادات الحركية التي تفيده، اقتصاداً في الزمن وتوفير الجهد وتقليلاً للمعاناة النفسية.

ومن هنا يمكن القول بأن التدريب السليم على الكتابة العربية ينبغي أن يتم في مرحلتين.

**المرحلة الأولى:** مرحلة ما قبل الكتابة، أو مرحلة الإعداد للكتابة. وهذه المرحلة يجري فيها تدريب المتعلم لإكسابه المقدرة على السيطرة على عضلات الكتابة (اليدين والأصابع) لكي يمسك بالقلم بطريقة صحيحة، ويحركه بحرية وسرعة في اتجاهات الخطوط المختلفة التي يتكون منها الحرف العربي، وذلك دون ربط للأشكال التي يتدرب عليها بمدلولات صوتية. وهذه المرحلة تعده نفسياً وعقلياً وعضوياً لكتابة الحروف. فهي تطبع في عقله الأشكال المجردة والأحجام والأجزاء التي يتكون منها الحرف العربي، وتجعل بينه وبين هذه الأشكال ألفة، وتكون لديه عادة البدء بالكتابة من اليمين إلى الشمال في يسر ومن أسفل إلى أعلى أو من أعلى إلى أسفل حسب مقتضيات الكتابة. وهذا هو موضوع بحثنا هذا.

**المرحلة الثانية:** مرحلة تعليم الكتابة وربط كل حرف بمدلوله الصوتي الذي يعبر عنه. وقد أفرد علماء التربية بحوثاً مطولة لهذه المرحلة، واختلفوا في أفضل الطرق التي تعلم بها الكتابة فهناك الطريقة الجزئية أو التركيبية (الأبجدية والصوتية) والطريقة التحليلية والطريقة التوليفية. وهذه المرحلة لا تقع تحت نطاق هذا البحث.

صحيح أن الأطفال المبتدئين وإن لم يدربوا قبل مرحلة الكتابة، واكتفى المعلم بالتدريب الذي يقدمه لهم أثناء تعلمهم للكتابة، فإنهم بمرور الزمن يكتسبون المهارة في الكتابة، غير أن الزمن الذي ينفقونه في المحاولات الأولى إلى أن يكتسبوا المهارة يكون في العادة على حساب المواد الأخرى

التي يطلب إليهم تدوينها أو نقلها من الكتاب أو كتابة الملخصات لها. ويطلب إليهم ذلك في وقت يجدون أنفسهم غير قادرين على السيطرة على القلم، وغير قادرين على رسم الحروف، وفي كثير من الأحيان يعجزون عن قراءة ما يخطونه وينقلونه بأيديهم. وقد ينتج عن ذلك ما يسمى بالضعف الكتابي الذي يلزم الطفل طوال المرحلة الابتدائية.

أما بالنسبة إلى الكبار فإن عجزهم في الكتابة سيكون على حساب اللغة التي يتعلمون كتابتها، أي على حساب المهارات اللغوية المختلفة، والمواد الأخرى التي يدرسونها.

إن ضعف التلميذ في الكتابة يعرضه للتأخر الدراسي في جل المواد إن لم تكن كلها، ويعرضه بالتالي للرسوب في اختبارات النقل أو امتحانات نهاية المرحلة. وكلما كان التلميذ ماهراً في الكتابة (والقراءة) في وقت مبكر، كان أقدر على استيعاب المواد التعليمية، وعلى أداء الواجبات المدرسية داخل الصف وخارجه. وكلما أعد للكتابة في وقت مبكر وتلقى التدريب الموجه في مرحلة ما قبل الكتابة، صار أكثر استعداداً في الدروس الأولى لتعلم الكتابة، ووفر جهداً وزمناً على نفسه وعلى المعلم وعلى والديه.

وإذا كان المتعلم المبتدئ (في تعلم الكتابة العربية) ممن له خبرة في كتابة لغة أخرى، غير العربية، وخاصة تلك اللغات التي تكتب من اليسار إلى اليمين، أو من أعلى إلى أسفل، فإنه يكون في حاجة أيضاً إلى تدريب عضلات أصابع يده لتكوين عادة رسم الحرف العربي من اليمين إلى الشمال، وبالمسافات والاتجاهات التي تقتضيها قواعد الكتابة العربية، والتي تخالف قواعد كتابة لغته.

هذا البحث محاولة لوضع خطة للتدريب على الكتابة العربية في مرحلة ما قبل الكتابة (ويمكن استخدام هذه التدريبات مصاحبة لدروس الكتابة)، وهي تهدف تهدف إلى تدريب أعضاء الكتابة (اليد والأصابع) على التحرك بمهارة في اتجاهات الحروف العربية رأسياً وأفقياً ودائرياً، وإكساب الدارسين المبتدئين في تعلم الكتابة المقدرة على رسم الأشكال الهندسية الأساسية التي تتكون منها الحروف العربية وذلك دون ربط لهذه الأشكال بالقيم الصوتية التي ترمز إليها.

والفكرة التربوية التي بنيت على أساسها هذه المحاولة تقوم على الافتراض القائل بأن تعلم الكتابة يتم بطريقة أسرع وأدق إذا سبقه أو صاحبه تدريب عضوي على رسم الأشكال الهندسية التي تتكون منها الحروف، بحيث يكتسب الدارس المقدرة على السيطرة على عضلات يده وأصابعه أثناء الكتابة. ومن ذلك يتضح لنا أنه ليس من أهداف هذه المحاولة تعلم الكتابة والقراءة بالمفهوم المتعارف عليه في تعليم المبتدئين وليس من أهدافها أيضاً تعليم الخط العربي وفقاً لقوانين الخط المتعارف عليها لدى المختصين في هذا الفن، وإنما هدفها تقليل الصعوبات التي يلاقيها المتعلم عند بداية عهده بالكتابة. وما لم تذلل هذه الصعوبات أو تقلل فقد يترتب عليها آثار سيئة تفقد المبتدئين (خاصة في حالة تعليم الكبار) الرغبة في مواصلة التعلم، أو على الأقل تعطل تقدمهم في الكتابة بالمستوى المطلوب. وقد تؤدي بالطفل إلى كراهية المدرسية. والذين يكتبون بمهارة ينسون مقدار الجهد الذي بذلوه والمعاناة التي عانوها أثناء تعلمهم للكتابة في بداية عهدهم بها. ذلك لأن الكتابة صارت عندهم عادة آلية وصاروا يكتبون بطريقة لا شعورية. يقول

الأستاذ روبرت لادو «إننا لندهش عندما نرى عربيا يكتب بالحروف العربية من اليمين إلى الشمال في سرعة ومهارة فائقتين. ونجد أنفسنا عاجزين تماما عن كتابة الانجليزية بأي سرعة من اليمين الى الشمال» ويستطرد قائلا «وإذا حاولت ذلك - وأقترح عليك أن تحاول - فستجد أنك تكتب ببطء شديد وبأخطاء كثيرة، وإن أسلوب كتابتك يشبه كتابة الأطفال»<sup>2</sup>. ومعلمو رياض الأطفال ومعلمو الفصول الأولى من المرحلة الابتدائية وكذلك معلمو الكبار هم الذين يدركون مدى المعاناة النفسية التي يعانيتها كل من المتعلم والمعلم في هذه المرحلة، إذ يجد المتعلم نفسه غير قادر على السيطرة على عضلات يده، وعلى التوفيق بين حركاتها وما يطلب المعلم من رسم لأشكال الحروف. ويقف المعلم حائرا عندما يحرك تلميذه القلم في اتجاهات تجعل العلاقة بين الشكل المكتوب والشكل المطلوب منعدمة، أو تجعل المسافات وأحجام الخطوط مضحكة وغير مناسبة لما هو مطلوب.

إن الكتابة مهارة شأنها في ذلك شأن المهارات الأخرى كالسباحة والعزف على الآلات الموسيقية، أو الكتابة على الآلة الكاتبة - تحتاج إلى تدريب طويل ومنتظم ؛ لتطويع عضلات أصابع اليد قبل أن يطلب إليها أن تؤدي الوظيفة التي يطلب إليها أداؤها بالمستوى المقبول. ولذلك كان لا بد من أن تكون هنالك خطة للتدريب، وأن تكون هذه الخطة علمية ومنتظمة. وأن تكون مبنية على تحليل علمي للمادة التي يجرى عليها التدريب - وهي في هذه الحال أشكال الحروف العربية.

لكي تتم عملية التدريب بطريقة سليمة يجب أن يتوفر فيها أمران :-  
(1) أن تكون موجهة.

## (2) وأن تكون متدرجة.

وتكون عملية التدريب موجهة، بتصميم التدريبات على الأشكال الهندسية المستخلصة من أشكال الحروف العربية وفي اتجاهات الكتابة العربية. وتكون متدرجة بأن يتم التدريب على الأشكال البسيطة أولاً، فالأشكال المركبة، فالمعقدة.

وكل ذلك لا يتم إلا إذا قمنا بتحليل الحروف العربية إلى مكوناتها الأساسية ورصدنا الاتجاهات التي يسير فيها رسم هذه الأشكال، رأسياً، وأفقياً، ودائرياً، واتجاه بدايتها من اليمين إلى الشمال ومن أسفل إلى أعلى، وتحديد المسافات والأحجام والأبعاد للخطوط المختلفة، والعلاقات التي تربط بينها، ويدخل في ذلك النقط الذي يعتبر جزءاً لا يتجزأ من مكونات شخصية الحرف العربي.

### الطفل والكتابة:

يجد الطفل نفسه - منذ الثانية من عمره - قادراً على قبض الأشياء ووضع أصابعه في الثقوب، ووضع المكعبات في شكل أفقي أو رأسي. وعند محاولته الإمساك بالقلم فإنه يستطيع أن يقبض القلم ويحركه في الورقة، ويواصل هذه التخطيطات أو الخربشة ما أتيح له ذلك، وهو يعبر بهذه الخطوط عن مجرد إحساسات عضلية في أول مره، ولكنه بعد فترة من التدريب ومع نموه يعبر بهذه الخطوط العشوائية عن مدركات محسوسة، أو عن حالات وخواطر نفسية، وقد يرمز بها إلى أشياء تقع في بيته كأن يرسم خطاً ويقول هذا إنسان أو حيوان أو طائر.

ونلاحظ أن الخطوط الأولى للطفل - مع أنها عشوائية إلا أنها من الناحية الهندسية تشكل خطوطاً أفقية ورأسية ودائرية أو مائلة. أما رسم هذه الأشكال



الهندسية عن قصد فإن ذلك يحتاج إلى مقدرة على السيطرة على عضلات الأصابع. ولذلك فإننا ننصح الآباء والأمهات بأن يهيئوا الفرصة لأطفالهم في سن مبكرة لكي يتدربوا على الإمساك بالقلم، ويتركوهم يخططون ويلعبون به كما يشاؤون على الورق، وأن يشجعوهم على ذلك ويبرزوا إليهم ثمرة جهدهم في رسم الأشكال على ورقة بيضاء. ولا يقلقلهم أن هذه اليد الصغيرة تخطيء كثيرا حين تقوم برسم أشكال هي في نظرهم لا معنى لها، ولكنها تعني شيئا كثيرا بالنسبة إلى الطفل. وعلى الآباء ألا يلحوا عليهم ولا يتعجلوا في الكتابة أو الرسم بطريقة معينة في هذه المرحلة، بل يشجعونهم على إمساك القلم بطريقة صحيحة، وأن يكون تدريبهم على ذلك بغرض تطويع عضلات أصابعهم للإمساك بالقلم ورسم الخطوط بطريقة إرادية.

إن القدرة الحركية المتصلة بالإمساك بالقلم، وتحريكه في الاتجاهات المختلفة تنمو بالتدرج وباطراد - إذا وجدت التوجيه والتدريب حتى تصل إلى حالة الإتقان والاستقرار، وتزول كل الحركات المصاحبة والزائدة التي لا معنى لها، والتي تعوق عملية الكتابة، والنمو المطرد والسليم لا يتم ولا يصل إلى درجة المهارة إلا إذا كان موجها. والتوجيه في حالتنا هذه يكون بتوجيه التدريب ليكون في اتجاه الكتابة العربية والتي تتمثل: -

- (1) رسم الأشكال الهندسية من اليمين إلى الشمال.
- (2) رسم الخطوط الرأسية والأفقية والدائرية البسيطة
- (3) رسم الأشكال الهندسية المركبة من خطوط أفقية ورأسية ودائرية.
- (4) تكرار التدريب بطريقة منتظمة ومتدرجة.
- (5) يكون التكرار أليا، ولكن في نفس الوقت يجب أن يصاحبه، توجيه

نحو الهدف المطلوب (كمراعاة تحريك القلم من اليمين إلى الشمال، وفوق الأثر أو النقط) وأن يشجع المتدرب على نجاحه في اقتفاء النموذج المعطى له أو محاكاته.

«ويميل الطفل عند إمساكه القلم في بداية عهده بالكتابة إلى الضغط بشدة على القلم، إلا أن هذا الضغط يقل كلما تقدم نموه، وتدريب على رسم الأشكال. كما يميل إلى تجزئة الشكل الذي يريد رسمه فيرفع القلم ثم يضعه أكثر من مرة. بينما يميل الكبير المبتدئ في تعلم الكتابة إلى كتابة الشكل المطلوب بخط واحد أو جرة واحدة كما أن حركاته أكثر انتظاما وسرعة. ذلك للارتباط الوثيق بين النضج الجسماني والتدريب. والمهارة في رسم الأشكال أو الكتابة تزداد بازدياد التدريب والنضج معا»<sup>3</sup>.

وينصح العلماء بعدم تشجيع الطفل على استخدام يده اليسرى في الكتابة منذ البداية «أما بالنسبة للطفل الأيسر فإن علماء النفس ينصحون بعدم إرغامه على الكتابة باليد اليمنى حتى لا يؤثر ذلك على مستوى خطه ونطقه أيضا 4

### تحليل الحروف العربية إلى أشكالها الهندسية الأساسية

لما كان هدفنا الأول هو تدريب عضلات أصابع اليد على الحركة في الاتجاهات العامة التي تسير فيها الحروف العربية، كان لابد من إجراء تحليل للحروف العربية لمعرفة مكوناتها الجزئية أو أشكالها الهندسية. ولما كانت أنواع الخطوط العربية المستعملة الآن مختلفة، وأن مكوناتها الجزئية أو الهندسية تختلف باختلاف نوع الخط نسخا أو رقعة أو غير ذلك، فقد اخترنا من بين التحليلات المتعددة التي أجريت في أنواع الخطوط تحليلا

أرجعنا فيه الأجزاء التي تتكون منها الحروف العربية إلى ثلاثة أشكال هندسية أساسية هي (1) الخط الرأسي (2) الخط الأفقي (3) الخط الدائري، وهي الخطوط التي اقترحنا أن يجري عليها تدريب عضلات أصابع اليد. وهذا التحليل يستبعد الجوانب الفنية التي يعتبرها أساتذة فن الخط العربي مهمة من الناحية الجمالية، ففي تعليم الكتابة نحن نهتم بالجانب الوظيفي في المقام الأول، أما التدريب على الجانب الجمالي فيأتي في مرحلة متأخرة أو في مرحلة متخصصة.

فمن الناحية العملية التطبيقية نحن نكتب ونقرأ الكلمات من خلال الشكل العام للجزئيات التي تتكون منها الحروف فنكتب ونقرأ في سهولة كلمة **محمد**، **اسماعيل**، **مصطفى**، دون أن نشترط وضع حدود فاصلة بين الميم والحاء والميم في كلمة محمد أو بين العين والياء **الجميلة** في «اسماعيل» ودون أن نستكمل شكل الصاد ونميز بين حدود لفاء والياء في مصطفى». ومدرس المبتدئين يكتب مهملًا بعض الجوانب الفنية ومكتفياً بالأداء الوظيفي للكتابة في هذه المرحلة التي تتطلب تبسيط شكل الحرف بما يتناسب وإدراك المبتدئ.

والشكل العام لحرف الباء هو الخط **ب** الأفقي والنقطة ويتفرع منه أنواع الخطوط الأخرى للباء: - (**بببب**، **ب**) ولهذا السبب نجد كثيرا من الدول، خاصة تلك التي تكتب لغاتها بالحروف، قد لجأت التي تبسيط أشكال حروف كتابتها للمبتدئين بما يتمشى مع مقدرة الطفل العضلية في مرحلة التدريب واستنبطت منها الأشكال الهندسية الأساسية، وصممت من هذه الأشكال تدريبات وتمارين يتدرب عليها المبتدئون، وهذه الاشكال الهندسية

في جملتها تعبر عن مكونات الحروف الهجائية في بعض أنواع الخطوط في الآلة الكتابة أو خط اليد.

### الأشكال الهندسية للحروف العربية:

التحليل التالي يتناول الأشكال الهندسية الأساسية التي تتكون منها الحروف العربية. وهذا التحليل - كما قدمنا - لا علاقة له بالناحية الفنية أو الجمالية للخط أو الخطوط المختلفة التي تكتب بها اللغة العربية.

ولا علاقة لهذا التحليل أيضا بالمحاولات التي جرت أو تجري لاختصار الحروف العربية، أو اختزالها حال اتصالها في الكلمة بحروف أخرى في حروف الطباعة أو الكتابة باليد.

وإنما هي محاولة لحصر الأشكال الأساسية التي تتكون منها الحروف. وكلمة «أساسية» هنا تعني الشكل العام للحروف وليس التفاصيل الجزئية بالمقاييس والأحجام التي يفرضها المختصون في الخط العربي. والغرض من ذلك كما قدمنا أننا نهدف إلى تدريب الأصابع على الإمساك بالقلم وعلى رسم أشكال الأجزاء التي توجد في بعض الحروف ويجري التدريب على رسمها عندما يتحرك القلم من اليمين إلى الشمال أو من أعلى إلى أسفل أو إلى أعلى حسب مقتضيات رسم الحروف.

وأنبه مرة أخرى إلى أن هدفنا من تحليل الحروف العربية إلى هذه الأشكال الثلاثة الرأسية، والأفقي، والدائري هو حصر لمكونات الحروف في شكلها العام لا الجمالي الذي قرره المختصون في فن الخط. وأن الغرض من التدريب على هذه الأشكال بالإضافة إلى تطويع عضلات اليد في اتجاهات الحروف العربية، خلق ألفة بصرية ونفسية بين المتدرب وبين هذه الأشكال

التي تكوّن فيما بعد الحروف كلياً أو جزئياً، وتوجد في شكل من أشكال الخطوط العربية النسخ أو الرقعة أو خط اليد.

وبعد دراسة فاحصة للحروف العربية اتضح أن الأشكال الأساسية (العامة) التي تتكوّن الحروف منها أو من مجموعها والتي يمكن أن نبدأ بتدريب المبتدئين عليها يمكن حصرها عموماً في الأشكال الثلاثة التالية: -

#### الشكل الأول: -

الخط الرأسي (أ) وهو يكوّن حرف الألف وجزءاً من الطاء والظاء والكاف واللام والميم في بعض حالاتها ولام الألف في بعض حالاتها. وصورة مصغرة من الخط الرأسي نجدها تكون جزءاً من بعض الحروف بداية أو وسطاً أو نهاية ومن ذلك الباء والتاء والنون والياء في بعض حالاتها والراء والزاي:

#### الشكل الثاني: -

بـ تـ ثـ شـ سـ هـ زـ حـ طـ

الخط الأفقي (ب) ويكون جزءاً لعدد من الحروف في بعض حالاتها، وهي القاعدة الأساسية للباء والتاء والتاء والنون والفاء والقاف في بعض حالاتها.

وتكون جزءاً من شكل الجيم والحاء والحاء في بعض حالاتها، وجزء من الظاء الطاء:

بـ تـ ثـ شـ سـ هـ زـ حـ طـ

ويكون جزءاً من الكاف واللام في بعض حالاتها ونجد الخط الأفقي أيضاً

في بعض حالات الميم والهاء ونجده في السين والشين والصاد في بعض حالاتها.

### الشكل الثالث: -

بعض الحروف. فالدائرة الكاملة نجدها في التاء المربوطة في بعض حالاتها، وتكون جزءاً من شكل الفاء والقاف والواو والعين والغين في بعض حالاتها:

..ف... ..ق... ..و... ..ع... ..غ...

و جزء الدائرة المفتوح من جهة اليمين مكررا أو منفردا يكوّن شكل العين في بعض حالاتها وجزءاً من الجيم والحاء والحاء في بعض حالاتها.

ع ... ع ... ع ... ع ... ع

و جزء الدائرة المفتوح من أعلى يكوّن بأحجام مختلفة أجزاء بعض الحروف مثل السين والشين، وجزءاً من الصاد والضاد منها، وجزءاً من القاف والنون في بعض حالاتها وتتكون الهاء أيضا في بعض أشكالها من الدائرة، و جزء الدائرة المفتوح من جهة اليسار يشكل بوجه عام بعض الحروف أو جزءاً منها مثل الدال والذال وجزءاً من الصاد والضاد والطاء والطاء:

س ش س ش س ش ن ش ن ش ن ه ه ه ه د د د د  
س ش س ش س ش ظ ظ ظ ظ

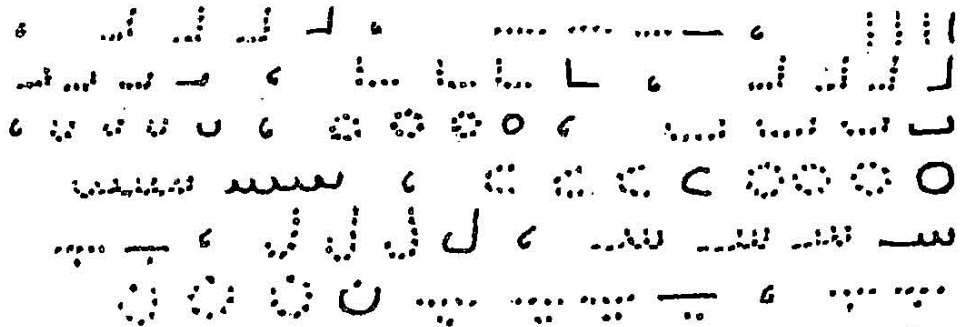
ويمكن أن نعتبر الخط الافقي المائل مكونا لأجزاء بعض الحروف في بعض حالاتها مثل الكاف والراء والزاي والواو وقد اعتبرنا ذلك مشمولاً في الخط الأفقي الذي قدمناه.

## خطة التدريب.

تحقيقاً للمبدأ التربوي الذي يقضي بالسير من البسيط إلى المركب ومن السهل إلى الصعب يجب أن يراعى في تصميم كراسة أشكال الحروف أو كراسة التدريبات أن تبدأ التدريبات بالأشكال البسيطة، ثم المركبة ثم المعقدة.

الخط الرأسي | أيسر في الكتابة للمبتدئين من الخط الأفقي —  
ويلي الخط الأفقي الخط المركب من الرأسي والأفقي ل ، يلي ذلك الخط الدائري د ورسم الدائرة الكاملة ○ أيسر من رسم نصف الدائرة د والأخيرة تتطلب قدرة أكبر على السيطرة على عضلات أصابع اليد. ويتدرج التدريب من الشكل البسيط إلى المركب وقد يصادف أن يكون الشكل البسيط أو المركب شكلاً لحرف أو لجزء من الحرف، وقد لا يكون هذا ولا ذلك، بل يكون مجرد شكل هندسي.

ومن الأشياء الجديرة بالاعتبار التدريب على أحجام الأشكال طولاً وقصراً وارتفاعاً واستطالة، وضبط ذلك كله بمستوى السطر على الورقة. ومن المفيد أن تشتمل التدريبات على تدريب لقوى الملاحظة، وتنمية إدراك الفروق بين أحجام الأشكال ودرجة تكرارها مثلاً:



## 2 - واقع الكتاب:

لقد تركزت الانتقادات والشكوى من الكتب الخارجية فيما يلي:  
انطلاق كثير منها من نظرة دونية للغة العربية، نظرة امتهان وتقليل  
من شأنها واعتبارها لغة مهملّة، كما أنها انطلقت أيضاً من نظرة دونية إلى  
الشعوب الناطقة بها، نظرة ترى هذه الشعوب شعوباً متخلفة ثقافياً وحضارياً،  
ونتيجة لهذا أهملت تقديم الثقافة العربية والإسلامية، وان قدمتها فبطريقة  
مشوهة ومحرفة ومغلوبة. كما ترتب على هذا أيضاً ضيق النظرة إلى  
أغراض تعليم وتعلم اللغة العربية فلم تتعد في كثير من الأحيان الاستشراق  
وأعمال السياسة، والتجسس، والتجارة والسياحة. لقد أدت هذه النظرة في  
مجموعها إلى أن تسود روح تبشيرية على كثير من الكتب حيث أخذت تدس  
في ثنايا موادها التعليمية نظرات عقائدية تختلف مع العقيدة الإسلامية.



### الهوامش:

1 - مصطفى فهمي سيكولوجية التعليم، مكتبة مصر، ط، دار مصر للطباعة، ص، 240.

2 Robert Lado، Linguistic Across Cultures، Ann Arbor U. of Michigan Press (1957)، P 79

3 W. S Gray، the Teaching of Reading and Writing، Monographs on Fundamental Education، 10، (Paris:UNESCO 1955)، P. 197

4 - نفس المصدر، ص 200.

المراجع:

1. فهمي مصطفى سيكولوجية التعليم، مكتبة مصر، ط دار مصر للطباعة، ص، 240.

2. W. S Gray، the Teaching of Reading and Writing، Monographs on Fundamental Education، 10، (Paris:UNESCO 1955)، P. 97

3. Robert Lado، Linguistic Across Cultures، Ann Arbor U. of Michigan Press (1957)، P 179



تجليات النظم والتأليف في شعر أبي الطيّب المتنبّي  
دراسة بلاغية دلالية - (الدالّية نموذجاً)

إعداد:

د. علي عبدالله إبراهيم أحمد

أستاذ مشارك

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الملك سعود

التخصص الدقيق: البلاغة والنقد



## المستخلص:

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن تجليات النظم والتأليف في شعر أبي الطيّب المتنبي. تبدأ الدراسة بتمهيد يضم معلومات موجزة عن (النظم) بوصفه نظرية بلاغية ودلالية طورها علماء عرب؛ من أجل الكشف عن إعجاز القرآن الكريم، ولكي تسهم في تطوير أساليب المؤلفين العرب شعراً ونثراً. وأشارت الدراسة إلى أنّ مظاهر البناء والتأليف في شعر المتنبي تتجلى في قدراته الفائقة في تسخير أساليب علم المعاني المختلفة لخدمة نصّه الشعري، والارتقاء به دلاليّاً وبلاغياً.

وبناءً على ذلك تناولت الدراسة، بشيء من التفصيل، طرائق المتنبي في التعاطي مع أسلوب التقديم والتأخير، وفي استخدام الأساليب الإنشائية المتمثلة في: الأمر، والاستفهام، والنداء، والتّمني، والنهي. وضعت الدراسة، في جزئها الأخير، تحليلاً دلاليّاً وبلاغياً لدالية المتنبي التي نظمها في مدح سيف الدولة الحمّاني، وأهداها له في إحدى مناسبات عيد الأضحى المبارك.

**Abstract:**

**Manifestations of Nazm and Composing in Mutanabbi's poetry...  
semantic and rhetorical Study  
(The Daliyyah as a Model)**

Key words: Composing, Style, Text, Poetic Image, Semantics.

This study tries to disclose the manifestations of Nazm and composing in Mutanabbi's poetry. It begins with a prelude in which a brief piece of information is given about the famous Arab semantic and rhetorical theory called Nazm (putting words and sentences in a specific order). This theory has been developed for the disclosure of the miracle of the Holy Quran, as well as it can positively contribute in the development of the styles of Arab poets and authors. Moreover, the study refers to the super capabilities Al - Mutanabbi has shown in the use of the following styles: preceding and delay, imperative mode, interrogative mode, vocative style, optative mode and the nahy (prohibition).

In addition to this, the study presents a full semantic and rhetorical analysis for one of the poems in which Al - Mutanabbi praises the Prince of Halab Saif addawlah.

## تمهيد:

ارتبط الحديث بفكرة (النظم) عند العرب بالحديث عن إعجاز القرآن الكريم الذي مال كثيرٌ من المفسرين، والنقاد القدامى إلى رده - في المقام الأول - إلى تأليف القرآن ونظمه. ذلك، لأن العرب الذين كانوا أهل فصاحة وبيان وبلاغة لم يعهدوا في حياتهم الفكرية والأدبية أسلوباً يُضاهي أساليب القرآن من حيث السلاسة، وحسن البيان ومثالية التأليف. وكان لابد، والحال كذلك، من أن يتصدى جماعة منهم ممن كان لهم باعٌ طويل في فهم الأساليب العربية ونقدها لدراسة لغة القرآن وأساليبه المختلفة لمعرفة مكامن تفردّها وتمييزها عن سائر الأساليب العربية في شعرهم بأعاريضه المختلفة، وفي نثرهم بألوانه وأجناسه المتعدّدة. ونتيجة لذلك برزت حركة تأليف نشطة أثمرت عن عدد من المؤلفات التي مالت إلى فكرة التفسير البياني للقرآن الكريم، وأصبحت - فيما بعد - من أهمّ مصادر التفسير وشروحه. نذكر منها: (إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه) لأبي عبدالله محمد بن يزيد الواسطي ت 306هـ، و(جامع البيان) لابن جرير الطبري ت 310هـ، و(النكت في إعجاز القرآن) لأبي الحسن علي بن عيسى الرّماني ت 384هـ، و(بيان في إعجاز القرآن) لأبي سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي ت 388هـ، و(إعجاز القرآن) لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي البصري ت 403هـ، وكتاب (المغني في أبواب التوحيد والعدل) للقاضي أبي الحسن عبدالجبار ت 415هـ، و(دلائل الإعجاز) للإمام عبدالقاهر الجرجاني ت 471هـ، و(الكشاف) للزمخشري ت 538هـ، و(الإتقان في علوم القرآن) لعبد الرحمن السيوطي ت 911هـ. ومن أشهر ما ظهر في التفسير البياني في العصر الحديث كتاب

(التفسير البياني للقرآن الكريم) لعائشة عبدالرحمن بنت الشاطي ت 1998م. هذا، ولم يكن شيخ الكتاب العرب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت 255هـ، بمنأى عن ذاك الحراك الفكري والنقدي، بل ربما كان الرّجلُ أوّل من أَلّف في هذا الموضوع، إذ تخبرنا كتب تاريخ الأدب العربي أن للجاحظ كتاباً اسمه (نظم القرآن) لم يصل إلينا، وقد أشار إليه الجاحظ نفسه في بعض رسائله. وممّا لا شكّ فيه لو عثر النقاد وأهل الاختصاص على هذا الكتاب المفقود لوجدوا فيه خيراً كثيراً.

يتّضح ممّا تقدّم ذكره أن العرب أولوا دراسة الأساليب القرآنية عنايةً فائقة، وبخاصة فيما يتصل بكون نظمه أمراً معجزاً لا يستطيع بشرٌ الوصول إلى درجته ولو كان حظه في البيان والبلاغة كبيراً. فقد ذهب كلّ المفسرين المذكورين آنفاً إلى أن نظم القرآن خارجٌ عن كلّ ما ألفه العربُ في فنونهم الشعرية والنثرية، حيث لم يعثروا في القرآن على أعاريض رجزهم وقصيدهم، ولم يجدوا فيه شيئاً من نثر الجاهليين المرسل، أو المسجوع. ولذلك نجد الرّماني يقرّر أن أعلى مرتبة في حسن البيان «ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسُن في السّمع، ويسهل على اللسان، وتتقبله النّفس تقبل البرد»<sup>1</sup>. ويرى الباقلاني أن كتاب الله معجز لأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب<sup>2</sup>. وذهب القاضي عبدالجبار إلى القول بأن «الفصاحة والبلاغة تقومان على ضمّ الكلمات وتقارنهما»<sup>3</sup>. ويرى الإمام عبدالقاهر الجرجاني أنّ إعجاز القرآن يقوم - في الأساس - على وجود هذه العلاقات الخاصة بين مفرداته وجمله، بل وبين سورته المختلفة.. فالإعجاز عنده يعني تعليق الكلام بعبضه ببعض، إنه تأليف



الكلام وترتيبه بحسب ما يقتضيه علم النحو تبعاً لترتيب معانيه في النفس، حتى قال عبارته المشهورة: «واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله» 4. وإذا كانت نظرية (النظم) قد أسهمت بقدرٍ كبيرٍ في الكشف عن إعجاز القرآن بوصفه كتاب العربية الأقدس، ومصدرها الأوّل كما يقول أمين الخولي ت 1966م 5، فقد أسهمت النظرية بقدرٍ عالٍ في تطوير أساليب المبدعين العرب شعراءً، وناثرين. ولا غرو في ذلك ولا عجب، فقد كان للنحاة العرب اليد الطولى في دراسة الكلام وتحليله، وما يطرأ عليه من تقديم وتأخير، أو ذكر وحذف، أو إيجاز وإطناب إلى غير ذلك من المسائل البلاغية التي فصلّ الإمام عبدالقاهر القول فيها في حقبة تالية في كتابه (دلائل الإعجاز). وغنيّ عن القول أن سيبويه ت 180هـ من أقدم المؤلفين الذين عالجوا هذه المسائل في مؤلفه المعروف باسم (الكتاب)، وتبعه في ذلك جماعة من تلاميذه النحاة. حدث ذلك قبل أن يلتفت البلاغيون العرب إلى فكرة النظم، ويعملوا - من ثمّ - على تطويرها، وإبرازها في مؤلفاتهم المذكورة آنفاً. يقودنا هذا الكلام إلى القول بأن نظرية النظم التي أسهمت بقدرٍ كبيرٍ في الكشف عن إعجاز القرآن يمكن تطبيقها، على النصّ العربي الشعريّ منه والنثري كلما كان ذلك ممكناً، لكي تسهم النظرية بقدرٍ آخر في الكشف عن جماليات الأسلوب عند المبدعين العرب، وبخاصة القدامى منهم. ووفقاً لذلك، ستحاول هذه الدراسة الكشف عن تجليات النظم والتأليف في شعر أبي الطيب المتنبي مالىء الدنيا وشاغل الناس، والذي بادر بالتغنى بقدراته في نظم الشعر وقرضه حين شدا قائلاً:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي \*\* وأسمعت كلماتي من به صمّم 6 (البسيط)  
وقال بعد ثلاثة أبيات في القصيدة نفسها:

أنام ملء حفوني عن شواردها \*\* ويسهر الخلق جَراها ويختصم  
وتتجلى مظاهر البناء والتأليف عند المتنبي في قدرارته على تسخير  
أساليب (المعاني) المختلفة لخدمة نصّه الشعريّ، ولذلك نجده كثير الميل إلى  
أسلوب التقديم والتأخير، والأساليب الإنشائية المتمثلة في: الأمر، والاستفهام،  
والنداء، والتمني، والنهي، ولا تخلو أبياته من الحذف والذكر، إلى غير  
ذلك من الأساليب التي يدرسها (علم المعاني) على النحو الذي نراه عبر  
الصفحات التالية.

#### أولاً: التقديم والتأخير:

يفرض أسلوب (التقديم والتأخير) على المؤلف وجود قدرٍ عالٍ من الحذر  
والدقة، فإذا وقع في مكانه المطلوب أضفى على الكلام غايات بلاغيةً ودلاليةً  
محدّدة، وأبرز المعنى بصورة تجعل وصوله إلى ذهن المتلقي أسهل وأجمل،  
وإذا وقع في غير موقعه الصّحيح قلّل من شأن الكلام، وربما أفسده وجعله  
غير ذي فائدة من حيث الفصاحة والبيان. يقول العتّابي في هذا الشأن:  
«الألفاظ أجساد، والمعاني أرواح، وإنما تراها بعيون القلوب. فإذا قدّمت  
منها مؤخّراً، أو أخّرت منها مقدّماً أفسدت الصورة وغيّرت المعنى، كما  
لو حوّل رأسٌ إلى موضع يد، أو يدٌ إلى موضع رجل، لتحولت الخلقة،  
وتغيّرت الحلية»<sup>7</sup>. ومن الأدلة على ذلك ما ذهب إليه ابن سنان في نقده  
لقوله الفرزدق مادحاً إبراهيم بن إسماعيل خال هشام بن عبد الملك:

وما مثله في الناس إلا مُملكاً \*\* أبو أمه حيٌّ أبوه يقاربه

حيث قال: «ففي هذا البيت من التقديم والتأخير ما قد أحال معناه وأفسد إعرابه لأن مقصوده وما مثله في الناس حيٌّ يقاربه إلا مملكاً أبو أمه أبوه يعني هشاماً لأن أبا أمه أبو الممدوح 8  
ومن ذلك أيضاً قول الآخر 9

**فأصبحت بعد خطِّ بهجتها \*\*\* كأنَّ قفراً رسومها قلماً**

فهذا كلامٌ في غاية الغلظة والتعقيد حيث فصل بين المضاف (بعد) والمضاف إليه (بهجتها) بالفعل (خطِّ)، وفصل أيضاً بين (أصبحت) وخبرها (قفراً)، وفصل أيضاً بين (كأنَّ) واسمها (قلماً).. إلخ، ومراد الشاعر: فأصبحت بعد بهجتها قفراً، كأنَّ قلماً خطِّ رسومها.

ومن كان هُمُّه البحث في ديوان المتنبي عن احتفاء الرجل بأسلوب (التقديم والتأخير) سيعثر على عددٍ وافٍ من الأبيات التي ينشد ناظمها جذب انتباه المتلقي أولاً إلى دلالة الكلمة أو العبارة التي وقع فيها التقديم، ولو كان حقها التأخير في التركيب التقليدي للكلام. خذ مثلاً ذلك قوله في مدح محمد بن عبيد الله العلوي:

**له أيادٍ عليَّ سابغةٌ \*\*\* أعدُّ منها ولا أعدّها 10 (المنسرح)**

حيث قدّم الخبر (له) على المبتدأ (أيادٍ)؛ لأنه أراد التصريح أولاً والاعتراف بفضل الممدوح الذي دلّ عليه ضمير الغائب في (له) حتى يوفّر لنفسه مبرراً كافياً لمدح هذا الرجل والثناء عليه. ولو قدم الأيادي، وهي النعم، على الجار والمجرور لأصبح المعنى عادياً وليس فيه ما يُعتدّ به من أسباب الفصاحة والبيان. ذلك لأن تقديم الجار والمجرور أسبق على كلمة (أيادٍ) معنىً إضافياً أخرجها من كونها نعماً معروفةً ومحدّدة المعالم حسب ما يقتضيه أسلوب

التنكير إلى نِعَمٍ كثيرةٍ وفيرةٍ لدرجة أنه لا يقدر على حصرها، أو عدّها.  
ومما ينطبق عليه هذا الكلام قوله في مدح سيف الدولة:  
وله وإنْ وهب الملوك مواهبُ \*\*\* درُّ الملوك لِدَرِّها أَعْبَارُ 11  
(الكامل)

فقد تعمّد الشاعرُ تقديم (له) على (مواهب) ليوحي للمتلقي أن مواهب هذا الممدوح متنوعة ومتعدّدة، بل لا تكاد تحصى. والكلامُ نفسه يُقال في حقّ قوله:

وللنفس أخلاقٌ تدلّ على الفتى \*\*\* أكان سخاءً ما أتى أم تساخيا 12  
(الطويل)  
وقوله:

وبهم فخرٌ كلٌّ من نطق الضّا \*\*\* دَ وَعَوْدُ الجاني و غوث الطريد 13  
(الخفيف)

وتأمل كيف وقر له تقديم الجار والمجرور على المبتدأ النكرة إمكانية التعبير عن ثنائية الحسم المقرون بالقوّة والصّرامة، والإحسان الممزوج بالعفو والصّفح النبيل، وذلك قوله:

له من كريم الطبع في الحرب منتضٍ \*\*\* ومن عادة الإحسان والصفح غامدُ 14  
(الطويل)

وربما لا يحفى على المتلقي وجود ثنائية أخرى في هذا البيت تتمثل في كون السيف راقداً داخل غمده حيناً، ومسلولاً ومجرّداً منه في حين آخر. وفي أحايين أخرى يميل المتنبي إلى تأخير المبتدأ حتى ولو كان معرفةً بغرض تسليط الضوء على فضيلة معيّنة قبل أن ينسبها إلى ممدوحه، لكونها

فضيلة ذات شأنٍ عالٍ، ولا يسعى إلى تحقيقها إلا كبارُ القوم، وأصحابُ الهمم العالية. من ذلك قوله:

في سبيل العلى قتالك والسأ\*\*م وهذا المقام والإجذام 15 (الخفيف)

وربما كان من المناسب القول هنا أنّ هذا الذي رأيناه في شعر المتنبي بخصوص موضوع (التقديم والتأخير) يتجلّى بصورةٍ شتى في الأسلوب القرآني المعجز، بل يكاد يكون ظاهرةً أسلوبيةً تستوجب الوقوف والتأمل في آياته، وسوره المختلفة. ويقع التقديم والتأخير في القرآن الكريم لتحقيق غايات بلاغية ودلالية متعدّدة، منها التركيز على المُقدم وجذب انتباه القارئ لدلالته، إما لكونه يجعل المعنى أكثر جلاءً ووضوحاً، وأن عدم التقديم يفسد المعنى، ويكشف الخلل في مضمونه. ومن أمثلة الأوّل قوله جلّ شأنه: {..وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون} (النحل/188). حيث تمّ تقديم المفعول به {أنفس} على الفعل والفاعل {يظلمون}، والتركيز عليه كشف عن فكرة أن اليهود ظلموا أنفسهم بأنفسهم بمعصيتهم لله سبحانه وتعالى وبغيهم عليه، فأورثهم الله تلك العقوبة. ومن أمثلة النوع الثاني المشار له آنفاً قوله تعالى: {إياك نعبد وإياك نستعين}، حيث تقدّم المفعول به المتمثل في ضمير الفصل {إياك} على الفعل وفاعله ليدلّ المعنى على توسّل العبد لخالفه قائلاً له: أعبدك يا الله، ولا أعبدُ أحداً سواك. ولو وقع المفعول به في مكانه المعتاد كما في قولهم: نعبدك يا الله ونستعين بك، لفسد المعنى فساداً بيّناً صريحاً، وكأنهم قالوا في هذه الحالة: نعبدك يا الله ونستعين بك ولكن لا يمنعنا هذا من أن نعبد سواك، ونستعين بغيرك، وهذا لا يستقيم قولاً ولا فعلاً. وفي هذا كله دليل قاطع على خصوصية أسلوب (التقديم والتأخير)، وفضله في تقوية

المعاني وتصويبها، وعليه لم يكن غريباً على شاعرٍ في قامة المتنبي الأدبية والفكرية أن يكثر من الميل إلى استخدامه على النحو الذي رأيناه في الأمثلة المذكورة، وفي غيرها ممّا ورد في قصائد أخرى 16.

### ثانياً: الأسلوب الإنشائي:

كان المتنبي كثير الميل إلى الأساليب الإنشائية المتمثلة في: الأمر، والاستفهام، والنداء، والتّمني، والتّهي؛ لأنها تضي على الكلام أقداراً متفاوتةً من الحيوية، وتشحذ ذهن المتلقي، بل وترفع من حجم المتعة والإثارة التي ينعم بها في أثناء قراءته واطلاعه. والشائع عند أهل الاختصاص أن الأسلوب الإنشائي غالباً ما يفوق الأسلوب الخبري من حيث الجمال وقوة التأثير، لكونه ينأى عن التقريرية المقيتة في الوصف، وعن الجمود الذي يصاحب الكلام الخبري في كثير من صورته وأنماطه. والحقّ يُقال كان المتنبي يمتلك من أدوات النظم والتأليف ما جعله يسمو بجمله وعباراته الخبرية من حيث الدلالة والبناء الشعري على النحو الني سنراه في تحليل الدّالية المشهورة التي صاغها في مدح أمير حلب سيف الدولة الحّمّداني. وعليه، سيكون الحديث مقصوراً في المساحة الآتية على عدد من النماذج والأمثلة التي تكشف، بصورة أو بأخرى، عن احتفاء المتنبي بالأساليب الإنشائية المذكورة آنفاً.

#### 1 - أسلوب الأمر:

يدلّ الأمر، في معناه الأصلي، على طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء، وفي أحيان كثيرة يخرج الأمر عن هذا المعنى ليبدل على معانٍ أخرى تُعرف من سياق الكلام، وقرائن الأحوال، مثل: الدعاء،

والالتماس، والإرشاد، والتسوية، والتوبيخ، والإباحة، والإهانة، ونحو ذلك<sup>17</sup>.

والناظر في شعر المتنبي يجد أن المواقف التي تدفعه إلى استخدام هذا الأسلوب تتمحور في خطابه الموجّه إلى أحد ممدوحيه، عندما تجتاح نفسه عوامل الإعجاب والانبهار ببسالة هذا الرجل أو ذلك، أو في خطابه لنفسه عندما يغمره الثّيبُ والعُجْبُ بها فيصدق بتميّز صفاته الذاتية، وخصائص شعره التي لا ترى عيناه ما يُضاهيها عند سائر شعراء العربية. ليس ذلك فحسب، بل نصادفه يتوسّل أسلوب (الأمر) عندما يجرد من نفسه رقيقاً يلزمه في رحلة ما، أو صاحبين يشاركانه عناء السفر على النحو الذي فعله امرؤ القيس في معلقته المشهورة. وهو في كلّ ذلك لا يستخدم (الأمر) بمعناه الحقيقي المباشر، بل يُحيله إلى معانٍ أخرى تكشفها طبيعة السياق، أو العبارة الواقع فيها. استمع إليه يمدح شجاع الدين بن محمد الطائي المنبجي في إحدى داليّاته<sup>18</sup>:

**كُنْ حَيْثُ شَنْتَ تَسِرْ إِلَيْكَ رَكَابُنَا \*\*\* فَالْأَرْضُ وَاحِدَةٌ وَأَنْتَ الْأَوْحَدُ (الكامل)**

**وَصُنِّ الْحُسَامَ وَلَا تُذَلِّهِ فَإِنَّهُ \*\*\* يَشْكُو يَمِينِكَ وَالْجَمَامُ تَشْهَدُ**

يطلب من ممدوحه أن يظلّ على حاله باقياً في أية واحدة من بقاع الأرض، ولا يحفل بكونها قريبةً أو بعيدة؛ لأنه الشخص الوحيد الجدير بأن يُزار، وتضرب له أكباد الإبل وإن بُعدت المسافة بينه ومن ينشد لقاءه. وفضلاً عن ذلك يطلب منه أن يكفّ عن القتال، ويودع سيفه في غمده بغية ستره والحفاظ عليه، وألا يتمادى في امتهان هذا السيف وابتذاله في قتالٍ لا أمدّ له ولا نهاية، إذ من الواجب عليه الاكتفاء برؤية هذا الكم الكبير من الجمام

التي أسقطها هذا السيف القاطع البتار. ولعلنا نشتم من هذين الفعلين الأمرين (كُنْ، وصُنْ) رائحة التوسّل والالتماس، ونلمس فيهما جانباً من النصيحة المفعمة بعبق الحبّ والاحترام.

وفي الدّالية الأكثر شهرةً وذيوعاً يطلب المتنبي من سيف الدولة إرضاءه بتحقيق غابيتين ظلّتا تؤرّقانه، وتجهدان فكره لوقت طويل بأن يكبت حسّاده ويزيل حقدهم الدّفين، وأن يجزيه خير الجزاء كلما انبرى شاعرٌ هنا أو هناك لمدحه، لكون المتنبي الأصل، وليس الآخرين سوى أصداء له يردّدون شعره، ويقتبسون من معانيه التي لا يقدر شاعرٌ على ابتداع ما يوازيها قوّةً وجمالاً، وحُسنَ نظم، وذلك قوله 19:

أزل حسدَ الحسادِ عني بكبتهم \*\*\* فأنت الذي صيرتهم لي حسداً  
أجزني إذا أنشدت شعراً، فإتما\*\*\* أنا الطائرُ المحكي، والآخرُ الصدى

لم يستخدم المتنبي هذين الفعلين الأمرين (أزل، وأجزني) في سياق يمكن أن يجرّ عليه ما لا يرضاه من الأمير المحبوب، بل صاغهما ضمن سلسلةٍ من الأبيات المتناسكة المعاني تمجّد سيف الدولة جسارَةً، وحلماً، وكرماً فياضاً، ودرجةً عاليةً من الذكاء والدّهاء وحُسن التدبير، ولذلك كان وقعها طيباً في نفس الممدوح، وهذه واحدة من مزايا أسلوب الأمر، وسحره الأخاذ في صوغ المعاني.

وتجدُر الإشارةُ هنا إلى أن الصيغ الأمرة في خطاب المتنبي لأميره المحبوب كثيرة، ولا تسمح طبيعة هذه الدّراسة بتقصّيها وحصرها بالكامل، وذلك من أجل التنوّع والنظر في مديح المتنبي لأمرء ورجالٍ آخرين. وحسبنا أن نذكر منها توّسله لسيف الدولة ورجاءه إيّاه بأن يرفق ويُبدي حلمه



المعهد على هؤلاء الخصوم؛ لأنّ في ذلك تعزيراً لمكانته السّامية، وعلوّاً لشانه بين الناس:

ترفق أيّها المولى عليهم \*\*\* فإن الرفق بالجاني عتاب 20 (الوافر)

وقال بعد أن أهداه سيفُ الدولة فرساً دهماً وجارية:

قأبلغ حاسديّ عليك أنّي \*\* كبا برقّ يحاول بي لحاقاً 21 (الوافر)

وقال في مناسبة أخرى 22 (الوافر)

أسيفَ الدولة استجدّ بصبرٍ \*\*\* وكيف بمثل صبرك للجبال

وتراه يتوسّل في هذا البيت أسلوب (الأمر) لكي يلصق بممدوحه صفةً عزيزةً أخرى في كونه الرّجل والفراس الذي يعلمُ الناسَ معاني التعزّي، وخصوصية الثّبات في ساحات الوعى.

وعندما زار المتنبي كافوراً الإخشيدي بعد القطيعة التي وقعت بينه وسيف الدولة، وانتابه إحساسٌ كاد أن يصدّقه مفادُهُ أنّ كافوراً سيهبه ولاية، توسّل لكافور بصيغة الأمر كي يجربّه ويمنحه الفرصة لعله يجد ضالته في شخصه الطموح، وفي مدائحه التي تسير بها الركبان، فقال 23:

فكنُ في اصطناعي مُحسناً كمجربٍ \*\*\* بينك تقريبُ الجواد وشدّه (الطويل)

إذا كنتَ في شك من السيف فابلهُ \*\*\* فإمّا تنقيّه وإمّا تعدّه

وحتى لا يكون فعل الأمر فجاً في هذا السياق، أو مثيراً لقلق كافور وشكّه قرنه الشاعرُ بفكرة التجريب وإتاحة الفرصة، فإن وجده كما زعم وادّعى اصطفاه وكافأه، وإن لم يجد فيه ما تشتهي نفسه لفظه، أو تركه على حاله. ولنا أن نلاحظ كيف أوجد أسلوب الأمر الواقع في هذا السياق فرصةً طيبةً للشاعر كي يتوسّل فيها لممدوحه بأسلوبٍ فيه من أسباب المنطق والثقة بالنفس ما فيه، فضلاً عن إيجاده لهذه المساحة التي مكّنت الشاعر من

رسم صورة بيانية رائعة عندما شبّه نفسه بالسيف الذي يدرك الفارسُ كنهه وأصالة معدنه بالتجربة والبيان بالعمل، فإنَّ وجده ضعيفاً كَهاماً تركه، وإنَّ ألفه حُساماً ماضياً اعتدَّ به، واعتمد عليه.

وقال في مخاطبة عبّيد الله بن خلّكان بعد أن تلقى منه هديةً أثارت في نفسه غريزة المدح والثناء 24:

أَقْصِرْ فَلَسْتَ بَزَائِدِي وُدّاً \*\* بَلِغِ الْمَدَى وَتَجَاوِزِ الْحَدَّ (الكامل)  
يطلبُ من ممدوحه أن يكفَّ عن إرساله للهدايا، وإغداقه بالنعمة؛ لأنَّ جوده قد وصل إلى غايته ومنتهاه، ولم يعد من سبيل لتجاوز هذا الحد. وبطبيعة الحال لا يدلُّ (الأمر) هنا على الإيجاب والإلزام ولكنه ضربٌ من ضروب المبالغة في الشكر والثناء. وفي قوله (أَقْصِرْ) نكتةٌ لغوية تستحق الذكر؛ لأنه أمرٌ من الفعل الرَّبَاعِي (أَقْصَرَ). فإذا قال قائل: أَقْصَرَ فلانٌ عن فعل هذا الشيء، عَنَى بذلك كَفَّ عنه وهو قادرٌ عليه، بعكس ما لو كان (الأمر) مأخوذاً من الفعل الثلاثي (قَصَرَ)، لأنه يدلُّ - عندئذٍ - على العجز وعدم القدرة.

وقال في مدح أبي شجاع محمد بن أوس بن مَعْن بن الرِّضا الأزدي:

أَمْطِرْ عَلَيَّ سَحَابَ جُودِكَ ثَرَةً \*\*\* وانظر إليَّ بِرَحْمَةٍ لا أَغْرُقُ 25 (الكامل).  
نصادف في هذا البيت الفكرة التي استحوذت على خيال المتنبّي وطرائقه في مدح الرِّجال في كون الممدوح يُغدق عليه من النعمة والهدايا ما لم يُعد هو قادراً على احتماله، وهو بذلك يُثير حماسة الممدوح ويدفعه دفعاً إلى مزيد من الودِّ والعطاء، وهذه واحدةٌ أخرى من مزايا أسلوب الأمر، وأغراضه الدلالية.

وفيما يخصُّ ما ذُكر آنفاً من أنَّ المتنبّي يلجأ إلى أسلوب الأمر - أحياناً

- عندما يجرد من نفسه رفيقاً ملازماً له في رحلة ما، أو صاحبين يشاركانه معاناة السفر والتّرحال، نجد قوله:

قفاتريا ودقي فهاتا المَخايلُ \*\*\* ولا تخشياً خُفأً لما أنا قائلٌ 26 (الطويل)  
يطلب من صاحبيه التّجدد والصّبر، وألاً يستعجلاً رؤية ما ظلّ يعدّهما به من أنه لا محالة سيحقق أهدافه ومراميه كلّها، وأنه لا يخلف وعداً قطعه على نفسه. ولك أن تلاحظ كيف أشرب المتنبي فعل الأمر (قف) معاني الرجاء والثقة، وضرورة التّصديق بكل ما يصدر عنه من أمانٍ أو وعود، فجاء كلامه تمهيداً مناسباً للحديث عن جهل خصومه وحسّاده فيما تلا هذا البيت. ومن ذلك قوله:

قفا قليلاً بها عليّ فلا \*\*\* أقلّ من نظرةٍ أزوّدها 27 (المنسرح)  
وقوله:

قف على الدّمنتين بالدو من ر \*\*\* يا كخالٍ في وجنةٍ جنب خال 28 (الخفيف)  
وقوله:

قفي تُعَرِّمِ الأولى من اللحظ مهجتي \*\*\* بثانيةٍ والمُتلفُ الشيءَ غارمه 29 (الطويل)  
2 - الاستفهام:

من أشهر التّعريفات التي وضعها البلاغيون العرب للاستفهام قولهم هو « طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل » 30، وتستخدم لأداء هذا الغرض الأدوات الآتية: هل، والهمزة، ومَنْ، وما، وكيف، وأيّان، وأين، وكم، وأيّ، ولكلّ واحدة منها معنّى ودلالة. والاستفهام الذي يُعْتدُّ بوقوعه في الكلام البليغ هو الذي يخرج صاحبه عن مقتضى الظاهر، ويجعل له أثراً فاعلاً في التعبير عن المعنى المراد، وتحقيق إحدى غايات البلاغة المنشودة.

فعلى سبيل المثال نجد أنّ قوله جلّ شأنه: {هل جزاء الإحسان إلا الإحسان} (الرحمن/60)، يعبر عن معنى (التّفي)، وإن كان ظاهره الاستفهام، وعبر قول قيس بن الملوّح المشهور:

أسرب القطا هل من معير جناحه\*\*\* لعلي إلى من قد هويت أطيّر  
(الطويل)

عن تمّي المستحيل الذي لا يمكن تحقيقه، وهكذا يكون القول في سائر أدوات الاستفهام المذكورة.

هذا، وقد وقعت (هل) في شعر المتنبي مرّاتٍ عديدة معبرةً عن معانٍ وغاياتٍ وضعها الرّجل نصبَ عينيه وألحّ على حدوثها وتحقيقها إلحاحاً بعيد المدى. من ذلك عندما شعر بعزلةٍ قاسيةٍ أقضت مضجعه انتهى به الأمر إلى قناعةٍ تامّةٍ أنه لن يخرج ممّا هو فيه إلا إذا وجد عند سيف الدولة قبولاً ورضاً، بيّد أنه لم يلجأ إلى خطابه بسؤالٍ مباشرٍ لا يليق بهذا المقام، بل مال إلى ترويض أداة الاستفهام (هل) وإفهامها بمعاني التّوسل والرّجاء والعشم أن يتّخذ حليفاً له يحيا في كنفه وحمائته، وبذلك يبعد الهمّ والغمّ عن كاهله ويعوّضه ففده لآخرين لم يعد هو قادراً على التعايش معهم، وذلك قوله:

فهل لك في حلّفي على ما أريده\*\*\* فإنّي بأسباب المعيشة أعلم<sup>31</sup>  
(الطويل) وفي قوله:

بعيشك هل سلّوت فإنّ قلبي\*\*\* وإنّ جانبك أرضك غيرُ سال<sup>32</sup>  
(المتقارب)  
تعبّر (هل) عن معاني التّحسّر واستدامة الحزن الذي أصاب الشاعر لفقد هذه المرأة العزيزة على نفسه قائلاً في رثائها: إذا كنتِ قد فارقت الحياة رغبةً منك في هجرها وسلّوها ونسيان كلّ ما فيها؛ فإنّي لن أترك الحزن

عليك ما دمتُ حيًّا، وسأظلُّ حاملاً لذكراك العطرة ولو رمتني النوى بعيداً  
عن أرضك.

وذهب المتنبي بمعاني (هل) ودلالاتها إلى أبعد مدى حين جعلها سبباً  
لتجسيد مفهوم المفارقة في قوله:

هل الولدُ المحبُّوبُ الأتعلَّةُ \*\*\* وهل خلوةُ الحسنةِ الأذى البعلُ 33 (الوافر)  
فَمَنْ مِنَ الرِّجالِ لا يَتَمَنَّى أن تكونَ زوجهَ حَسَناءَ، أو على قدرٍ عالٍ من  
الجمال، وَمَنْ منهم لا يَرجو أن يُنعمَ اللهُ عليه بالولد..

ولكن تكمن المفارقة في قول المتنبي المذكور في أنّ هذه الحسنة الفاتنة  
قد تجرُّ على بعلها ما لم يخطر على باله، كأنّ يتعلّق بحبِّ غيرها من النساء  
رغم فرط جمالها، وتكون العاقبةُ - عندئذٍ - قلقاً واضطراباً وعدم استقرارٍ  
عاطفي.

هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى قد تُنجب هذه المرأةً ولداً يسعدُ هو  
بتربيته رداً من الزمان قد يطول وقد يقصر، ثم تستحيل تلك السعادةُ إلى  
تعب وشقاءٍ يُنغصن حيايته ويكدّران عيشه، إما بسبب ما يصدر عن هذا  
الابن من أنماط سلوكٍ فاسدة، أو أن يُفجع بموته فيدخل بعد ذلك في حزنٍ  
دفينٍ لا حدَّ له ولا نهاية.

وإذا كان هذا هو شأن (هل) في شعر المتنبي؛ فإن (الهمزة) لم تكن  
أقلَّ منها مكانةً وشأنًا، فقد استخدمها في مرّاتٍ عديدةٍ للتعبير عن معنى  
(الإنكار) كما في قوله:

أمثلي تأخذُ النكباتُ منه \*\*\* ويجزعُ من ملاقاتِ الحِمامِ 34 (الوافر)  
يستنكر أن تنال النكباتُ والمصاعبُ من نفسه الأبيّة وتأخذ منه كلّ مأخذ،

وأن يمتلك الخوف والهلع هذه النفس فتجرع من ملاقات الموت.

ويقول في بيتٍ آخر:

أيمكُ الملكَ والأسيافَ ظامنةً \*\*\* والطيرَ جائعةً لحمً على وضَم 35

(البيسط)

وضع اللحم على الوضَم مثلٌ كانت تضربه العربُ للتدليل على ضعف الرجل وخنوعه، وعدم قدرته على الرّفص والامتناع. والمتنبّي هنا يستنكر أن يكون من هؤلاء فتوسّل أسلوب الاستفهام ليقوّي من معنى الإنكار، لكون الشخص الذي هذه صفته يظلُّ على الدوام عُرضةً لضرب السيوف المتعطّشة لدماء الجبناء والمتخاذلين، أو يكون عُرضةً للطيور الجوارح التي تنهش لحمه بعد قتله. ومن ذلك قوله:

أينكُرُ خذي دموعي وقد \*\*\* جرت منه في مسلكِ سابل 36

(المتقارب)

يُفعم الشاعرُ سؤاله هنا بمعاني التعجب والاستغراب أن يأتي زمانٌ ينتكّر فيه خذه للدموع التي طالماً سألت عليه وجرت في صفحته، فهو - إذن - استفهامٌ إنكاريّ مغلّف بروح الدّهش والحيرة. وقال أيضاً:

أريقكُ أم ماء الغمامة أم خمرٌ \*\*\* بفيّ برودٍ وهو في كبدي جمرٌ 37

(الطويل)

إذا العُصنُ أم ذا الدّعصُ أم أنتِ فتنةٌ \*\*\* وذيا الذي قبْلته البرقُ أم نعرُ  
أتاح له أسلوب الاستفهام بالهمزة في هذين البيتين وصفاً غير مباشر  
لحلاوة الرّضاب الذي في نعر المحبوبة مُشبهاً إياه بماء سحابة تارة، وبالخمر

تارةً أخرى، ثم يخرج في الشطر الثاني من البيت الأول للتعبير عن مفارقة لطيفة.. فإذا كان وقع الرّضاب في فمه بروداً، فهو في كبده جَمْرٌ حَرّاق، وبذلك يستغلّ الشاعرُ هذا النوع من طرائق الاستفهام لينغزل في محبوبته غزلاً حسيّاً مفراطاً في الحسيّة.. فقوامها لَيِّنٌ متننٌ كما الغصن النضر، وردُّفها قطعةٌ مستديرةٌ من الرَّمَل، وثغرهاً يفتُرُّ عن أسنانٍ بيضاء تلمع كما البرق.

ومن صور الاستفهام التي صاغها المتنبي مستخدماً الهمزة، وفيها من أسباب البلاغة وحُسن التّأليف ما فيها قوله:

أليس عجباً أن وصفك مُعجَزٌ \*\*\* وَأَنَّ ظُنُونِي فِي مَعَالِيكَ تَطَّلَعُ 38  
(الطويل)

وقوله:

أوما وَجَدْتُمْ فِي الصَّرَاةِ مُلَوَّحَةً \*\*\* مِمَّا أَرْقِرُقُ فِي الْفَرَاتِ دَمُوعِي 39  
(الكامل)

وقوله:

ألم يسأل الويل الذي رامَ ثنيناً \*\*\* فيخبره عنك الحديدُ المثلَّمُ 40  
(الطويل)

وقوله:

أظبيةُ الوحشِ لولا ظبيةُ الأنسِ \*\*\* لما غدوتُ بجِدِّ في الهوى تَعِسِ 41  
(البسيط)

وحذا المتنبي في سائر أدوات الاستفهام حذوه في (هل)، و (الهمزة).  
ومن ذلك قوله مستخدماً (أين):

42. أين فضلي إذا قنعت من الدهر \*\*\* ربيعٍ معجّلٍ التّكيد  
(الخفيف)

وقوله:

43. وأين من زفّراتي مَنْ كلفتَ به \*\*\* وأين منك ابن يحيى صولةُ الأسد  
(البسيط)

وقوله:

44. أين أزمعتَ أيّهذا الهمامُ \*\*\* نحن نبثُ الرّبي وأنت الغمام  
(الخفيف)

وقوله:

45. اليومَ عهدكمُ فأين الموعدُ \*\*\* هيهاتَ ليس ليوم عهدكمُ غدُ  
(الكامل)

وقال متوسلاً الاستفهام بـ (متى):

46. متى يشتفى من لاعج الشّوق في الحشا \*\*\* محبٌّ لها في قُربهِ مُتباعِدُ  
(الطويل)

والمعنى المراد أن الشاعر يتساءل وقد نالت منه الحيرةُ منالاً بعيداً متى يحظى بالشفاء التّام من هذا الذي أصابه من شدّة تعلّقه بهذه المرأة، فكلما دنا وقُربَ منها بشخصه غلب عليه العفافُ فأثر الدّهاب والبعد عنها.

### 3 - النّداء:

عرّف البلاغيون النّداء بقولهم: «هو طلب المتكلّم إقبال المخاطب عليه بحرفٍ نابٍ منابٍ أدعو» 47، وأدواته: الهمزة، وأيٌّ ويُنادى بهما القريب، ويا، وأيّا، وهيا، و (وا) وينادى بها البعيد. وقد تُحذف أداة النّداء إذا فهم معناه



من سياق الكلام، نحو قوله تعالى {يوسفُ أعرض عن هذا...}، (يوسف/29). ويتكون أسلوبُ النداء من أحد أحرف النداء المذكورة، والمُنَادَى وهو مَنْ يُراد إقباله على المُنادي بنفسه، أو بانتباهه. وينقسم المُنَادَى إلى قسمين، حيث يكون القسمُ الأوّل مبنياً على ما يُرفع به، ويحدث ذلك في صورتين: إذا كان علماً مفرداً (غير مضافٍ ولا شبيهه بالمضاف) مثل: يا محمدُ (مبني على الضم)، ويا طالبان (مبني على الألف)، يا معلمون (مبني على الواو).

إذا كان نكرة مقصودة (محدّدة، ومعينة)، مثل: يا سائقُ توقّف. ويكون القسم الثاني من المُنَادَى منصوباً، ويحدث ذلك في ثلاث صور: إذا كان مضافاً، مثل: يا كاتبَ الرّواية. إذا كان شبيهاً بالمضاف، مثل: يا عظيماً عطاؤه.

ج - إذا كان نكرة غير مقصودة (لشخص غير مُعيّن)، مثل: يا مضيعاً وقته فيما لا يفيد.

ولا يُنَادَى ما فيه (أل) إلا بالإتيان بـ (أيها) أو (أيتها) قبله، مثل: يا أيها المعلمُ، ويا أيتها المعلمة. وهذه كلّها معلوماتٌ رئيسة عن أسلوب (النداء) مبنوثةٌ ومتاحةٌ في كتب النّحو العربي المختلفة. والذي يُهمُّ في هذا الدّراسة أنّ المساحات المتاحة في أسلوب (النداء) تسمح للمبدع بالخروج عن مقتضى الظاهر متى شاء ليأتي بجملٍ وعبارةٍ ظاهرها النداء، وينطوي باطنها على غاياتٍ مقصودة، مثل: الزيادة في المدح أو المبالغة في الذم، أو إظهار عاطفةٍ جامحة، أو التعبير عن معاني التّحسّر، والتعجب، والندبة.. إلى آخر هذه الغايات التي يرتبط التعبير عنها، في المقام الأوّل، بقدرات المبدع

البلاغية وحجم الأدوات التي يمتلكها في النظم والتأليف.  
ويلاحظ الناظرُ في شعر المتنبي أنّ الرّجل كان دائم الميل إلى أسلوب  
النداء بألوانه وصوره المختلفة. فاستخدامه لـ (يا) كثيرٌ ويقع بين الفنية  
والأخرى في ديوانه، مثل:

يا ذا الذي يَهَبُ الجزِيلَ وعنده \*\*\* أني عليه بأخذه أتصدّقُ48  
(الكامل)

وقوله:

يا مَنْ لوجود يديه في أمواله \*\*\* نَقَمَ تَعوُدُ على اليتامى أنعمًا49  
(الكامل)

وقوله:

يامن نلوذ من الزمان بظّله \*\*\* أبدأ ونطردُ باسمه إبليس50 (الكامل)  
ويستخدم الهمزة كما في قوله:

أسيفَ الدولة أستنجد بصبر \*\*\* وكيف بمثل صبرك للجبال51 (الوافر)  
وقوله:

أبرحتَ يا مرضَ الجفون بممرضٍ \*\*\* مرضَ الطبيب له وعيد العوُدُ52  
(الكامل)

وكثيراً ما تدخل (أيّها) على المنادى لكونه معرفةً، مثل قوله:

يا أيّها الملك الغاني بتسميةٍ \*\* في الشرق والغرب عن وصفٍ وتلقب53  
(البسيط)

وقوله:

فيا أيّها المطلوب جاوره تمتنعُ \*\*\* ويا أيّها المحروم يَممه تُروقُ54  
(الطويل)

وقوله:

ألا أيها القيل المقيم بمنبج \*\*\* وهمتُهُ فوق السِّمَاكَيْنِ توضعُ 55  
(الطويل)

وقوله:

يا أيها الملكُ المصفى جوهرًا \*\*\* من ذاتِ ذي الملكوتِ أسمى مَنْ سما 56  
(الكامل)

ولم يقتصر التنوع في أسلوب النداء عند المتنبي عند حدّ تنوع الأدوات المستخدمة، بل نجده يطال السِّياق النحوي للمنادى فيأتي به مُضافاً كما في قوله:

يا عاذلَ العاشقين دَعُ فنةً \*\* أضلّها الله كيف ترشدها 57  
(المنسرح)

وقوله:

يا رجاءَ العيون في كلِّ أرضٍ \*\* لم يكن غير أن أراك رجائي 58  
(الخفيف)

وقوله:

يا أكرمَ الأكرمين ما ملكَ الـ \*\*\* أملاك طراً يا أصيد الصيد 59  
(المنسرح)

وقد يأتي به شبيهاً بالمضاف كما في قوله:

يا مُغنياً أملَ الفقير لقاؤه \*\*\* ودعاؤه بعد الصلّاة إذا دعا 60  
(الكامل)

وفي أحيان كثيرة يقرن المتنبي أداة النداء (يا) باسم الموصول (مَنْ) كما في قوله:

يا من يعزُّ الأعزة جاره \*\*\* ويذلُّ من سطواته الجبارُ 61  
(الكامل)

وقوله:

يا من يسيرُ وحكمُ الناظرين له \*\*\* فيما يراه وحكمُ القلب في الجدلِ 62  
(البيسط)

وقوله:

يا من يعزُّ علينا أن نفارقهم \*\*\* وجداننا كلَّ شيءٍ بعدكم عدمُ 63  
(البيسط)

وفي أحايين أخرى يحذف المتنبي أداة النداء إذا قام في السياق ما يدلُّ عليها، مثل:

أبا المسكِ أرجو منك نصراً على العدا \*\*\* وأمل عِزّاً يخضبُ البيضَ بالدمِ 64  
(الطويل)

وقوله:

أبا المسكِ ذا الوجهِ الذي كنتُ نائفاً إليه \*\*\* وذا اليومِ الذي كُنْتُ راجياً 65  
(الطويل)

وقوله:

أبا كلِّ طيبٍ لا أبا المسكِ وحده \*\*\* وكلِّ سحابٍ لا أخصُّ الغواديا 66  
(الطويل)

وربما كان الدافعُ الرَّئيس لميل المتنبي إلى أسلوب النداء، بطرائقه المختلفة، رغبته العارمة في الثناء على ممدوحيه والمبالغة في ذلك خاصة في مدحه الذي خصَّ به أمير حلب سيف الدولة، وحاكم مصر كافوراً الإخشيدي. ذلك لأنه كاد أن يصل إلى حدِّ اليأس في الحصول على منصب سياسي، فلم يجد من سبيل سوى الإمعان والزيادة في مدح هذين الرَّجلين لقناعته التامة أن

تحقيق هذه الغاية الغالية لن يتمّ إلا عبر استجابة أحدهما لتوسّله الدائم ورجائه الذي لم ينقطع حبّله. وإذا ما أعدنا النظر في الأبيات الثلاثة المذكورة أعلاه التي قالها في مدح أبي المسك كافور الإخشيدي يتّضح لنا إلى أيّ مدى كان المتنبّي يشعر بأن أمامه فرصةً أخيره لجعل حلمه حقيقة، ولذلك لم يجد بُدّاً من أن يتوسل لكافور كي ينصره على أعدائه، ولم يتورّع - فضلاً عن ذلك - من التّصريح بأن كافوراً هو الشخص الذي كان يبحث عنه طوّال حياته، وأن هذا اليوم الذي جمعه به هو الأفضل والأجمل في أيام عمره كلها، ولم يجد أمامه - من ثمّ - سوى الزيادة في مدح كافور، والمبالغة في ذلك حتى جعله أباً للمسك ولكلّ عود طيّب، بل صيّره أباً لكلّ سحابٍ يلوح في السماء الغوادي منه وغير الغوادي.

وإذا كان أسلوب (النداء) يُضفي على المدح ضرباً من ضروب الزيادة والمبالغة، فإنه قد يفعل الشيء نفسه في الهجاء. قال المتنبّي في هجاء امرأة:  
يا وجهَ داهيةٍ الذي لولاك ما \*\*\* أكلَ الضنى جسدي ورَضَّ لأَعْظَمًا 67  
(الكامل)

قال ابنُ فوجة: «.. داهية ليست باسم علم، ولكنّ كُنّي بها عن اسمها على سبيل التّضجّر لعظيم ما حلّ به من بلائها، أي أنّها لم تكن إلا داهية عليّ» 68.

### 3 - التّمني:

يعني التّمني في عُرف البلاغيين العرب «طلب الشيء الذي لا يرجى، ولا يُتوقّع حصوله» 69. وفسّر بعضهم عبارة (لا يُرجى) لكونه شيئاً مستحيلًا، أو لبعده مناله 70. وتمثّل (ليت) أدوات الرّئيسة التي تدلّ على طلب المستحيل،

وهناك أدوات أخرى تعبّر - أحياناً - عن تمّني المستحيل، بيد أنها تقلّ شأنًا ودلالةً عن (ليت) لكونها موضوعةً في الأصل للتعبير عن معانٍ وأغراض أخرى، مثل: هل، ولو، ولعلّ، وهلاّ، وألاّ.

ولعله من المعلوم أنّ المتنبّي كان رجلاً طموحاً، وكان دائم السّعي والاجتهاد في تحقيق غاياته وأهدافه المشروعة. وربما لم يستعص عليه أمرٌ سوى ذلك الذي كان مرتبطاً برغبته الملحة في الحصول على منصب سياسي، ولذلك لم يجد بدّاً من استدعاء أسلوب التمني بـ (ليت) كلّما أحسّ ببعد المسافة بينه وذلك الحلم الذي أقضّ مضجعه، وزاد من تباريح قلقة وتوتّره. ومن ذلك قوله:

لَيْتَ الغَمَامَ الذّي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ \*\*\* يُزِيلُهُنَّ إِلى مَن عِنْدَهُ الدِّيمُ 71  
(البسيط)

يشبه ممدوحه هنا بالسحاب الممطر الذي إمّا أن يُصيب الناس بخير كثير، وإمّا يُنزل عليهم صواعقه المدمّرة. فهو - إذن - يتوسّل إلى ممدوحه متمنياً أن يكفّ عنه غضبه وأذاه، ويمنحه برّاً ورضاً هو في أمسّ الحاجة إليهما، وهذان أمران اعتاد الممدوح بذلّهما لغيره من الناس. وبعيداً عن السّياقات المذّحية يستخدم المتنبّي (ليت) للتعبير عن تمّنيه لأشياء أخرى، مثل قوله:

فليت هوى الأحبة كان عدلاً \*\*\* فحمل كلّ قلبٍ ما أطاها 72 (الوافر)

يذهب المتنبّي في هذا البيت إلى التّغني بخصوصية حبه وعشقه اللذين لا يُدانيهما حبٌّ أو عشق، ولذلك لم يجد فكاكاً من تمّني شيءٍ أشبه بالمستحيل أن يكون المحبوب عادلاً في حكمه وفعله، وألاّ يحمله فوق طاقته وسعته؛ لأن في ذلك جوراً عليه وظلماً كبيراً.

ومثلُ قوله:

لَيْتَ الْحَوَادِثَ بِاعْتَنِي الَّذِي أَخَذْتُ \*\* مَنِّي بِحَلْمِي الَّذِي أَعْطَيْتَ وَتَجْرِبِي 73

(البسيط)

يقول: إنَّ الزمن أخذ منه شبابه وعنفوانه، وأعطاه - بدلاً من ذلك - كلَّ ما يتعلق بأسباب الحكمة ورجاحة الرأي، وخصوبة التجربة. وفيما يبدو لم يكن الشاعر راضياً عما حدث له بفعل الزمن، فانبرى مخاطباً إياه متمنياً المستحيل أن يردَّ إليه الزمنُ ما أخذه منه، ويأخذ - في المقابل - ما أعطاه. وهكذا كان المتنبي دائمَ الميل إلى التعاطي مع الأساليب الإنشائية سعياً وراء إضفاء الحيوية في طرائق نظمه، وإفساح مجالاتٍ أرحب لخياله ومعجمه اللغوي في التأليف والنظم، ولذلك كانت أساليبُ: الأمر، والاستفهام، والنداء، والتَّمَنِّي حاضرةً في كثير من أشعاره على النحو الذي بيّنته هذه الدراسة. هذا، ولم يكن أسلوب (النهى) غائباً في ديوان المتنبي، فقد مال إليه في مناسباتٍ عديدة متوسلاً الدلالة على معانٍ تخرج عن معناه الأصلي المعروف الذي يعني طلب الكفِّ عن الفعل، أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء. فما هو يخاطب نفسه واضعاً أسلوب (النهى) موضع الاستفهام، ليجسّد فكرة كراهيته للذلِّ والهوان بعبارةٍ فيها قدرٌ أعظم من البلاغة وحسن التأليف. استمع إليه يقول في إحدى قصائده التي أنشدها بين يدي كافور الإخشيدي:

إِذَا كُنْتَ تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ بِذِلَّةٍ \*\*\* فَلَا تَسْتَعِدِّنَ الْحُسَامَ الْيَمَانِيَا 74

(الطويل).

وَلَا تَسْتَطِيلَنَّ الرِّمَاحَ لُغَارَةٍ \*\*\* وَلَا تَسْتَجِيدَنَّ الْعِتَاقَ الْمَذَاكِيَا

فَلَا يَنْفَعُ الْأَسَدَ الْحَيَاءُ مِنَ الطَّوَى \*\*\* وَلَا تُتَّقَى حَتَّى تَكُونَ ضَوَارِيَا

وقال في مناسبة ثانية جاعلاً من أسلوب (النهى) واحداً من معاني التحقير،  
والتقليل من شأن المخاطب:

لا تحسبوا من أسرتكم كان ذا رمقٍ \*\*\* فليس يأكلُ إلا الميته الضبُع 75  
(البيسط)

وقال في أخرى يلتمس من الممدوح عدم الإصغاء إلى أعدائه، أو الأخذ  
بشهاداتهم التي يروونها ضده، مشبهاً إياهم باليهود:

فلا تسمعن من الكاشحين \*\*\* ولا تعبان بعجل اليهود 76  
(المتقارب)

ولما كان الهدف الرئيس من هذه الدراسة يتمثل في الكشف عن  
جماليات النظم والتأليف في شعر المتنبي، كان لابد من اتخاذ واحد من  
نصوصه الشعرية نموذجاً تطبيقياً يعبر عن حجم هذه الجاليات وتعدّد  
صورها، وقد وقع الاختيار على (داليتّه) التي نظمها في مدح سيف الدولة  
الحمداني؛ بوصفها واحدة من أشهر قصائده، ومن أكثرها جودةً وجمالاً.

### عَرَضُ النَّصِّ 77

تتألف (الدّاليتّه) من واحدٍ وأربعين بيتاً على بحر الطّويل نظمها المتنبي في  
مدح سيف الدولة، ولم يجد حرجاً في مدح نفسه التي كان شديد الإعجاب  
بها في ثنايا هذه القصيدة، فضلاً عن التّعني بمزايا شعره وقوة تأثيره. وجاء  
في القصيدة وصفٌ مثيرٌ للدّمستق رئيس الروم، ووصفٌ لابنه وللجيش  
الرّومي الذي أظهره صوراً من الضّعف والانكسار أمام جيش سيف الدّولة  
وجسارة مقاتليه. وبطبيعة الحال لم تخلُ القصيدة من معاني الحكمة، أو تلك  
التي تعدّ من باب الأقوال المأثورة. استهلّ المتنبي القصيدة في صدر بيتها  
الأول بعبارة فيها من دلالة التعميم ما فيها أن جعل لكلّ إنسان - بالضرورة



- عاداتٍ وأنماطاً من السلوك جُبِلَ عليها وأصبحت أمراً حتمياً في تعامله مع نفسه من جهة، ومع الآخرين من جهةٍ أخرى. وأظهر المتنبي هنا قدراً عالياً من براعة التأليف حيث لم يأخذ وقتاً طويلاً في التعميم، بل تخلص في عجز البيت نفسه إلى الحديث المباشر عن سيف الدولة والخوض في غرضه الأساس المتمثل في مدح هذا الرجل الذي أبهره بشجاعته وخصوصية قدراته القتالية، وبذكائه وطموحه اللذين لا تحدّهما حدود، وبكرمه الفيّاض الذي تجاوز المدى، وفاق حدّ التّصور. وبهذا يكون المتنبي قد أتى في مطلع القصيدة بما تواضع البلاغيون على تسميته ببراعة الاستهلال، وذلك قوله:

لكلّ امرئٍ من دهره، ما تعودا \*\*\* وعادة سيف الدولة الطعن في العدى

ولك أن تلاحظ هنا أن الحديث عن جسارة سيف الدولة وقتالية جيشه باتا أمرين ممكنين لخروجهما من صلب المعنى الذي انطوى عليه البيت الأول، وهذه واحدة من سمات النصّ الجيد الذي يفترض فيه وجود هذا القدر من التماسك النصّي. فرض سيف الدولة وجيشه حالةً من الهلع والخوف والارتباك على جيش الروم المدجج بالعدد والعتاد. ذلك لأنه رجلٌ عملي لا يلتفت إلى الأكاذيب والشائعات، ولا يعبأ بالأراجيف لأنه يعرف كيف يحيلها جميعاً إلى أضرارها ويجعل منها دافعاً مؤثراً من أجل تحقيق أسمى الغايات، وأنبل الأهداف. ويصوّر المتنبي ممدوحه أنه يكون في غاية السعادة والسرور كلما نما إلى علمه أنّ عدوّاً ما يفكر في خوض حربٍ شاملة ضده، لكونه رجلاً يعشقُ ملاقاته الخصوم وقتالهم. وأنّ من يسعى إلى ضرّه أو إلحاق الأذى بجيشه الباسل سينقلب السحرُ عليه ويضرب نفسه، بل ويقدم له هدايا عظيمة القدر والثمن، لكونه خاسراً بلا ريب وتاركاً العتاد والغنائم

وراء ظهره. وأنّ مَنْ لم يعرف الله طَوَالَ حياته، ولم يذُقْ طعمَ الإسلام بسبب تيهه وجبروته وتعالیه الفارغ؛ سينعمُ بذلك بعد أن يتجرّع الهزيمة المُرّة أمام سيف الدولة وجيشه، وتكون النتيجة - عندئذٍ - الاستسلام الكامل، والخضوع غير المشروط، بل والنطق بالشهادتين في نهاية الأمر، وعليه يكون من الضروري على مَنْ يريد الاقتراب من هذا البحر التّحليّ بالحيطه والحذر لكيلا يلقي بنفسه إلى التهلكة. وطبعيُّ أن تخشى كلُّ ملوك الأرض رجلاً هذه هي صفته، وتظلُّ خاضعةً لسلطانه، وطبعيُّ أن يجتمع بين يديه مالٌ كثيرٌ وفير تجلبه رماحه وسيوفه القواطع كناية عن كثرة الغنائم التي تخلفها الجيوش المنحدرة، وتأتي - من ثمّ - هذه المفارقة اللطيفة.. فالمال الذي جاء بعامل الجسارة والصرامة وضراوة القتال، يبدده - في المقابل - التّبسم والجداء؛ لأن الممدوح كريمٌ جوادٌ يقابل سائله بوجهٍ متهللٍ تعلوه الابتسامة الصادقة، وترتسم على معالمه علامات البذل والعطاء وإكرام الضيف. وردت هذه المعاني في الأبيات الواقعة بين قوله:

وأنْ يكذبَ الإرجافَ عنه بضدّه \*\*\* ويُمسي، بما تنوي أعاديه أسعدا

وقوله في البيت الثامن:

وثحيّ له المال الصّوارمُ والقنا \*\*\* ويقتل ما تحيي التّبسمُ والجدّا

لم يأت المتنبي بالمفارقة المذكورة عبثاً، بل جعلها مبرراً لإلصاق صفتي الشجاعة والكرم اللتين تقربان الممدوح من نفوس مقاتليه، وتكسبانه حبّ الناس جميعاً، ولذلك جاء ذكره لصفة الذكاء في البيت التالي سلساً وواقعاً في مكانه المناسب، ليذهب - من ثمّ - إلى القول بأنّ ذكائه هذا هو الذي جعله ذا بصيرة نافذة يُحسن التوقعات فيعمل لكل أمرٍ ألف حساب حتّى غدا رجلاً

ذا طموح لا تحدّه الحدود، ولا تقف دونه الصّعاب والعراقيل، وذلك قوله:

نَكِيٌّ تَظْنِيهِ ظَلِيْعَةٌ عَيْنُهُ \*\*\* يَرَى قَلْبَهُ، فِي يَوْمِهِ مَا تَرَى غَدَا

وَصَوْلٌ إِلَى الْمَسْتَصْعَبَاتِ بِخَيْلِهِ \*\*\* فَلَوْ كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ مَاءً لَأُورِدَا

ولمّا كان هذا هو شأن سيف الدولة، وكانت تلك صفاته بات أمرٌ هزيمة جيش الروم وسحقه شيئاً بدهياً. ولا غرابة، والحال كذلك، أن يلقى ابنُ رئيس الروم حتفه في ساحة المعركة، وينجو الوالدُ وهو يجرُّ أذيال الهزيمة والاندحار، وكأنما كُتب له عمرٌ جديد في ذلك اليوم.

وتتجلّى عبقرية الوصف عند المتنبي عندما مال إلى التصريح أولاً بما انتهت عليه تلك المعركة حيث قُتل ابنُ رئيس الروم، وفرّ أبوه جريحاً تاركاً وراءه ابنه وجيشه بكل عتاده، ثم أخذ بعد ذلك في ذكر التفاصيل المتمثلة في طول المدة التي قضاها جيشُ الممدوح في زحفه نحو جيجان، وكيف أخذ الخوف والفرع كلّ مأخذ في جيش الروم ورئيسه عندما شاهدوا ذلك الزحف المهيب، وكانت تلك تباشير النصر المؤزر لسيف الدولة ورجاله. وبعد ذلك، لم يكن أمام الدّمستق سوى الهرب والفرار لعلمه أنّ غاية سيف الدولة تكمن في قتله هو فأثر الفرار تاركاً ابنه وراءه لمصيره المحتوم. وليته لم يفعل ذلك؛ لأنه عاد أدراجه ليباشر نمطاً جديداً من الحياة لم يخطر على باله من قبل.. لم يعُدْ ينعم بحياة الأباطرة والملوك التي لم يخطر على باله فقدها في يوم من الأيام. وعندما كان يرتدي الدروع اللينة البرّاقة، بات يلبس ثياباً مصنوعةً من الشّعْر بُغية التّرهّب وإظهار علامات الخوف والفرع. وعندما كان يمتطي الأشقر الأجرد من الخيول، أي تلك التي من صفاتها قلّة الشعر وهي أسرع الخيول عند العرب، صار يتوكأ على العكّار محبوساً

في هذا الدّير أو ذاك من أجل التعبير عن معاني التّوبة والرجوع إلى الله، وهي توبةٌ فرضتها عليه ويلاتُ الهزيمة والخسارة حين أصاب وجهه ذلك الجرحُ العميق، وأصاب غبارُ المعركة عينيه فأصبح أَرْمَد، وتبدّل وجهه حين صار بلون الرماد. وإمعاناً من الشاعر في تصوير حالة الذل والهوان التي وصل إليها رئيسُ الرّوم ذهب إلى القول بأن الترهّب الذي اختاره بعد الهزيمة لن يفيد في شيء، ولن يجعله يفلت من بطش سيف الدولة؛ لأنه لو كان ذلك كذلك لمالت كلُّ ملوك الدنيا إلى الترهّب مثنيّ وفرادى حتى لا تنال منه الأعداء والخصوم، وهذا الذي حدث للدّمستق لن يكون مقصوراً عليه، بل هو المصير الذي لا فرار منه لكلّ من يقف في وجه سيف الدولة في مشارق الأرض ومغاربها. عبّر المتنبي عن هذه المعاني في عشرة أبيات تبدأ من قوله:

لذلك سمى ابنُ الدّمستقِ يومه \*\*\* مماتاً، وسمّاه الدّمستقُ مؤلداً

وتنتهي في قوله:

وكلُّ امرئٍ في الشرق والغرب بعده \*\*\* يُعدُّ له ثوباً، من الشّعْر، أسوداً  
قاد هذا، الشعورُ الانتصاري المفعمُ بالفرح وآيات السرور، الشاعرَ إلى الحديث عن العيد الذي حلّ في تلك الأيام حتى صار، من فرط فرحه، يرى العيدَ وسيف الدولة وجهين لعملةٍ واحدة، وكلّ واحدٍ منهما يُعدُّ عيداً للوجه الآخر، ويليق بكل وجهٍ منهما الاحتفاء بالآخر؛ لأن كليهما وجهان متميزان، ولا يوجد ما يُشبههما في الناس كافةً.. يقول في هذا المعنى:

هنيئاً لك العيدُ الذي أنتَ عيدُهُ \*\*\* وعيدٌ لمن سمى، وضحى، وعيداً

ولا زالت الأعيادُ لبسكَ بعدَهُ \*\*\* تسلمُ مخروفاً وتُعطي مُجدداً

فذا اليوم في الأيام مثلك في الورى \*\*\* كما كنت فيهم أوحداً، كان أوحداً  
وأصبح سيف الدولة، في نظر مادحه، جدّاً عظيم الشأن والحظ، بل بات  
نظيراً للعيد ومساوياً له في الجدارة والمنزلة:

هو الجدُّ حتى تفضّل العين أختها \*\*\* وحتى يكون اليوم لليوم سيّداً  
وهنا تنتاب المتنبّي حالةً فريدةً من الدهش جعلته يطرح سؤالاً على  
الخليفة العربي كيف لا يخاف على نفسه وزوال سلطانه وقد اتخذ من  
سيف الدولة أميراً على حلب، وسيفاً بتّاراً في وجه أعداء الدولة.. أليس  
من الجائز أن ينقلب عليه هذا الثائر الذي لا يعرف طموحه حدّاً، ولا تقف  
دون رغباته صعوباتٌ وعراقيل.. ثمّ ألا يعلم الخليفة أنّ من يجعل الأسد  
في مقدمة صيّاديه ربما ينقلب عليه الأسد، ويصبح هو واحداً من ضحاياه؟!  
وهنا يستدرك الشاعرُ المادحُ أنّ ممدوحه يجمع، إلى جانب صفات الشجاعة  
والبسالة والجود، صفتي الحلم والوفاء اللتين تمنعانه من الانقلاب على  
الخليفة، وأن ممدوحه يعرف - فضلاً عن ذلك - وضع الشيء المناسب  
في المكان المناسب له، فلا يصحّ - والحال كذلك - أن يضع السيف في  
مكان الندى والسماحة، أو يضع الندى في الموقف الذي يليق بالسيف، فهو  
رجلٌ يفوق الناس رأياً وحكمة، ويمتاز عليهم بكونه أميراً ذا همّةٍ عالية  
وأصلٍ شريف، وذكاءٍ خارق. عبّر المتنبّي عن هذه المعاني في الأبيات  
الثمانية الواقعة بين قوله:

فيا عجباً من دائلٍ أنت سيفه \*\*\* أما يتقي من شفرتي ما تقلد

وقوله:

يدقُّ على الأفكار ما أنت فاعلٌ \*\*\* فيترك ما يخفى، ويؤخذ ما بدا

وهنا باتت الفرصة متاحةً للمتنبي كي يتوسّل سيف الدولة أن ينتصر له بكتب خصومه وإذلالهم؛ لأنهم أفرطوا في حسدهم وحقدهم عليه بسبب ما يناله من بذلٍ وعطاء، فضلاً عن أن كبت الخصوم سيجعل المتنبي أكثر مضاءً في مدح سيف الدولة، والدفاع عنه. فلا غرو - إذن - أن يلجأ الشاعرُ في الجزء الأخير من القصيدة إلى مدح نفسه، والتعنيّ بجمال شعره الذي عمّت شهرته الآفاق، وسارت بعظيم قدره الرّكبان.

ولك أن تلاحظ هنا كيف تخلص المتنبي - ببراعة - من مدح الأمير إلى مدح نفسه والإعلاء من شأنها. فإذا كان الأميرُ يفضّل الناسَ بهذه الخصال المذكورة، يظل المتنبي رُحماً يتزيّن به هذا الأميرُ الفارس، فضلاً عن كونه السّلاح الذي يبيث الرّعبَ في نفوس الأعداء. وبذلك فتح المتنبي الباب لمدح نفسه وشعره الذي أصبح الدهرُ واحداً من رواته. ولم لا يكون الأمرُ كذلك، وقد صار مَنْ لا يقدرُ على المشي قادراً عليه بسبب قوة هذا الشعر وعظيم أثره، وأنّ مَنْ لم يكن له حظٌّ في الغناء والتطريب أصبح بسببه قادراً على ذلك. ليس ذلك فحسب، بل ذهب الشاعرُ إلى أبعد من ذلك حين طلب من ممدوحه أن يكون هو صاحبَ الجائزة والمكافأة ولو كان مدحُه صادراً من شعراء آخرين؛ لأنهم مجرد صدىً له يُردّدون معانيه وأفكاره.. استمع إليه يقول:

أزلّ حسدَ الحُسادِ عني بكتبهم \*\*\* فأنت الذي صيرتهم لي حُسدًا  
إذا شدّ زندي حُسن رأيك فيهم \*\*\* ضربتُ بسيفٍ يقطعُ الهامَ مغمداً  
وما أنا إلا سُمهريّ حملته \*\*\* فزيّن معروضاً، وراعَ مُسدداً  
وما الدهرُ إلا من رواة قصائدي \*\*\* إذا قلتُ شعراً، أصبح الدهرُ منشداً

فسار به من لا يسير مُشَمِّراً \*\*\* وغنى به من لا يغني مُغزداً  
أجزني إذا أنشدت شعراً فإنما \*\*\* أنا الطائر المحكي، والآخر الصدى  
وبعد أن أشبع المنتبى غروره بهذا الإطراء، عاد إلى مدح سيف الدولة  
مقتفياً طرائقه في حسن التخلص حتى لا يفقد النصّ التماسك الذي جرى  
عليه. فإذا كان مطلع القصيدة يخاطب سيف الدولة الأمير الفارس جاءت  
خاتمتها معبرة عن جود هذا الأمير، وكرمه الفياض:

تركتُ السرى خلفي لمن قلّ ماله \*\*\* وأنعلتُ أفراسي، بنعمائك، عسجداً  
وقبّدتُ نفسي في ذراك محبة \*\*\* ومَنْ وجدَ الإحسانَ قِيداً تَقِيداً  
إذا سألَ الإنسانُ أيامه الغني \*\*\* وكنتَ على بُعدٍ، جعلناك مؤعداً  
تحليلُ النصِّ دلاليّاً:

لاحظنا من خلال العرض المذكور أعلاه لهذا النص الشعري اتّصافه بقيم  
بلاغية عديدة من أبرزها براعة الاستهلال، وحسن التّخلص من حالٍ إلى  
حالٍ، ورسم الصّور الشعريّة المؤثّرة، فضلاً عن تماسك هذا النص الذي  
يقوم على عددٍ من الحقول الدلالية. ولعلّه من المفيد، والحال كذلك، إلقاء  
مزيد من الضوء فيما يخصّ الجانب الدلالي الذي يقوّي ويدعم خصائص  
الجودة في النص الشعري. ومن الطريف أننا نصادف أولى صور التّمييز  
الدلالي في افتتاحية القصيدة حيث جاء الشطرُ الأوّل منها متعلّقاً دلاليّاً بالثاني  
حتى غدا تمهيداً معنوياً ومنطقياً له. وزاد من خصوصية هذا التّعلق الدلالي  
تكرار حرف (العين) أربع مرّات في المطع الشيء الذي أضفى عليه أبعاداً  
دلاليةً أخرى؛ لكون (العين) حرفاً مجهوراً احتكاكياً له إيقاعٌ خاصٌّ ناشيء  
من درجته، وشدّته 78.

ونصادف في الأبيات الثلاثة التالية للأول وصفاً لحال سيف الدولة والمرجفين المتآمرين على سلطته وكأنما أراد الشاعر الكشف دلاليّاً عن ثنائية المنتصر والواشي خدمةً للتدرج السلس الذي يفضي بالنص إلى الوصول إلى غاياته المنشودة.

وإذا ما أعدنا النظر في قوله:

هو البحرُ غُصٌّ فيه إذا كان ساكناً \*\*\* على الدرّ، واحذره إذا كان مُزبداً

نجد صورةً شعريةً بالغة التأثير تكشف عن جسارة سيف الدولة وقوّة عزمه وحزمه، وهي واحدةٌ من الصّور الشعرية التي تُغزّز دلاليّاً قوّة الممدوح، وقدراته الفائقة في التّكيل بخصومه. لم يكتفِ المتنبّي بهذا القدر، بل مال في البيت التالي إلى استدعاء صورةٍ دلاليةٍ أخرى فيها من فكرة الإيحائية ما فيها ومضمناً أيّها شيئاً من الحكمة لتكون أكثرَ جاذبيّةً وتأثيراً:

فإني رأيتُ البحرَ يَغْتَرُّ بالفتى \*\*\* وهذا الذي يأتي الفتى مُتعمداً

وربما لا يخفى على المتلقي احتواء هذا البيت على صيغةٍ تفسيريةٍ تغزّز من دلالات قوله في البيت السابق: هو البحرُ... الخ.

وبعد أن أفاض المتنبّي في مدح سيف الدولة الرجل الفارس، والكريم الجواد، انتقل إلى الحديث عن حقلٍ دلاليٍّ آخر في قوله:

ذِكِّي تَنْظِيهِ طَلِيْعَةً عَيْنُهُ \*\*\* يرى قلبه، في يومه ما ترى غداً

وصولاً إلى المستصعبات بخيله \*\*\* فلو كان قرنُ الشمس ماءً لأوردنا

يصف هنا قوّة نكاء الممدوح، وخصوصية حَدْسِهِ، وقدرته على قهر الصّعاب، ويرسم لنا صورةً شعريةً غايةً في الحسن والجمال مُشبهاً قرن



الشمس بالماء، ومتخذاً منه في الوقت نفسه دلالةً على البُعد الذي لا يجد إنسانٌ سبيلاً إلى الوصول إليه.

وتصادفنا في البيت الثالث والعشرين صورةً شعريةً لا تقلُّ جمالاً عن سابقتها من حيث إثارة المشاعر، والتعزيز الدلالي لغرض القصيدة:

فذا اليومُ في الأيامِ مثلك في الورى \*\*\* كما كنتَ فيهم أوحداً، كان أوحداً  
وفي الجزء الأخير من القصيدة يخرج المتنبي بسلاسة وبراعة إلى حقلٍ دلالي آخر يتعلق هذه المرة بافتخار الشاعر بنفسه المتفردة وشعره، مُشبَّهاً نفسه بالرَّمح الصَّلب، ومشبَّهاً قصائده بالقلائد التي تُتخذ للزينة:

وما أنا إلا سُمهريُّ حملته \*\*\* فزَيْنَ معروضاً، وراعَ مُسدداً  
وما الدهرُ إلا من رِوَاةِ قصائدي \*\*\* إذا قلتُ شعراً، أصبح الدهرُ منشداً  
ولك أن تلاحظ هنا كيف مال المتنبي إلى أسلوب الحصر سالكاً إليه طريق النَّفي بـ (ما)، والاستثناء بـ (إلا) من أجل استدعاء تعزيزاتٍ دلاليةٍ أكثر لغرض القصيدة، وهدفها الرئيس. ولك أن تلاحظ أيضاً ميله في البيت المذكور إلى أسلوب (الحذف) من أجل الغرض نفسه حين حذف المضاف (أهل) وأثبت المضاف إليه (الدهر). وبعد أن اطمأنَّ على تهيئة ممدوحه نفسياً صدح المتنبي بالبيت الذي يشكّل واحداً من أهمِّ مفاتيح هذه القصيدة:

أجزني إذا أنشدت شعراً، فإنما \*\*\* أنا الطائرُ المحكيُّ، والآخرُ الصدى  
ولم يكن أمام الشاعر في خاتمة القصيدة سوى العودة إلى الزيادة في مدح سيف الدولة والمبالغة في التناء عليه، على النحو الذي بثَّه في مطلعها حتى تخرج القصيدة متماسكةً الأجزاء:

تركتُ السرى خلفي لمن قلّ ماله \*\*\* وأنعلتُ أفراسي بنعمائك عسجدا  
وقيدتُ نفسي في ذراكِ محبةً \*\*\* ومن وجدَ الإحسانَ قيِّداً تقيداً  
إذا سألَ الإنسانُ أيامه الغني \*\*\* وكنتَ على بُعدٍ، جعلناك موعداً

### الهوامش:

- 1 - النكت في إعجاز القرآن، أبو الحسن علي بن عيسى الرّماني، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1976م، ص. 98.
- 2 - إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني، تح: السيّد أحمد صقر، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1374هـ/1954م. ص 112.
- 3 - المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي أبو الحسن عبدالحبار، تح: أمين الخولي، ج16، دار الفكر، 1380هـ/1960م، ص199.
- 4 - دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، تح: محمد رشيد الرّضا، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، 1998م ص 64 إلى 65.
- 5 - انظر: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة، بيروت - لبنان، 1961م، ص 230.
- 6 - ديوان المتنبي، شرح الواحدي، ط1، 1419هـ - 1999م، ص 1330.
- 7 - كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تح: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، 1434هـ، ص 161.
- 8 - سرّ الفصاحة، اين سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، ط1، 1402هـ، ص. 111.
- 9 - انظر: الخفاجي، أبو محمد بن عبدالله بن سنان، سرّ الفصاحة، ط1، دار الكتب العلمية، 1402هـ، ص111.
- 10 - الديوان، ص 104.
- 11 - نفسه، ص 1146.
- 12 - نفسه، ص 1687.
- 13 - نفسه، ص 181.
- 14 - نفسه، ص 1280.
- 15 - نفسه، ص. 1086.
- 16 - نفسه، ص. 186، ص. 266، ص. 1134، ص. 1140، ص. 1146.
- 17 - الهاشمي، جواهر البلاغة، تح: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، من دون تاريخ، ص. 71.
- 18 - الديوان، ص. 284 - 285.
- 19 - نفسه، ص. 267.
- 20 - نفسه، ص. 1493.
- 21 - نفسه، ص. 1199.

- 22 - نفسه، ص. 1113.  
23 - نفسه، ص. 321.  
24 - نفسه، ص. 177.  
25 - نفسه، ص. 191.  
26 - نفسه، ص. 212.  
27 - نفسه، ص. 94.  
28 - نفسه، ص. 578.  
29 - نفسه، ص. 1067.  
30 - الهاشمي، جواهر البلاغة، ص. 78.  
31 - الدّيون، ص. 577.  
32 - نفسه، ص. 1108.  
33 - نفسه، ص. 1159.  
34 - نفسه، ص. 304.  
35 - نفسه، ص. 235.  
36 - نفسه، ص. 1118.  
37 - نفسه، ص. 350.  
38 - نفسه، ص. 305.  
39 - نفسه، ص. 239.  
40 - نفسه، ص. 1234.  
41 - نفسه، ص. 316.  
42 - نفسه، ص. 167.  
43 - نفسه، ص. 361.  
44 - نفسه، ص. 1084.  
45 - نفسه، ص. 274.  
46 - نفسه، ص. 1276.  
47 - حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة، ج2، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 2010م، ص. 111.  
48 - الدّيون، ص. 191.  
49 - نفسه، ص. 131.  
50 - نفسه، ص. 336.

- 51 - نفسه، ص. 114.  
52 - نفسه، ص. 278.  
53 - نفسه، ص. 1728.  
54 - نفسه، ص. 1385.  
55 - نفسه، ص. 205.  
56 - نفسه، ص. 128.  
57 - نفسه، ص. 98.  
58 - نفسه، ص. 1711.  
59 - نفسه، ص. 1206.  
60 - نفسه، ص. 572.  
61 - نفسه، ص. 1146.  
62 - نفسه، ص. 1142.  
63 - نفسه، ص. 1334.  
64 - نفسه، ص. 1757.  
65 - نفسه، ص. 1694.  
66 - نفسه، ص. 1694.  
67 - نفسه، ص. 124.  
68 - ديوان المتنبي، شرح الواحدي، ج1، ص9.  
69 - جواهر البلاغة، ص. 76.  
70 - المراغي، أحمد، مصطفى، علوم البلاغة، دار القلم، بيروت - لبنان، من دون تاريخ، ص. 62.  
71 - الديوان، ص. 1335.  
72 - نفسه، ص. 1188.  
73 - نفسه، ص. 1718.  
74 - نفسه، ص. 1685.  
75 - نفسه، ص. 1263.  
76 - نفسه، ص. 301.  
77 - انظر: ديوان المتنبي، شرح الواحدي، ص 1451 وما بعدها.  
78 - بشر، كمال محمد، علم اللغة العام، القسم الثاني، دار المعارف، القاهرة، 1975م، ص. 122.

## المصادر والمراجع

### أولاً: المصادر:

القرآن الكريم.

### ثانياً: المراجع:

- 1 - الأسد آباد، القاضي أبو الحسن عبد الجبار (ت 415هـ)، المغني في أبواب التوحيد والعدل، تح: أمين الخولي، دار الفكر، 1380هـ/1960م.
- 2 - الباقلائي، محمد بن الطيب (ت 403هـ)، إعجاز القرآن، تح: السيّد أحمد صقر، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1374هـ/1954م.
- 3 - بشر كمال محمد، علم اللغة العام، القسم الثّاني (الأصوات)، دار المعارف، القاهرة، 1975م.
- 4 - الجرجاني، عبدالقاهر (ت 471هـ)، دلائل الإعجاز، تح: محمد رشيد الرّضا، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، 1998م.
- 5 - عوني، حامد، المنهاج الواضح للبلاغة، ج1، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 2010م.
- 6 - الخفاجي، أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان (ت 466هـ)، سرّ الفصاحة، ط1، دار الكتب العلمية، 1402هـ.
- 7 - الخولي، أمين (ت 1966م) مناهج تجديد في النّحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة، بيروت - لبنان، 1961م.
- 8 - ربابعة، موسى، التكرار في الشعر الجاهلي، ط1، مؤتة للبحوث والدراسات، 1990م.
- 9 - الرّماني، أبو الحسن علي عيسى (ت 384هـ) النّكت في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلّام، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1976م.
- 10 - العسكري، أبو هلال (ت 295هـ)، كتاب الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، 1434هـ.
- 11 - ديوان المتنبّي، شرح الواحدي، ط1، 1419هـ - 1999م.
- 12 - المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة، دار القلم، بيروت - لبنان، من دون تاريخ.
- 13 - الهاشمي، مصطفى أحمد إبراهيم، جواهر البلاغة، تح: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، من دون تاريخ.

---

رَحَابَةُ الْعُدُولِ عَنِ الْأَصْلِ عِنْدَ مُعْرَبِي الْقُرْآنِ  
(حذف الخبر نموذجاً)

---

إعداد:

د. الوليد حسن علي مُسَمِّم

جامعة أم درمان الإسلامية - السودان

جامعة الملك خالد - المملكة العربية السعودية

---





## مستخلص البحث:

هدف هذا البحث لبيان توسع المُعَرِّبِينَ للقرآن في العُدُول عن الأصل في مسألة حذف الخبر، واقتضى ذلك سلوك المنهجين الاستقرائي والتحليلي بتتبع هذه المسألة في خمسة عشر كتاباً من كتب إعراب القرآن الكريم، ومقارنة المواضع التي نصت فيها على العُدُول عن الأصل بحذف الخبر بمواضع حذفه الواردة في كتب النحويين المعيارية البَحْتَة، فكانت النتائج أنّ مواضع حذف الخبر في كتب النحويين البَحْتَة ثمانية، في حين بلغت المواضع في كتب الإعراب القرآني ثمانية عشر موضعاً بزيادة اثني عشرة موضعاً هي: بعد (لو) إذا جاء بعدها اسمٌ غيرٌ صريح، وفيما لا يصحّ فيه وقوع الجملة خبراً، وفيما هو مسبوقة بحرف العطف ولا يصحّ أن يُعطف على ما قبله لمانع، وفيما ظاهره العطف على الضمير، وفيما ظاهره الابتداء بالنكرة، وإذا كان معادل الهمزة، وإذا كان معادل أم، وفيما ظاهره الاستئناف والانقطاع عمّا قبله، وبعد لكن، ولاقتضاء القراءة، وإذا جاء بعد ما الواقعة بعد لكن، وإذا وقع بعد ما الموصولة، واتّضح بهذا أنّ العُدُول عن الأصل بحذف الخبر له مجالٌ رحبٌ في كتب الإعراب القرآني إذا قُورن بحذفه في كتب النحويين البَحْتَة.

**Abstract:**

This research was conducted to demonstrate the expansion of This research was conducted to demonstrate the expansion of the interpreters of the Qur'an in turning away from the original in the issue of deleting the news, and this necessitated tracking this issue in fifteen books of the translation of the Holy Qur'an, and comparing the places in which it provided for the abandonment of the original by deleting the news with the places of its omission mentioned in the standard books of grammarians. The results were that the places of omission of the news in the standard grammarians' books were eight, while the places in the books of the Qur'anic expression reached eighteen positions, with an increase of twelve places. This indicates the generosity of departing from the original by deleting the news in the Qur'an, seeking brevity or a request to draw attention, attract attention, or strengthen or weaken judgment

## المقدمة:

إنّ اللُّغة العربيّة تَمْتَلِكُ قُدْرَاتٍ دِلَالِيَّةٍ هَائِلَةٍ، وَتَحْظِي بِإِمْكَانَاتٍ بَيَانِيَّةٍ سَاحِرَةٍ، وَتَسْتَأْتِرُ بِلِمَحَاتٍ جَمَالِيَّةٍ فَاتِنَةٍ، وَتَكْتَسِي بِأَسْرَارٍ بَلَغِيَّةٍ مُدْهَشَةٍ، تَجْعَلُهَا تُعْطِي الْمُتَكَلِّمَ خِيَارَاتٍ لِلتَّعْبِيرِ عَمَّا فِي نَفْسِهِ، وَالتَّصْرِيحِ عَنِ مَكْنُونَاتِهِ، وَالبَّوْحِ عَنِ مَرَامِيهِ، وَتَجْعَلُهَا تُؤْصِلُ الْمُخَاطَبَ إِلَى الْمَعْنَى الْمُرَادِ بِالدَّقَّةِ الْمَطْلُوبَةِ وَالْعَمْقِ الْمَقْصُودِ. وَاللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ تُعْمَلُ أَسَالِيْبَ مُتَنَوِّعَةً لِتَحَقُّقِ الْبَيَانِ بِبِرَاعَةٍ مُتَنَاهِيَّةٍ، وَمِنْ أَكْثَرِ الْأَسَالِيْبِ الَّتِي تَجْعَلُ الْخَطَابَ يَقَعُ مَوْقِعَهُ فِي نَفْسِ الْمُخَاطَبِ أَسْلُوبُ الْعُدُولِ عَنِ الْأَصْلِ، الَّذِي يَنْقَلُ مِنَ الْإِظْهَارِ إِلَى الْإِضْمَارِ، وَمِنْ الذِّكْرِ إِلَى الْحَذْفِ، وَمِنْ التَّقْدِيمِ إِلَى التَّأخِيرِ، وَمِنْ التَّطَابُقِ إِلَى عَدَمِهِ، وَإِلَى نِقَائِضِ ذَلِكَ كُلِّهِ؛ لِیُحَدِّثَ الْإِیْجَازَ، وَیُحَقِّقَ الْفَائِدَةَ، وَیَجْذِبُ الْأَنْظَارَ، وَیَلْفِتُ الْإِنْتِبَاهَ، وَیَمْنَحُ الْأَحْكَامَ قُوَّةً أَوْ ضَعْفًا، وَیُؤَكِّدُ الْمَدْحَ أَوْ الذَّمَّ أَوْ التَّرْحِمَ. وَقَدْ حَفَلَتْ كِتَابَةُ النُّحُوِّ بِتَدْوِينِ أَسْلُوبِ الْعُدُولِ عَنِ الْأَصْلِ فِي الْكَلِمَةِ وَفِي الْإِعْرَابِ وَفِي الْجُمْلَةِ وَفِي الْقَاعِدَةِ، فَضَجَّتْ صَفْحَاتُهَا بِالْعُدُولِ عَنِ الْأَصْلِ فِي الْحَذْفِ، فَشَمِلَ ذَلِكَ حَذْفَ الْمَسْنَدِ وَالْمَسْنَدِ إِلَيْهِ فِي الْجُمْلَةِ الْإِسْمِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ وَفِي التَّرَاكِيْبِ غَيْرِ الْإِسْنَادِيَّةِ، وَشَاعَ فِيهَا التَّقْدِيمُ وَالتَّأخِيرُ، فَشَمِلَ ذَلِكَ تَقْدِيمَ الْمَسْنَدِ عَلَى الْمَسْنَدِ إِلَيْهِ وَتَقْدِيمَ الْمَسْنَدِ إِلَى الْمَسْنَدِ وَجُوبًا وَجَوَازًا فِي الْجُمْلَتَيْنِ الْإِسْمِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ، وَشَاعَ كَذَلِكَ التَّقْدِيمُ وَالتَّأخِيرُ فِي التَّرَاكِيْبِ غَيْرِ الْإِسْنَادِيَّةِ، وَكَثُرَ فِي كِتَابِ النُّحُوِّ حَصْرُ مَوَاضِعِ الْعُدُولِ عَنِ الْأَصْلِ فِي الْقَاعِدَةِ بِنَوْعِيهِ الْمَطْرُودِ وَغَيْرِهِ، وَحَصْرُ مَوَاضِعِ الْعُدُولِ عَنِ الْأَصْلِ فِي التَّطَابُقِ بِنَوْعِيهِ، التَّطَابُقِ فِي النَّوْعِ (التَّذْكِيرِ وَالتَّنْأِيثِ) وَالتَّطَابُقِ فِي الْعَدَدِ (الْإِفْرَادِ وَالتَّعْدُدِ)، فَحَقَّقَتْ كِتَابَةُ النُّحُوِّ بِذَلِكَ الْغَايَةَ الَّتِي لِأَجْلِهَا وَضَعَتْ، وَهِيَ بَيَانُ أَوْجِهِ الصَّوَابِ وَالخَطَأِ فِي التَّرَاكِيْبِ اللَّغَوِيَّةِ تَبَعًا لِلْمَقَايِسِ

والمعايير الموضوعية التي استُخْلِصَتْ من تتبُّع كلام العرب واستقراءه، والتعليل لما خرج عن هذه المعايير بافتراضات كثيرة، كالحذف والعوض والتقدير والتأويل والتقديم والتأخير. ويُعدُّ أسلوب العدول عن الأصل في القرآن الكريم من أعلى مقامات إعجازه اللغويِّ، فمَنْ وَقَفَ عنده بَهَرَ عقله، وأخذ بشغاف قلبه، وذهب بأفكاره مذاهب عجيبة، ومن قرأ في كتب مُعْرَبِي القرآن الكريم وجد رحابهم في إظهار عدوله عن الأصل، وأدرك توسُّعهم في تأويلهم به، ولم أقم هذا البحث لمجرد دراسة العدول عن الأصل بحذف الخبر في كتب المعربين للقرآن، إنّما لإثبات رَحَابَتِهِم وتوسُّعهم فيه.

#### أهمية موضوع البحث:

يكتسب هذا البحث أهمية من كونه رُبطَ بالقرآن الكريم، وأجري لإبراز جهود النحويين في توضيح أسلوبه التعبيريِّ من خلال تناول العدول عن الأصل في أحد ركني الجملة الاسمية وهو خبر المبتدأ.

#### أهداف البحث:

حصر مواضع حذف الخبر في كتب النحويين البَحْتَةِ.  
بيان مواضع حذف الخبر في كتب المعربين للقرآن الكريم.  
مقارنة مواضع حذف الخبر في كتب النحويين البَحْتَةِ، وفي كتب إعراب القرآن الكريم.

التوصُّل إلى حقيقة توسُّع المُعْرَبِينَ للقرآن في العُدُولِ عن الأصل في حذف الخبر.

محاولة إظهار بعض اللمسات البيانية في العدول عن الأصل في مسألة حذف الخبر.

### مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في حصر مواضع العدول عن الأصل بحذف الخبر - وجوباً وجوازاً - في كتب النحويين، وحصر مواضع العدول عن الأصل بحذفه في كتب مُعَرَّبِي القرآن؛ تأكيداً على رحابة المعربين وتوسّعهم في ذلك، وسيسعى البحث إلى الإجابة عن التساؤلات التالية:

ما مواضع العدول عن الأصل بحذف الخبر في كتب النحويين؟ ما مواضع العدول عن الأصل بحذف الخبر في كتب المعربين للقرآن الكريم؟ ما حقيقة رحابة العدول عن الأصل بحذف الخبر في كتب المعربين للقرآن الكريم؟

### منهج البحث:

لإنجاز هذا البحث، وتحقيق أهدافه، وبلوغ نتائجه كان لابد من سلوك المنهجين الاستقرائي والتحليلي، فالأول يحقق ملاحظة العدول عن الأصل في حذف الخبر عند النحويين ومقارنة ذلك بما فعله معربو القرآن، والثاني يناقش المعطيات والمعلومات المختلفة، ويستخلص النتائج.

### مصطلحات البحث:

رَحَابَةٌ: مصدر الفعل رَحَبَ، وَرَحَبَ الشَّيْءُ رُحْباً وَرَحَابَةً، فهو رَحْبٌ وَرَحِيبٌ وَرُحَابٌ، وَأَرَحَبَ: اتَّسَعَ. وَأَرَحَبْتُ الشَّيْءَ: وَسَّعْتُهُ(1). والمقصود بها في البحث توسّع المعربين في الميل إلى الإعراب بالعدول عن الأصل في قضية حذف الخبر، فتجاوزت المواضع التي قالوا فيها بحذف الخبر المواضع التي نصّ عليها النحويون في كتبهم.

العدول عن الأصل: كلمة العُدُولُ لُغَةً تعني التَّحَوُّلُ أو الميل والانحراف عن المؤلف، أو الخُرُوج عن الشيء إلى شيءٍ آخر، وكلمة الأصل لغة تعني الأساس الذي يُقام عليه، وأوَّل الشيء، وبدأيته. واصطلاحاً العدول عن

الأصل هو الخروج عن الأصل المعياريّ القياسيّ المألوف في الحرف أو الكلمة أو الجملة، بحذف أو زيادة أو تقديم أو تأخير أو تكرار أو عدم تطابق؛ لأغراض بلاغيّة يقصدها المتكلم. وأوّل من أشار إلى هذا المعنى سيبويه حيث قال: «اعلم أنّهم مما يحذفون الكلم، وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوضون، ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يُستعمل حتى يصير ساقطاً» (2)، وتناولهُ بعده ابنُ جنّيّ وسماه عدولاً وتحولاً وعوارض وتغييراً وتركاً (3)، واستعمله الباقلانيّ وأوضح أنه يكون في صيغ الكلمات والأوزان الصرفية والتراكيب (4)، وأشار إليه عبد القاهر الجرجانيّ وميّر بين نوعين من التراكيب، أحدهما نمطيّ أو مثاليّ، والآخر فنيّ أو عدوليّ (5).

مُعْرَبِي الْقُرْآن: المقصود بهم العلماء الذي ألفوا كتباً أعربوا فيها القرآن الكريم، أو فسروه واهتموا بإعرابه وأحكامه النحويّة، واستعان البحثُ بخمسة عشر، هم: الفراء، صاحب كتاب (إعراب القرآن)، والأخفش الأوسط، صاحب كتاب (معاني القرآن)، والزجاج، صاحب (معاني القرآن وإعرابه)، والنحاس، صاحب (إعراب القرآن)، ومكيّ بن أبي طالب، صاحب (مشكل إعراب القرآن)، وابن جنّيّ، صاحب (المحتسب)، والزمخشريّ، صاحب (الكشاف)، وابن عطية، صاحب (المحرر الوجيز)، وابن الأنباريّ، صاحب (البيان في غريب إعراب القرآن)، وأبو البقاء، صاحب (التبيان في إعراب القرآن)، والقرطبيّ، صاحب (الجامع لأحكام القرآن)، وأبو حيّان، صاحب (البحر المحيط)، والسّمين الحلبيّ، صاحب (الدّرالمصون)، والألوسيّ، صاحب (روح المعاني)، ودرويش، صاحب (إعراب القرآن وبيانه).

حذف الخبر: الحذف لغة القطع والإسقاط (6)، واصطلاحاً هو «إسقاط

وطرَح جزءٍ من الكلام، أو الاستغناء عنه لدليل دلّ عليه، أو للعلم به وكونه معروفاً» (7). والخَبَرُ لغةً: ما أتاك من نَبأ عن تَسْتَحْبِرُ (8)، واصطلاحاً «هو الجزء الذي حَصَلَتْ به الفائدةُ مع مبتدأ غير الوصف المذكور، فخرج فاعلُ الفعل، فإنه ليس مع المبتدأ، وفاعل الوصف» (9).

### حصر مواضع العُدُول عن الأصل بحذف الخبر في كتب النحويين:

الأصلُ في الخبر ذكرُهُ في الجملة؛ لأنَّه من العُمَد واللِّوَاظِم في الكلام العربيّ، بل ذَهَبَ بعضهم إلى أنَّه أولى في الذِّكْر والإثبات من المبتدأ إذا كان الخيارُ بين حذف أحدهما؛ لأنَّ الخبر محلُّ الفائدة، سئلَ الواسطيُّ: إذا دار الأمر بين كون المحذوف مبتدأ وكونه خبراً فأيهما أولى؟ فأجاب: «الأولى كون المحذوف المبتدأ لأنَّ الخبر محط الفائدة ومعتمدها» (10)، وبرغم أنَّ الخبر عمدةٌ في الكلام وركنٌ في الجملة إلاَّ أنَّه قد يأتي عليه العُدُول عن الأصل فيحذف وجوباً تارةً وجوازاً تارةً أخرى، وقد حدَّدَ النحويُّون المواضع التي يُحذف فيها وجوباً والمواضع التي يُحذف فيها جوازاً، وقمَّتْ باستقصاء كثيرٍ من مؤلفاتهم فوجدتُ العُدُول عن الأصل بحذف الخبر وجوباً ينحصر في المواضع التَّالية:

الأول: إذا كان الخبرُ كوناً مطلقاً والمبتدأ واقعاً بعد لولا.

الثاني: إذا كان المبتدأ صريحاً في القسم.

الثالث: إذا كان المبتدأ معطوفاً على اسم بواو هي نصٌّ في المعية.

الرابع: إذا كان المبتدأ مصدرأ صريحاً عاملاً في اسم مفسِّر لضمير ذي حال لا يصحُّ كونها خبراً، أو مضافاً إلى المصدر المذكور أو إلى مؤوَّل بالمصدر المذكور.

الخامس: إذا تقدَّم الخبر على أداة شرطية واقترن ما بعدها بالفاء.

أما حذفه جوازاً فينحصر في المواضع التالية:

الأول: إذا كان خبراً لما بعد (إذا) الفجائية.

الثاني: إذا دلّ عليه خبرٌ مثله في اللفظ والمعنى متقدّم عليه.

الثالث: إذا كان خبراً لمُسْتَفْهِمٍ عنه بـ (هل)(11).

وحيثما عَدَدَتِ كَتَبُ النَّحْوِ مَوَاضِعَ الْعُدُولِ عَنِ الْأَصْلِ بِحَذْفِ الْخَبْرِ جَعَلَتِ الْبَابَ مَفْتُوحاً وَالْمَجَالَ مَتَاحاً؛ لِإِضَافَةِ مَوَاضِعٍ أُخْرَى بِحَسَبِ الْاسْتِنْتِاجِ وَالِاسْتِقْرَاءِ، وَيُلَمَّحُ ذَلِكَ مِنْ عِبَارَاتٍ عَدِيدَةٍ، مِثْلَ قَوْلِ الْمَبْرَدِ: «فَأَمَّا حَذْفُ الْخَبَرِ فَمَعْرُوفٌ جَيِّدٌ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: [وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لَئِنَّ اللَّهَ الْأَمْرُ جَمِيعًا] (الرعد: 31)، لَمْ يَأْتِ بِخَبَرٍ لَعَلِمَ الْمُخَاطَبُ، وَمِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ كَثِيرٌ، وَلَا يَجُوزُ الْحَذْفُ حَتَّى يَكُونَ الْمَحذُوفُ مَعْلُومًا بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ، مِنْ تَقَدَّمَ خَبَرٌ أَوْ مُشَاهَدَةٌ حَالٌ»(12)، وَقَوْلِ ابْنِ جَنِّي: «وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُبْتَدَأَ قَدْ يَحْذَفُ تَارَةً وَيَحْذَفُ الْخَبَرُ أُخْرَى، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ فِي الْكَلَامِ دَلَالَةٌ عَلَى الْمَحذُوفِ»(13)، وَقَوْلِ ابْنِ يَعِيشٍ: «اعْلَمْ أَنَّ الْمُبْتَدَأَ وَالْخَبَرَ جَمَلَةٌ مَفِيدَةٌ تَحْصُلُ الْفَائِدَةُ بِمَجْمُوعِهِمَا، فَالْمُبْتَدَأُ مَعْتَمِدُ الْفَائِدَةِ، وَالْخَبَرُ مَحَلُّ الْفَائِدَةِ، فَلَا بَدَّ مِنْهُمَا، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ تَوَجَّدَ قَرِينَةٌ لَفْظِيَّةٌ، أَوْ حَالِيَّةٌ تُغْنِي عَنِ النُّطْقِ بِأَحَدِهِمَا، فَيُحْذَفُ لِدَلَالَتِهَا عَلَيْهِ، لِأَنَّ الْأَلْفَاظَ إِنَّمَا جِيءَ بِهَا لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْمَعْنَى، فَإِذَا فُهِمَ الْمَعْنَى بِدُونِ اللَّفْظِ، جَازَ أَنْ لَا تَأْتِيَ بِهِ، وَيَكُونُ مَرَادًا حُكْمًا وَتَقْدِيرًا»(14).

**مَوَاضِعُ الْعُدُولِ عَنِ الْأَصْلِ فِي حَذْفِ الْخَبَرِ عِنْدَ مُعْرَبِي الْقُرْآنِ:**

لِلْعُدُولِ عَنِ الْأَصْلِ بِحَذْفِ الْخَبَرِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَجَالٌ أَرْحَبٌ وَمَسَاحَةٌ أَوْسَعُ، يَجُذُّ ذَلِكَ مَنْ يُطَالَعُ كِتَابَ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ، وَكِتَابَ التَّفْسِيرِ الْمُهَنْمَةِ بِالْأَحْكَامِ الْإِعْرَابِيَّةِ، فَقَدْ عَثَرْتُ فِيهَا عَلَى ثَمَانِيَّةٍ عَشَرَ مَوْضِعًا عَدِلَ فِيهَا عَنِ



الأصل بحذف الخبر، وهذا يوضح أنّ كتب النحو لم تقم باستقصاء حالات العدول عن الأصل بحذف الخبر، وكان تناولها لها مجملاً ومختصراً. وفيما يلي تفصيلاً هذه المواضع مع شواهدها:

### 1 - بعد لولا الامتناعية:

يكثر ورودُ (لولا) في القرآن، وقد نصّ أبو حيّان (15) على أنّ الجمهور على وجوب حذف الخبر بعدها؛ لغرض الإيجاز، ومن ذلك قوله تعالى: [وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ] (النساء: 113)، ذهب الكسائي (16) إلى أنّ ما بعد لولا ليس مبتدأً، إنّما هو مرفوعٌ بها؛ لنيابتها مناب فعل، تقديره: (لو لم يوجد)، وهذا القول ظاهرُ التّكلف بعيدُ الغرابة. وذهب ابن كيسان (17) إلى أنّ الخبر بعد لولا غير مقدّر وأنّه الجواب: (لهمت طائفة منهم). في حين ذهب ابن الأنباريّ إلى أنّ في الآية عدولاً عن الأصل، فقوله تعالى: (فَضْلُ اللَّهِ) مبتدأ، خبره محذوفٌ وجوباً، تقديره: (موجود)، وهذا قول الجمهور، وهو الأحسن؛ لوضوح المعنى ودقّة السّياق (18). ومثل ما سبق قوله تعالى: [فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِّنَ الْخَاسِرِينَ] (البقرة: 64)، (فَضْلُ) مبتدأ مرفوع، والخبر محذوفٌ وجوباً، تقديره: (موجود) وهو محذوفٌ وجوباً عند الجمهور (19). وقوله تعالى: [إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا] (الفرقان: 42): أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر في موضع رفع على الابتداء، والخبر محذوفٌ وجوباً، والتقدير: (لولا صبرنا عليها موجودٌ أو حاصلٌ) (20). فهذه شواهد نصّ المعربون فيها على العدول عن الأصل بحذف الخبر حينما وَقَعَ بعد لولا، وهو من المواضع التي نصّ جمهورُ النّحويين في كتبهم على حذف الخبر فيها وجوباً.

2 - بعد (لو) إذا جاء بعدها اسمٌ غيرُ صريح:

ذهب القرطبي (21) وأبو حيّان (22) إلى أنّه يُعَدَّلُ عن الأصل بحذف الخبر وجوباً بعد (لو) إذا جاء بعدها اسمٌ غيرُ صريح؛ وذلك للاختصاص وتقوية الحكم، ومنه قوله تعالى: [وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُوا مِنَّا] (البقرة: 167)، في إعراب قوله (لو أنّ لنا كَرَّةً) ثلاثة مذاهب: الأول: المصدر المؤول مرفوع على الابتداء من غير حاجة إلى الخبر، وهو مذهب سيبويه (23).

الثاني: المصدر المؤول من (أنّ) وما في حيزها في موضع رفع على أنّه فاعلٌ لفعل محذوف أي: لو ثبت أنّ لنا كَرَّةً، وهو ما ذكره المرادي (24)، ونسبته إلى القائلين باختصاص (لو) بالفعل وبه يؤولون الآية، ورفضه العكبري؛ لأنّه ممن يجعلون ذلك محصوراً في الخبر المشتق (25).

الثالث: المبتدأ هو المصدر المؤول من (أنّ) وما دخلت عليه، وخبره محذوفٌ وجوباً، إمّا أنّ يُقدَّر مقدماً، أي: (لو ثابت كرّنا)، وإمّا أنّ يُقدَّر مؤخراً، أي: (لو كرّنا ثابت)، وهذا ما قرّره القرطبي (26)، وأبو حيّان (27). ومثّل ذلك قوله تعالى: [فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] (الشعراء: 102)، تقدير الكلام عند القرطبي وأبي حيّان (28): (فلو كرّتنا حاصلة) على أنّ المصدر المؤول مبتدأ و(حاصلة) خبرٌ واجب الحذف. وقوله تعالى: [وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ احْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ] (النساء: 66)، تقدير الكلام: (ولو كتابتنا ثابتة عليهم) (29). فهذه شواهد أثبت فيها المعربون للقرآن العُدُولَ عن الأصل بحذف الخبر حينما وقع بعد (لو)، ولم تُثبت كتبُ النحويين هذا الموضع.

### 3 - فيما لا يصح فيه وقوع الجملة خبراً:

الجملة التي لا تصح أن تقع خبراً حَكَمَ جماعةٌ من المعربين للقرآن أن فيها عدولاً عن الأصل بحذف الخبر قبلها وجوباً، وذلك حاصلٌ في أربع مسائل:

#### المسألة الأولى: جملة القسم

أفاد ابن الأنباري أن وقوع جملة القسم خبراً أمرٌ ممنوعٌ، وما جاء من ذلك محمولٌ على حذف الخبر قبلها، ومن ذلك قوله تعالى: [وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ] (العنكبوت: 69): (الذين) اسم موصول في محل رفع مبتدأ، وجملة (جاهدوا فينا) صلته، والخبر محذوف وجوباً تقديره: (مَقُولٌ لهم لنهديهم)، وحذف الخبر هنا لتوجيه المخاطب إلى الأمر المهم، وهو تحقيق الهداية (30). ومثل ذلك قوله تعالى: [وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ] (العنكبوت: 9): (الذين) مبتدأ خبره محذوف، تقديره: (ثوابهم أو جزاؤهم لندخلتهم) وحذف الخبر؛ لإظهار نوع الثواب والتعجيل به. وقوله تعالى: [وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً] (النحل: 41)، تقدير الكلام: (والذين هاجروا في سبيل الله ثوابهم لنبؤنهم في الدنيا حسنة) (31).

#### المسألة الثانية: الجملة المصدرية بالسين

ذهب الزمخشري (32) إلى أن الجملة المصدرية بالسين لا تأتي خبراً، وما جاء من ذلك محمولٌ عنده على العدول عن الأصل بحذف الخبر قبلها، ومن ذلك قوله تعالى: [قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّنَّ سَنُمْتِعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ] (هود: 48)، في ارتفاع (وأمم) أقوال:

الأول: أن يكون مبتدأ خبره محذوف وجوباً، والجملة الفعلية المصدرية

بالسين في موضع رفع على النعت لـ (وأمم)، أي: وممن معك أمم ستمتعهم، وهو قول الزمخشري (33)، وهو الأظهر في المعنى.

**الثاني:** أن يكون مبتدأ، والجملة الفعلية في موضع رفع على الخبر، ومسوّغ الابتداء بالنكرة كونه في موضع تفصيل (34).

**الثالث:** أن يكون مبتدأ خبره الجملة الفعلية المصدرية بالسين، وفي الكلام حذف صفة مسوّغة للابتداء، أي: وأمم منهم، وقد أنكر ذلك الأزهري، وذكر أنه لم يُسمع: (زيد سيقوم)؛ لأنه مستقبل، فلا يتصور الإخبار به؛ لعدم تحققه (35).

**الرابع:** أن يكون في الكلام إضماراً يكون أي: ويكون أمم ستمتعهم، وهو قول القرطبي (36). وهو ليس بجيد؛ لأنه ليس من مواضع إضمار (كان) المنصوص عليها.

### المسألة الثالثة: جملة الطلب

ذهب ابن الأنباري إلى أن جملة الطلب لا تصح أن تقع خبراً؛ لأنها لا تحتل الصدق والكذب، وفي إعرابه لقوله تعالى: [وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا] (المائدة: 38) نصّ على أن (السارق) مبتدأ خبره محذوف، تقديره: (فيما يتلى عليكم) (37)، وكان الكسائي قد جعل الجملة الطلبية في محل رفع خبراً، على زيادة الفاء، وأنّ (أل) في (والسارق والسارقة) موصول حرفي بمعنى (الذي) (38)، وهذا قول عامة الكوفيين. ومن هذه المسألة قوله تعالى: [ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ] (الأنفال: 14)، جعل النَّحَّاس (ذلكم) مبتدأ، خبره محذوف، تقديره: (ذلكم العقاب) (39)، وأجاز الزمخشري في (ذلكم) النَّصْب باسم فعل مضمر، تقديره: (عليكم ذلكم)، وردّه أبو حيان بحجة أن أسماء الأفعال لا تُضمّر (40).

### المسألة الرابعة: جملة النداء

نصّ مكِّي (41) على أنّ وقوع الجملة الندائية خبراً متعديّاً، وما جاء من ذلك محمولاً على العدول عن الأصل بحذف الخبر قبلها، وحمل على ذلك قوله تعالى: [الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ... رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ] (آل عمران: 191): وذهب أبو البقاء (42) إلى أنّ (الذين) خبرٌ مبتدأٌ محذوف أي: (هم الذين)، ورجح أبو حيّان (43) أنّ (الذين يذكرون الله) مبتدأٌ خبرُهُ محذوفٌ قبل النداء تقديره: (يقولون ربنا)، ورأى الحلبيّ (44) أنّه نعتٌ أو بدلٌ لـ (أولي الألباب) التي في الآية قبلها. ومن هذه المسألة قوله تعالى: [وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ] (البقرة: 132)، في قائل (يا بني) قولان:

الأول: أن يكون (إبراهيم) - عليه السلام - فنكون (ويعقوب) معطوفاً عليه.

الثاني: أن يكون (يعقوب) على أنّه مرفوع على الابتداء، والخبر محذوفٌ قبل جملة النداء تقديره: (يوصي أو يقول) (45). وهذا الموضع بمسائله الأربعة يعكس بجلاء توسّع المعربين للقرآن ورحابتهم في العدول عن الأصل في باب حذف الخبر، حيث لم يُشر إليه بهذا العمق في كتب النحويين المعيارية البحتة.

4 - فيما هو مسبوق بحرف العطف ولا يصحّ أن يعطف على ما قبله لمانع:

ومن ذلك قراءة ابن محيصر: [افْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (1) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (2) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ] (القمر: 1 - 3)، بكسر الراء من مستقرّ على أنّها نعت لـ (أمر): وقد

ورد في إعراب (مستقرّ) أقوالٌ:

**الأول:** (مستقرّ) خبرٌ، وهو مجرورٌ على الجوار، ونُسِبَ هذا القول لأبي الفضل الرازي<sup>(46)</sup>، وهو غايةٌ في الشدّود؛ لأنّ الجرّ على الجوار معهودٌ في الصفة لا في خبر المبتدأ.

**الثاني:** (مستقرّ) معطوف على الساعة، وهو رأي الزمخشري (47)، وأرى أنّه بعيدٌ؛ لطول الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه.

**الثالث:** (مستقرّ) على حذف الخبر، فيكون تقدير الكلام: (وكلُّ أمرٍ مستقرّ معمولٌ به أو بالغوه)، وهو قول أبي حيّان (48). ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: [وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَبَحْرٌ يَمُدُّهُ] (لقمان: 27)، على قراءة ابن مسعود، وقد أعرب ابنُ جنّي (بحرٌ) مبتدأ لخبر محذوف، تقديره: (وهناك بحرٌ يمدّه) (49)، ولم يجزْ عطفه على (أقلامٌ)؛ لأنّ البحر وما فيه من الماء هو المداد، والشجر هو الأقلام. وهذا الموضعُ كسابقه يُظهر رحابة المعربين للقرآن في القول بالعدول عن الأصل بحذف الخبر.

#### 5 - فيما ظاهره العطف على الضمير:

حُذِفَ الخبرُ في القرآن بعد العطف على الضمير المنفصل، ومنه قوله تعالى: [أَيَّدَا مِنَّنَا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظَامًا أَنِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ] (الصفافات: 16-17)، ذهب الأخفش الأوسط (50) إلى أنّ قوله: (أو آبَاؤُنَا) مبتدأ محذوف الخبر، والتقدير: (أو آبَاؤُنَا مبعوثون)، وهو قولٌ ظاهرٌ، وظهوره ناتجٌ من أنّ الهمزة للاستفهام، وهي بهذا فصلت بين (آبَاؤُنَا) وما قبلها حتى لا تُعطف عليها. ومثل ذلك قوله تعالى: [مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ] (يونس: 28)، أجاز الزمخشري<sup>(51)</sup> أنّ يكون (أنتم) توكيداً للضمير في (مكانكم)، (وشركاؤكم) مبتدأ خبره محذوف، تقديره: (أنتم وشركاؤكم مهانون)، ويجوز أن تكون

(مكانكم) ظرفاً واقعاً موقع الأمر، وهو الزموا، وفي الظرف فاعلٌ مقدرٌ أي ضمير مستتر أو مقدر، ولهذا صارَ (أنتم) توكيداً، أما شركاؤكم فالأظهر أنها معطوفة على الفاعل المستتر. ومن ذلك قوله تعالى: [قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي] (يوسف: 108)، ذكر ابن عطية (52) أن (مَنْ) مبتدأ خبره محذوف، أي: (وَمَنْ اتَّبَعَنِي كَذَلِكَ)، ويجوز أن يكون قوله (وَمَنْ) معطوف على (أنا).

فهذا موضعٌ تبينت فيه رحابةُ المعربين للقرآن في القول بالعدول عن الأصل بحذف الخبر، وهو موضعٌ لا وجود له في كتب التحويين البَحْتَةِ.

#### 6 - فيما ظاهره الابتداء بالنكرة:

حُذِفَ الخبرُ في القرآن الكريم بعد النكرة المبتدأ بها، ومن ذلك قوله تعالى: [وَحُورٌ عِينٌ] (الواقعة: 22)، نصَّ الزَّجَّاج (53) على أن (حور عِين) مبتدأ خبره محذوف، والتقدير: (لهم حورٌ عِينٌ)، ومن ذلك قوله تعالى: [فِيهِنَّ حَيْرَاتٌ حِسَانٌ] (71) حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ] (الرحمن: 71 - 72): (حُورٌ) مبتدأ نكرة، خبره محذوف، تقديره: (فِيهِنَّ حور)، وحُذِفَ الخبر للإيجاز، وقد تقدّم في الكلام ما يدلُّ عليه، ويجوزُ إعرابُ (حور) بدلاً من (خيرات). ومنه قوله تعالى: [مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] (النحل: 116 - 117)، ذكر القرطبي أن (متاع) مبتدأ خبره محذوف تقديره: لهم متاع قليل (54). وفي هذا بيانٌ واضحٌ لرحابة مُعْرِبِي القرآن في القول بالعدول عن الأصل في حذف الخبر.

#### 7 - إذا وقع قسماً صريحاً:

يُحْذَفُ الخبر إذا وقع قسماً صريحاً، ومن ذلك قوله تعالى: [لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ] (الحجر: 72)، ذهب أبو حيان (55) إلى أن (لعمرك)

مبتدأ خبره محذوف وجوباً تقديره: (لعمرك قسماً أو يميني)، وهو من المواضع التي ذكر النحويون أنّ حذف الخبر فيها واجب؛ لكونه معلوماً، وقد سدّ الجواب مسدّه (56)، وهذا الموضع حَفَلَتْ به كتب النحويين.

#### 8 - بعد القول:

يُحذف الخبر بعد القول، ومن ذلك قوله تعالى: [قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ] (هود: 69)، قال مَكِّي: يجوز أن يكون (سلام) مبتدأ خبره محذوف، تقديره: (عليكم سلام) (57). ومنه قوله تعالى: [فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ] (الإسراء: 51)، يرى أبو حيان (58) أن قوله: (الذي فطركم) مبتدأ خبره محذوف، تقديره: (الذي فطركم أول مرة يعيدكم)، وحذف الخبر إيجازاً؛ لأن السؤال المتقدم يدلّ عليه، ويكون الخبر كذلك إذا جاء جواباً عن سؤال كما في الآية. ومثله قوله تعالى: [قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ] (الذاريات: 25): قوله (سلام) مبتدأ خبره محذوف تقديره: (سلام عليكم) (59)، وحذف الخبر؛ لكثرة الاستعمال، وهذا من المواضع التي وردت في كتب النحويين، ولكن في كتب المعربين تجد جودة الشواهد القرآنية، والبعد عن شواهد كتب النحويين المكرورة أحياناً والرتبية أحياناً والمصنوعة أحياناً أخرى.

#### 9 - في جملة الجزاء المصدرية بالفاء:

ومن ذلك قوله تعالى: [فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ] (البقرة: 184)، ذكر السمين الحلبي (60) في إعراب (فَعِدَّةٌ) ثلاثة أوجه: الأول: أن يكون مبتدأ خبره محذوف، والتقدير: (فعليه عدّة من أيام آخر)، وحذف الخبر تقوية للحكم.

الثاني: أن يكون خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: (فالواجب عدة).

الثالث: أن يكون فاعلاً لفعل محذوف، والتقدير: (فتجزيه عدة).



ومثل ذلك قوله تعالى: [وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطْئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ] (النساء: 92)، أورد درويش أن قوله تعالى: (فَتَحْرِيرُ) مبتدأ، خبره محذوف، تقديره: (فعلية تحرير رقبة)، ونصّ على أن هذا التقدير أحسن وأنسب (61)، ومنه قوله تعالى: [فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ] (المائدة: 89)، ذكّر درويش أن (فَصِيَامٌ) مبتدأ خبره محذوف، تقديره: (فعلية صيام) (62). وهنا تظهرُ فائدةُ العدول عن الأصل، وهي إضافةُ معنى آخر يكونُ السامعُ بحاجة إليه، ففي هذا الموضع أضاف العدولُ عن الأصل قوةً للحكم الصادر من الله تعالى، بحذف لفظ الحكم، والتّصريح بالحكم نفسه؛ ليقوم مقامه تقويةً له.

#### 10 - إذا كان معادل الهمزة:

يُحذف الخبر إذا كان معادل الهمزة، وحذفت المعادل يشيع في القرآن، ومن ذلك قوله تعالى: [أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُّوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً] (هود: 17)، ذهب الأخفش الأوسط إلى أن (من) مبتدأ خبره محذوف، والتقدير: (أفمن كان على بينة من ربه كغيره من الآخرين)، فحذفت معادل الهمزة، وقد حذفت الخبر؛ لتجاهل الغير استحقاقاً له (63). أقول: ولعلّ ما يعزز كون المعادل محذوفاً أنّه جاء مصرحاً به في مواضع أخرى من القرآن. منها قوله تعالى: [أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ] (آل عمران: 162)، وقوله تعالى: [أَوْ مَن كَانَ مَبْتَغياً فَأَخْبَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ] (الأنعام: 122). وهنا ندرك ما يكسبه أسلوب العدول عن الأصل من جودة بلاغية، ومثانة دلالية توصل المعنى إلى السامع بالبيان المطلوب. ومن الشواهد القرآنية على حذف الخبر إذا كان معادلاً للهمزة قوله تعالى: [أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ

لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ] (الزمر: 22): ذهب القرطبي إلى أن (من) مبتدأ خبره محذوف، والتقدير: (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه كالقاسي)، ويدل عليه قوله تعالى بعده: [فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ] (64). ومثل ذلك قوله تعالى: [أَفَمَن يَنْقِي بَوَجهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ] (الزمر: 24) (من) مبتدأ، خبره محذوف تقديره: (كمن أمن العذاب). وبهذا العدول عن الأصل حصل تجاهل للقاسي ولمن أمن العذاب، وأثبت لهما العذاب، فيكون بذلك العذاب عذابين: عذاباً معنوياً وهو التجاهل استحقاراً، وعذاباً جسدياً. وهذا الموضوع يوضح رحابة كتب الإعراب القرآني في القول بالعدول عن الأصل في حذف الخبر، ولم يكن من سبيل لإظهار هذه الرحابة إلا بتناول النحو من خلال القرآن الكريم.

#### 11 - في معادل أم:

أفاد أبو البقاء (65) أن الخبر يحذف في معادل أم، ومن ذلك قوله تعالى: [فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَّنْ خَلَقْنَا] (الصافات: 11) (أم) للتعيين، (من) مبتدأ خبره محذوف، والتقدير: (أم من خلقنا أشد). وقوله تعالى: [أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ] (البقرة: 140)، الله مبتدأ خبره محذوف تقديره: (أم الله أعلم). ومثلها قوله تعالى: (أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ) (النازعات: 27)، والتقدير: (أم السماء أشد)، وحذف الخبر؛ لأنه سبق في الكلام ما يدل عليه (66). وهنا يحقق العدول عن الأصل الإيجاز، الذي تطرب له الأذان، وتفكر فيه الأذهان، معددة مدى علم الله تعالى واتساعه، ومُتصوِّرة عظيم شدة الله تعالى ومئاتها. وهذا الموضوع لم تتم الإشارة إليه في كتب النحويين إلا نادراً، حينما استعانت بشواهد من القرآن الكريم.

## 12 - إذا كان خبراً لمستفهم عنه ب (هل):

نصّ الزّجاج (67) على أنّ الخبر يُحذف إذا كان لمستفهم عنه ب (هل)، ومن ذلك قوله تعالى: [يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ] (ق: 30)، (من مزيد) من، حرف جرّ زائد، ومزيد مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنّه مبتدأ، خبره محذوف، والتقدير: (هل مِنْ مزيد عندكم)، وحُذِفَ الخبر؛ إيجازاً لأنّه لا فائدة تحصل من ذكره. ومنه قوله تعالى: [فَقَبُّوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ] (ق: 36)، ذكر مَكِّيّ أنّ (مَّحِيصٍ) مجرور لفظاً بمن الزائدة، مرفوع محلاً مبتدأ، والخبر محذوف تقديره: (لهم) (68). ومنه وقوله تعالى: (وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) (القمر: 15)، أورد أبو البقاء أنّ قوله (مِنْ مُدَكِّرٍ) مجرور لفظاً بمن الزائدة، مرفوع محلاً على أنه مبتدأ خبره محذوف، تقديره: (هناك) (69). وهذا الموضع ضجت به كتب النحويين البَحْتَة.

## 13 - إذا كان خبراً لما بعد (إذا) الفجائية:

ومن ذلك قراءة الأعرج: (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَاماً يَنْظُرُونَ] (الزمر: 68)، بنصب قياماً على الحال، وقد ذهب الأخفش الأوسط إلى أنّ الخبر محذوف وتقدير الكلام: (فإذا هم مبعوثون أو موجودون قياماً)، وأجاز الزّجاج (70) أن يكون الخبر (ينظرون)، وقد كثر تناول النحويين لهذا الموضع في كتبهم المعيارية البَحْتَة.

## 14 - إذا دلّ عليه خبرٌ مثله في اللفظ والمعنى متقدّم عليه:

ومن ذلك قوله تعالى: [مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ] (هود: 100)، حصيد مبتدأ محذوف الخبر والتقدير: (ومنها حصيد)، ومثله قوله تعالى: [أَكُلُّهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا] (الرعد: 35): ظلها مبتدأ حُذِفَ خبره، والتقدير: (وظلها دائم) (71).

ومثل ذلك قوله تعالى: [أُولَى لَكَ فَأُولَى] (القيامة: 34): (أولى) خبر لمبتدأ محذوف تقديره العقاب أو الهلاك، و(لك) متعلق بـ (أولى)، الفاء عاطفة (أولى) الثاني خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (التهديد أو الشر) حسبما ذكر ابن عطية(72). ومن هذه المسألة قوله تعالى: [فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ] (هود: 105): (وسعيد): مبتدأ محذوف الخبر والتقدير: (ومنهم سعيد) (73). ففي هذه الآيات حُذِفَت الأخبار إيجازاً؛ لأنه تقدّم في الكلام ما يدلّ عليها، وهذا الموضع ظاهرٌ في كتب النحويين.

#### 15 - فيما ظاهره الاستئناف والانقطاع عما قبله:

ومن ذلك قراءة الأعرج: [وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ] (النساء: 1)، بضم الميم من (والأرحام) على أنها مبتدأ، والخبر محذوف، والتقدير حسبما أفاد ابن جنّي(74): (والأرحام مما يتقى أو مما يُتَسَاءَلُ بِهِ). وقوله تعالى: [الْيَوْمَ أَجَلٌ لَّكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ] (المائدة: 5)، أجاز أبو البقاء (75) أن يكون قوله تعالى: (والمحصنات) مبتدأ خبره محذوف، والتقدير: (والمحصنات من المؤمنات حلٌّ لكم، أو معطوفاً على قوله (الطيبات)). ومثل ذلك قوله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ] (المائدة: 69)، في قوله (والصابئون) أوجه:

الأول: أن يكون مبتدأ خبره محذوف: والنّية فيه التّأخير، والتّقدير: (إنّ الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله والصابئون كذلك)، وهو قول جمهور البصريين وسيبويه (76).

الثاني: أن يكون معطوفاً على ضمير الفاعلين في هادوا وهو قول

الكسائي، وقد ردّه الفراء(77)؛ لأنه يجعل الصابئ يشارك اليهودي في اليهودية والمعنى ليس كذلك.

**الثالث:** أن يكون معطوفاً على محل اسم (إنّ) قبل دخولها عليه، وهو قول الفراء(78). وهو مردود؛ لأنه تمحل لا محوج إليه.

**الرابع:** أن تكون (إنّ) بمعنى (نعم) حرف جواب، فيكون ما بعدها مرفوعاً على الابتداء، وهو قول الزّجاج(79)، وما بعده معطوفاً عليه، وقد ردّ هذا الإعراب؛ لأنه لم يتقدّم هذه الجملة سؤالاً.

**الخامس:** أن يكون مبتدأ خبره قوله (من آمن بالله) على أنّ خبر إنّ محذوف، والتقدير: إنّ الذين آمنوا والذين هادوا يرحمون، وهو ما قاله الزمخشري(80).

**السادس:** أن يكون في موضع نصب على لغة بني الحرث وغيرهم الذين يعاملون المثني بالألف في كل حال، فالجمع السالم هنا محمول عليه، وهو ضعيفٌ فاسدٌ عند السّمين الحلبيّ(81)؛ لعدم وجود شاهد عليه بخلاف المثني، فترجّح بذلك القول الأول. ومن يطالع هذه الإعرابات يجد رَحابة في العدول عن الأصل، وتوسّعاً في التّأويل، وإعمالاً للصنعة النّحويّة، وكلّها مَحْكُومَةٌ بمراعاة دقّة المعنى.

#### 16 - بعد لكن:

ومن ذلك قوله تعالى: [وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ جِسَائِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذَكَرُوا لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ] (الأنعام: 69)، في إعراب (ذكرى) أربعة أقوال:  
الأول: أن تكون خبر مبتدأ محذوفاً، والتقدير: (ولكن الواجب ذكرى)، على رأي الزّجاج(82).

**الثالث:** أن تكون منصوبة على المصدر بفعل من لفظها، وهذا إعراب النّحّاس(83).

الرابعة: أن تكون معطوفة على موضع (من شيء)؛ لأنّ (من) زائدة، وهو رأي أبي حيّان (84). وهذا من مواضع حذف الخبر التي بانَ فيها توسّع المعربين للقرآن في القول بالعدول عن الأصل، ولم تقف عنده كتب النّحويين المعيارية البحتة.

#### 17 - لاقتضاء القراءة:

حكّم كثيرٌ من العلماء بحذف الخبر لاقتضاء القراءة القرآنية، ومن ذلك قوله تعالى على وفق قراءة ابن مسعود: [وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا] (الأنعام: 96)، برفع (الشمس والقمر) على الابتداء والخبر محذوف، والتقدير: (والشمس والقمر مجعولان حسباناً)، وقد دلّ على هذا الإعراب ما قبله (85). ومنه قوله تعالى على قراءة الضحاك: [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ... وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ] (الأحزاب: 50)، برفع (امرأة) على أنّها مبتدأ منعوّ، خبره محذوف، تقديره: (وامرأة مؤمنة أحللناها لك) (86)، ومن ذلك قراءة على بن أبي طالب: [وَنَحْنُ عُصْبَةٌ] (يوسف: 8)، بنصب (عصبة) على أن نحن في محل رفع مبتدأ، خبره محذوف، والتقدير: (ونحن نجتمع عصبة) (87). وهذا الموضع لحذف الخبر انفردت به كتب إعراب القرآن الكريم.

#### 18 - حذف الخبر في غير ما مرّ:

حُذِفَ الخبر في القرآن في غير ما مرّ من مواضع، ومن ذلك قوله تعالى: [وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ] (الأحزاب: 5)، أجاز مكّي (88) أن تكون (ما) بعد (ولكن) في موضع رفع على الابتداء والخبر محذوف، والتقدير: (ولكن ما تعمدت قلوبكم تؤخذون به)، وأعربها آخرون في موضع جرّ عطفاً على (ما) الأولى.

ومن ذلك قوله تعالى: [وَتُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أُورَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] (الأعراف: 43)، ذهب أبو حيان (89) إلى أن (تلكم) مبتدأ خبره محذوف، والتقدير: (تلكم الجنة هذه)، ويجوز أن يكون خبرُ المبتدأ محذوفاً، والتقدير: (هذه تلكم)، ويجوز أن تكون (تلكم) مبتدأ، خبرها الجنة، وهو الظاهر. ومنه قوله تعالى: [وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ] (الكهف: 39)، يجوز في (ما) أن تكون موصولة في موضع رفع على الابتداء، والتقدير: (ما شاء الله كائن) على أنّ الخبر محذوف، وأن تكون خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: (الأمر ما شاء الله)، وأن تكون شرطية في موضع نصب بالفعل بعدها، والتقدير: (ما شاء الله كان) (90).

### الخاتمة:

لم يكن هدف هذه البحث مجرد إثبات العدول عن الأصل بحذف الخبر عند ثلّة من المعربين للقرآن؛ فهذا أمر لا إشكال فيه، ولكن كان هدفه إثبات الرحابة والتوسّع في ذلك، وتوصل إلى النتائج التالية:

اتّضح أن العدول عن الأصل بحذف الخبر في القرآن الكريم له مجالٌ رحبٌ إذا قُورن بما في كتب النحويين، فقد نصّ النحويون في كتبهم على خمسة مواضع يُعدّل فيها عن الأصل بحذف الخبر وجوباً، وثلاثة مواضع يُعدّل فيها عن الأصل بحذف الخبر جوازاً.

وثبت أنّ الإعراب بالعدول عن الأصل في كتب إعراب القرآن بحذف الخبر ورد في ثمانية عشر موضعاً.

مواضع العدول عن الأصل بحذف الخبر وجوباً في كتب النحويين، هي:

إذا كان الخبرُ كوناً مطلقاً والمبتدأ واقعاً بعد لولا، وإذا كان المبتدأ صريحاً

في القسم، وإذا كان المبتدأ معطوفاً على اسم بواو هي نصّ في المعية، وإذا كان المبتدأ مصدرأً صريحاً عاملاً في اسم مفسّر لضمير ذي حال لا يصحّ كونها خبراً، أو مضافاً إلى المصدر المذكور، أو إلى مؤوّل بالمصدر المذكور، وإذا تقدّم الخبر على أداة شرطية واقترن ما بعدها بالفاء.

مواضع العدول عن الأصل بحذف الخبر جوازاً في كتب التّحويين، هي: إذا كان خبراً لما بعد (إذا) الفجائية، وإذا دلّ عليه خبرٌ مثله في اللفظ والمعنى متقدّم عليه، وإذا كان خبراً لمستفهم عنه بـ (هل).

مواضع العدول عن الأصل بحذف الخبر التي انفردت بها كتب المعربين للقرآن، هي: بعد (لو) إذا جاء بعدها اسمٌ غيرٌ صريح، وفيما لا يصحّ فيه وقوع الجملة خبراً، وفيما هو مسبوق بحرف العطف ولا يصحّ أن يعطف على ما قبله لمانع، وفيما ظاهره العطف على الضمير، وفيما ظاهره الابتداء بالنكرة، وإذا كان معادِل الهمزة، وإذا كان معادِل أم، وفيما ظاهره الاستئناف والانقطاع عمّا قبله، وبعد لكن، ولاقتضاء القراءة، وإذا جاء بعد (ما) الواقعة بعد لكن، وإذا وقع بعد ما الموصولة.

حدث العدول عن الأصل بحذف الخبر في القرآن غالباً لتحقيق الإيجاز، وهو الغرض الأكثر شيوعاً، وحينما لا يكون في ذكره فائدة ويمكن الاستغناء عنه، وعندما يكون جواباً عن سؤال ولو كان السؤال مقدراً، ولتوجيه المخاطب لنفس الحدث دون المحدث، وللاختصاص وتقوية الحكم، وإذا كان المقام مقام مدح أو ذم أو ترحم.



الهوامش:

- 1 - لسان العرب، لابن منظور: مادة (رحب): 414 / 10
- 2 - الكتاب، لسيبويه: 179/1
- 3 - ينظر: الخصائص، لابن جني: 1 / 295، 2 / 459، 3 / 20.
- 4 - ينظر: إعجاز القرآن، للباقلاني: 190
- 5 - ينظر: دلائل الإعجاز، للجرجاني: 289.
- 6 - لسان العرب لابن منظور: مادة (حذف): 225/2
- 7 - شرح ابن عقيل: 243/1.
- 8 - لسان العرب لابن منظور: مادة (خبر): 246/2
- 9 - أوضح المسالك لابن هشام: 173/1.
- 10 - عزاه إليه السيوطي: الأشباه والنظائر: 64/2
- 11 - ينظر: شرح المفصل، لابن يعيش: 1 / 239، شرح التسهيل لابن مالك: 1م 275، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب: 1 / 317 - 318، شرح التصريح على التوضيح للأزهري: 178/1، أوضح المسالك لابن هشام: 220/1 - 223، همع الهوامع للسيوطي: 106 / 1.
- 12 - المقتضب للمبرد: 81/2
- 13 - اللمع لابن جني: 30
- 14 - شرح المفصل لابن يعيش: 1 / 239
- 15 - ينظر: البحر المحيط لأبي حيان: 220/1
- 16 - عزاه إليه السّمين الحلبيّ: ينظر: الدر المصون: 42/2
- 17 - عزاه إليه السيوطي: ينظر: همع الهوامع: 176/1
- 18 - ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن، لابن الأنباري: 2 / 476
- 19 - ينظر: تفسير القرطبي: 215/2
- 20 - ينظر: إعراب القرآن وبيانه، للدرويش: 18 / 7
- 21 - ينظر: تفسير القرطبي: 206/2
- 22 - ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان: 402/2
- 23 - ينظر: الكتاب، لسيبويه: 72/1
- 24 - ينظر: إعراب القرآن للزجاج: 93/1
- 25 - ينظر: التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء: 76/1
- 26 - ينظر: تفسير القرطبي: 215/2

- 27 - ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان: 402/2
- 28 - ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان: 402/2
- 29 - ينظر: الدر المصون للسمين الحلبي: 22/4
- 30 - ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن، لابن الأنباري: 83 /3
- 31 - ينظر: روح المعاني، للألوسي: 384/7
- 32 - ينظر: الكشاف، للزمخشري: 231/3
- 33 - ينظر: الكشاف، للزمخشري: 231/3
- 34 - ينظر: ارتشاف الضرب، لأبي حيان: 231/3
- 35 - ينظر: شرح التصريح، للأزهري: 165/1
- 36 - ينظر: تفسير القرطبي: 48/9
- 37 - ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن، لابن الأنباري: 290/1.
- 38 - ينظر: إعراب القرآن للتخّاس: 267/1
- 39 - ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن، لابن الأنباري: 290/1
- 40 - ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان: 477/4
- 41 - ينظر: مشكل إعراب القرآن، لمكي: 388/1
- 42 - ينظر: التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء: 187/1
- 43 - ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان: 118/1
- 44 - ينظر: الدر المصون، للسمين الحلبي: 291/2
- 45 - ينظر: تفسير القرطبي: 135/2
- 46 - ينظر: نقلاً من المحتسب، لابن جني: 297/2
- 47 - ينظر: الكشاف، للزمخشري: 36/4
- 48 - ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان: 174/8
- 49 - ينظر: المحتسب، لابن جني: 169 /2
- 50 - ينظر: الكتاب، لسيبويه: 144/2 - 146
- 51 - ينظر: الكشاف، للزمخشري: 235/2
- 52 - ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية: 332/2
- 53 - ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: 104/5
- 54 - ينظر: تفسير القرطبي: 204/17
- 55 - ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان: 462/5
- 56 - ينظر: همع الهوامع، للسيوطي: 43/2

- 57 - ينظر: مشكل إعراب القرآن، لمكي: 368/1
- 58 - ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان: 46/6
- 59 - ينظر: روح المعاني، للألوسي: 292/6
- 60 - ينظر: الدر المصون، للسمين الحلبي: 669/1
- 61 - ينظر: إعراب القرآن وبيانه، للدرويش: 11/3
- 62 - ينظر: إعراب القرآن وبيان للدرويش: 43/3
- 63 - ينظر: معاني القرآن وإعرابه للأخفش: 262/2
- 64 - ينظر: تفسير القرطبي: 847/15
- 65 - ينظر: التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء: 127/2
- 66 - ينظر: روح المعاني، للألوسي: 275 /12
- 67 - ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: 410/2
- 68 - ينظر: مشكل إعراب القرآن، لمكي: 293/1
- 69 - ينظر: التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء: 194/2
- 70 - ينظر: معاني القرآن، للأخفش: 548/2، معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: 22/4
- 71 - ينظر: معاني القرآن، للفراء: 27/2
- 72 - ينظر: المحرر الوجيز / لابن عطية: 117/5.
- 73 - ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية: 207/3
- 74 - ينظر: المحتسب، لابن جني: 159/1
- 75 - ينظر: التبيان في إعراب القرآن، للعكبري: 420/1
- 76 - ينظر: الدر المصون، للسمين الحلبي: 207/3
- 77 - ينظر: معاني القرآن، للفراء: 183/2
- 78 - ينظر: معاني القرآن، للفراء: 183/2
- 79 - ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 193/2
- 80 - ينظر: الكشاف، للزمخشري: 660/1
- 81 - ينظر: الدر المصون، للسمين الحلبي: 353/4
- 82 - ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: 261 /2
- 83 - ينظر: إعراب القرآن، للنحاس: 10/2
- 84 - ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان: 154/4
- 85 - ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان: 186/4
- 86 - ينظر: التبيان في إعراب القرآن، للعكبري: 158/2

87 - ينظر: الكشاف، للزمخشري: 305/2

88 - ينظر: مشكل إعراب القرآن، لمكي: 192/2

89 - ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان: 300/4

90 - ينظر: تفسير القرطبي: 406/10

#### قائمة المصادر والمراجع:

الأخفش الأوسط المجاشعي، معاني القرآن، تحقيق، هدى محمود، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1985م

أبو البقاء، عبد الله بن الحسين العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق، علي البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1976م.

أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، تحقيق، صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1983م.

الأزهري، خالد بن عبد الله، شرح التصريح على التوضيح، تحقيق، محمد باسل عيون السود، دار الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1995م.

الأستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن، شرح الكافية في النحو، دار الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1945م.

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق، علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ.

ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن محمد بن أبي سعيد، البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الأوقاف، بيروت، الطبعة الأولى، 1980م.

الباقلاني، محمد بن الطيب أبو بكر، إعجاز القرآن، تحقيق، السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1999م.

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، تحقيق، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1992م.

ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق، إبراهيم السامرائي، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1984م.

ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى، 1990م.

درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى، إعراب القرآن وبيانه، تحقيق، بدون، دار اليمامة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1992م.

- الرَّجَّاح، إبراهيم بن السري بن سهل، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب للنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م.
- الزمخشري، جار الله محمود ابن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل، تحقيق، بدون، المكتبة الكبرى، القاهرة، الطبعة الأولى، 1935م.
- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق أحمد محمد خراط، الطبعة الأولى، 1978م.
- سيوييه، أبو بشر عمرو بن قمبر، الكتاب، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، دار الجيل للنشر، بيروت الطبعة الثالثة، 1988م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين، الأشباه والنظائر، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم محمد، مطبعة عيسى البابي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1965م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين، همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، 1996م.
- ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية، 1999م.
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب الغرناطي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق، البجاوي، الطبعة الثالثة، 1999م.
- الفراء، يحيى بن زياد بن عبد الله، معاني القرآن، تحقيق، أحمد يوسف النجاتي وآخرين، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1977م.
- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق، أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1964م.
- ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي، شرح تسهيل الفوائد، تحقيق، عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1990م.
- المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، المقتضب، تحقيق، محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1994م.
- المرادي، بدر الدين حسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق، د فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1992 م.
- مكي بن أبي طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الثانية، 1405 هـ.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق، محمد محي الدين

---

عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2009م.  
ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، قدم له، الدكتور إميل بديع يعقوب،  
دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2001 م.

## التَّقْنِيَّاتِ الْحِجَاجِيَّةِ فِي وَصْفِ أُمِّ مَعْبُدِ الْخُرَاعِيَّةِ

---

إعداد:

د. شاذليّة سيّد محمّد السيّد

أستاذ علم اللغة المساعد بجامعة أم القرى

الكلية الجامعية بالقنفذة - قسم اللغة العربية

---





## الملخص:

ينهض هذا البحث باستجلاء الأبعاد الحجاجية، والطاقة الإقناعية القارة في الوصف؛ بكشفه عن التقنيات الحجاجية في وصف أم معبد الخزاعية للنبي صلى الله عليه وسلم، ودور هذه التقنيات في توجيه الوصف حجاجياً، وسلك البحث في تحقيق هذه الغاية منها وصفا تحليلياً، ونهل في مقارنته الحجاجية من معين النظريات التي رفدت الدرس الحجاجي بمشاربها المنطقية، والبلاغية، واللغوية؛ ليتوصل إلى نتائج، منها: اضطلاع الوصف بدور في التوجيه الحجاجي لكونه فعلاً لغوياً له قوة إنجازية وتأثيرية، وجمعت أم معبد في الوصف بين تقنيات تحقق فيها الإمتاع والإقناع، وتوثيقها لعرى التراكيب بروابط ساعدت على تماسك النص، وعوامل حصرت الحجج وقيدتها بالنتائج.

**الكلمات المفتاحية:** تحليل الخطاب، الوصف، تقنيات الحجاج، الروابط

الحجاجية

### **Abstract:**

This research promotes an elucidation of the argumentative dimensions and persuasive power deeply in the description by revealing the argumentative techniques in describing of Umm Mobbed Al - khuzaiya of the Prophet, may God bless him and grant him peace and the role of these techniques in guiding the description as an argumentative. In addition, the research pursued this goal in a descriptive and analytical approach. The theories that provided the argumentative lesson with its logical, rhetorical and linguistic approaches; in order to reach conclusions, including: the description plays a role in argumentative direction because it is a linguistic act that has an achievement and impactful power. And Umm Mobbed combined techniques in the description that achieve amusement and persuasion, and documenting them in the ties of the structures with links that helped in the coherence of the text, and factors that restricted the arguments and restricted them to the results.

Keywords: Discourse Analysis, Description, Argumentative techniques, Argumentative connections.

## المقدمة:

تبوأ المقاربة الحجاجية في تحليل الخطاب مكانة في السنوات الأخيرة من تطوّر الدرس اللسانيّ، فيمّم الباحثون فكرهم شطرها، وأسألوا حبر أقلامهم فيها تنظيراً وتطبيقاً، فقد «مثلت الحجاجيات اللسانية مجاوزة لكثير من الأفكار التي تبلورت في إطارها؛ لتتمكّن بفضل ذلك من رسم معالم دقيقة لدرس جديد مستقلّ في موضوعه، درس ينطوي على نضج نظريّ يخرج من دائرة النظريات الفلسفية ليلحقه بالممارسة العملية اللسانية»<sup>1</sup> مما أغرى كثيراً من الباحثين - وأنا منهم - باستثمار أدوات التحليل الحجاجيّ، والمفاهيم التداولية في إعادة قراءة التراث، وتحليله من وجهة جديدة تُثريه، وتُخرج كوامن معانيه ومقاصده.

وتنهض هذه الدراسة بالبحث عن الطّاقة الإقناعية في الخطاب الوصفيّ، واستجلاء الأبعاد الحجاجية القارّة فيه، وقد وقع اختياري على وصف أمّ معبد الخزاعية للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم<sup>2</sup>، للكشف عن التقنيات الحجاجية فيه، ودورها في الإقناع والتأثير، وأحسب أنّ هذا الوصف لم ينل حظه الكافي من التحليل، وطالما ساورتني الرغبة في تحليله إلى أن استقرّ أمري على تحليله حجاجياً ليقيني أنّه يزيد ثراءً بالمعاني والدلالات والمقاصد الضمنية، وإخال أنّ مثل هذه الدراسات ترفد البحث اللغوي العربي وتُثريه إثراء يُضاف لرصيد محاولات الباحثين في إعادة قراءة نصوص التراث في ضوء معطيات تحليل الخطاب حديثاً.

وسيقنصر البحث على دراسة التقنيات الحجاجية المستخدمة في هذا الوصف من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

ما الوظائف الحجاجية التي يؤديها الوصف في الخطاب؟

هل هناك أسلوب حجاجي في وصف أم معبد؟  
ما التقنيات الحجاجية التي اتكأ عليها وصف أم معبد؟  
ما مدى قدرة هذه التقنيات على التأثير والإقناع؟  
وتحقيقاً لذلك سلك البحث منهجاً وصفيّاً تحليليّاً، مزاولاً في تناول  
موضوعاته بين منهجيتين حجاجيتين في تحليل الخطاب إحداهما منطقيّة  
بلاغية، وثانيتها تداولية لسانية. وعليه جاء البحث في تمهيد تناولت فيه  
مفاهيم إجرائية تتعلّق بالوصف والحجاج، ومبحثين:

#### المبحث الأول: التقنيات الحجاجية غير اللسانية

#### المبحث الثاني: التقنيات الحجاجية اللسانية

وقد شددت أزر البحث بعدد من الدراسات السابقة، منها: الحجاج في القرآن  
لعبد الله صولة، واستراتيجيات الخطاب لعبد الهادي للشهري، والحجاج في  
الشعر العربي لسامية الدريدي، وغيرها من دراسات أثبتت ما استنقته منها  
في تضاعيف البحث.

#### التمهيد:

قبل أن نجوس في مسارب تحليل النصّ نمهد طريقنا لذلك بعدد من  
المفاهيم الإجرائية المعرّفة بموضوع البحث:

#### أولاً: الوصف:

ورد في العين أنه: «وصفك الشيء بجلّيته ونعته»<sup>3</sup>. وفي المقاييس: «  
الواو والصاد والفاء: أصل واحد، هو تحلية الشيء. ووصفته أصفه وصفاً.  
والصفة: الأمانة اللازمة للشيء، كما يقال وزنته وزناً، والزنة: قدر الشيء.  
يقال اتصف الشيء في عين الناظر: احتمل أن يوصف»<sup>4</sup>. كما اهتمت  
كتب الأدب والنقد بالوصف وتعريفه، قال ابن قدامة: «الوصف إنما هو

ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات»5. وأحسن الوصف عندهم ما استطاع فيه الواصف أن يجعل الموصوف كأنه رأي عين للسامع بحسن تصويره له، واستقرار وصفه في نفسه، قال ابن رشيق: «وقال بعض المتأخرين: أبلغ الوصف ما قلب السمع بصرًا»6. ومرجع اهتمام هؤلاء النقاد به أن جلّ الشعر راجع إلى باب الوصف7، ومن تعريفات المحدثين له «إنّه تمثيل الأشياء والحالات أو المواقف أو الأحداث في وجودها ووظيفتها مكانياً وزمانياً»8، وعُرف أيضاً بأنه: «تصوير الظواهر الطبيعيّة بصورة واضحة التّقسيم، وتلوين الآثار الإنسانيّة بألوان كاشفة عن الجمال، وتحليل المشاعر الإنسانيّة تحليلاً يصل بك إلى الأعماق»9. ومما سبق من دلالاته اللغويّة وما ورد عنه في الأدبيّات التّقدّيّة نستطيع القول: إنّ الوصف إظهار للشيء وكشف عن كل أحواله وهيئاته بقصد تقريب الموصوف، وإظهاره للموصوف له كأنه مائل أمامه يحسّ بوجوده وإن كان معنّى من المعاني. وهو بهذا عملية ذهنيّة تسعى لمشابهة الواقع في إظهار الموصوف.

ويشغل الوصف مكانة في الدّراسات الأدبيّة والتّقدّيّة لاعتماد الأشكال الأدبيّة عليه من شعر ونثر سيّما القصّة والرّواية، وإن كان بعضهم ينظر إليه بوصفه تابعاً لغيره، إلا أننا لا نعدو الحقيقة حين نوّكد أنّه مستقر في بنية اللّغة الصّرفيّة والنّحويّة والدّلاليّة، وهو أيضاً أسلوب كتاب وخطاب له بنية شكلية وطرائق اشتغال داخلي، وله أيضاً بنية دلاليّة متينة الصّلة بسياقها والمقاصد التّواصلية للواصف»10 لذا يشكل عنصراً مهماً في الخطاب وله وظائف تتعدّى الرّخرفة والتّقويم، فمن وظائفه الإخبار والتّفسير والتّعبير والتّأويل والرّمز وبناء النّص وتناميّه دلاليّاً11 وله وظائف تداوليّة وحاجيّة تتمظهر في مقاصده ومضامينه، وهذا ما تضطلع به هذه الدّراسة وتُجليه.

## ثانياً: الحجاج:

أسهبت الدراسات تنظيراً وتطبيقاً في تجلية مفهوم الحجاج، وحتى لا يكون كلامنا معاداً مكروراً فإننا نورد من هنا ما يخدم هذه الدراسة ويذلل طريقها، انطلاقاً من المعنى اللغوي، فإن من معاني أصل الجذر (حجج) ودلالاته المحورية القصد، ومن هذه الدلالة اشتقت الحجة وجمعها حجج ومصدرها (حجاج) وتدور معانيها حول الغلبة والظفر عند الخصومة والجدل والبرهان 12. ولا يخفى تعالق هذه المعاني وارتباطها، وعلاقتها بدلالة الأصل، فالحجة يُقصد إليها عند الخصومة لتحقيق الغلبة والظفر.

أما الحجاج بوصفه مصطلحاً فتبدو المشقة واضحة في الوصول إلى قول فصل فيه فقد تشعبت حوله الأقوال والتنظيرات، وتواتر بسطه ونشره في البحوث والدراسات المختلفة، وقد تجاذبته مدارس مختلفة وتنازعت مشارب متعددة المنابع ما بين الفلسفة والبلاغة واللغة وغيرها، مما صعب لملمة أطرافه أو تقديم رؤية واحدة حوله، أما تعريفه فهو كما يقول طه عبد الرحمن: «كلّ منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها» 13. وأما هدفه فقد اتفقت المتون التنظيرية للحجاج في مجملها على أنّ «الخطاب الحجاجي يتميز عن باقي الخطابات الأخرى؛ بكونه خطاباً مبنياً وموجهاً وهادفاً» 14.

كما نصّت على أنّ: «إذعان العقول بالتّصديق لما يطرحه المرسل، أو العمل على زيادة الإذعان، هو الغاية من كلّ حجاج، فأنجع حجة هي تلك التي تنجح في تقوية حدة الإذعان عند من يسمعها، وبطريقة تدفعه إلى المبادرة سواء بالإقدام على العمل، أو الإحجام عنه، أو هي على الأقلّ تحقق الرغبة عند المرسل إليه أن يقوم بالعمل في اللحظة الملائمة» 15.

والخطاب الحجاجي الناجع هو الذي يُراعي قطبي العملية التّواصلية (المتكلم والمتلقّي) ويوظّف السياق اللّغويّ وغير اللّغويّ، ويستثمر كلّ ما يتعلّق بسياق التّواصل من خبرات مشتركة بين الطّرفين ليصل إلى غايته، ويحقّق مقصده من الخطاب وهو الإقناع، ومن هنا كانت العلاقة الوثيقة بين الحجاج والتّداوليّة بل صار الحجاج مبحثاً أصيلاً في اللّسانيات التّداوليّة، فتحليل الخطاب الحجاجي لا يتأتّى إلا بدراسة علاقة الخطاب بقائله، والعلاقة بينه وبين متلقّيه، وبحث الهدف منه وتحقيق مقاصده.

ويتميّز النّص الحجاجي: «بكونه نصّاً مترابطاً متناغماً يقوم على وحدة معيّنة لا تكون بالضرّورة واضحة جليّة، بل قد تأتي على نحو خفي لا نكاد نلمحه، وُضِع لإقناع المتلقّي بفكرة ما أو بحقيقة معيّنة عن طريق تقنيات مخصوصة»<sup>16</sup>.

وانطلاقاً من هذا نستطيع القول: إنّ وصف أمّ معبد هو خطاب حجاجي، وقد نقل عبد الله صولة عن (بنقنيست) أنّ «الخطاب في أحد مفاهيمه، كل قول يفترض متكلماً وسامعاً مع توافر مقصد التأثير بوجه من الوجوه في هذا السامع»<sup>17</sup>، وأمّ معبد في هذا الخطاب الوصفي لا تلعب بالألفاظ فقط، ولا تنقل تجربة فردية ذاتية فحسب، لكنها تهدف للتأثير في زوجها وإقناعه بأنّ الرّجل الذي مرّ بخيمتها رجل مبارك، متميّز بصفات جعلتها تفضّله على رفيقيه، وقدمت في خطابها حججاً تخدم غايتها، وتُسهم في توجيه زوجها نحو هذه الغاية. وبذا توفّر خطابها على عناصر الحجاج، من: مرسل (مخاطب)، ورسالة (خطاب)، ومُتلّق (مخاطب)، وحجج سيقت بطرق مختلفة وغاية هي الإقناع.

إنّ الغاية من العملية الحجاجية المتمثلة في حمل المتلقّي على الإذعان - تدفع المتكلم إلى سلوك ما يحقّق هذه الغاية في خطابه، فالحجاج « لا يعني حشد الحجج وربط مفاصل الكلام وتعليق بعضه ببعض الآخر فحسب؛ بل يعني كذلك جملة من الاختيارات الأخرى في مستوى المعجم والتركييب، وأزمنة الأفعال، وصيغ الكلمات، وأنواع الصور، ومصادر التصوير» 18. وهذه التقنيات هي أحمة الدرس الحجاجي وسداه؛ لأنّ موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم» 19. وتأتي هذه الاختيارات بناءً على علاقة المتكلم بالمتلقّي ومعرفته به، والسّياق الذي يجيء فيه الكلام والغاية التي يرمي إليها.

وقد سعت التّظييرات الحديثة للحجاج إلى تصنيف هذه الاختيارات، وتسميتها بتقنيات الحجاج معبرين بها عن أكثر الاختيارات وروداً عند المحاجة، ولاريب في تعدّد هذه التقنيات تبعاً لاختلاف النظرة حول الحجاج، وقد استرشدت البحث تلك النظريات في سبر كوامن الخطاب واستخلاص آليات الحجاج وتقنياته التي وظّفت فيه، وحقّقت هدفه الإقناعي، وجنح إلى التوسّط والاعتدال بين نظريتين، إحداهما ضيّقت أفق الدرس الحجاجي باعتمادها رسوماً منطقية رياضية وشكلية عادية كما هي الحال في نظرية البلاغة الجديدة أو الخطابة الجديدة عند (بيرلمان، وتيتيكاه) 20، والثانية وسّعت الحجاج وجعلته متحقّقاً في جوهر اللّغة كما هي الحال في التداوليّات المدمجة عند (ديكرو وأنسكومبر) 21. أخذاً من كليهما ما يتحقّق في الخطاب الذي نحلّله ونبيّن دوره في الإقناع.

وتبدو المهمة شاقّة وعسيرة عند البحث عن كوامن الحجاج في الخطاب؛



لأنها قائمة على سبُر أغوار الخطاب وإعمال العقل فيه إعمالاً لا يخلو من تأويل، فكيف لو كان قائماً على جُمَلٍ وصفية تقويمية ذات أحكام تقييمية جلّها خاضع لوجهة نظر ذاتي؟! فالتحدّي الذي يواجه الباحث هو بيان كيفية توظيفها حجاجياً وبيان معانيها الضمنية والتوجيه الحجاجي فيها، بجانب وظيفتها الانفعالية والتأثيرية التي تقوي الوجهة الحجاجية.

وإن بدا للقارئ تكراراً في الأمثلة وتحليلها من زوايا مختلفة، فمردّد ذلك إلى تداخل الحجج، وتكثيفها في المثال الواحد، وأخذ بعضها برقاب بعض، وهذا أدعى للإقناع، ودليل على حجاجية الوصف.

### المبحث الأول: التقنيات غير اللسانية:

#### حجاجية المقام:

إنّ معرفة المقام تُعين على فهم ملابسات الخطاب، ومعرفة مقاصد المتكلم ومراعاته لحال المخاطب في حججه، «فهو القمين برفع اللبس وتوجيه دلالة المقال» 22، وعن طريقه نصل إلى التقنيات الحجاجية التي ينبني عليها الخطاب. ويشير مقام هذا الوصف إلى الوقائع التي بنت عليها أمّ معبد خطابها، فاختيارها له دون صاحبيه لتحدّث زوجها عنه، وتخصيصه بالوصف جاء بناء على ما شاهدت من أحواله التي ميّزته عنهما، فكان مفتتح وصفها (رأيت رجلاً) فهي تمهّد لمصادقية قولها، وهو أبلغ من أن تستفتح بعبارة (هو رجل) فهي تعلن أنّ وصفها منطلق من وقائع مشاهدة وردت في سياق القصة. ومتلقّي الخطاب الذي يقدّم له الوصف هو زوجها الذي استنكر ما رآه من تغير حال شاتها العجفاء وامتلاء ضرعها باللبن، ومعرفتها بزوجها جعلتها تتكئ على المقدمات الحجاجية التي هي من صميم فكرة المقام، فالمقدمات تمثل ما هو مشترك من وقائع وحقائق وقيم وهرميات

وافتراضات ومواضع 23. وقد انتقت أمَّ معبد مسلمات مشتركة من قيم ومواضع لتقدّم حججها عبرها، ولتحظى بإذعانه لها واقتناعه بها بحكم معرفتها به. وهذا يدلّ على فطنتها وكياستها.

### القيم:

تعدّ القيم من المسلمات التي تجد قبولا في المجتمع، وقد ذكرها (بيرلمان) في مقدمات الحجاج بوصفها منطلقاً له، ولها قيمة حجاجية لأنّ المتلقّي يذعن لها 24، ولعلّ تسميتها بالمقدمات يشير إلى ضرورة ابتداء الحجاج بها، لأنّ «وحدات البداية هي أهمّ ما يقرع الأذهان المتلقّية ويحدّد درجة القبول أو الرفض للتصور المقدم» 25. وللمحاجج أن يختار منها حسب معرفته بالمتلقّي ومدى تسليمه بها.

وقد اعتمد وصف أمّ معبد على هذه الحجة؛ بل تكاد تكون المسيطرة على حجاجها في وصف النبي صلّى الله عليه وسلّم لتثبت لزوجها تفرد الموصوف وتميّزه، حيث دار خطابها في فلك قيمتين دالّتين على هذا التميّز والتفرد هما قيمة الجمال الحسيّ في قولها: «رَأَيْتُ رَجُلًا ظَاهِرَ الْوَضَاءَةِ، أَبْلَجَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الْخُلُقِ 26» والجمال الأخلاقي وهو جمال معنويّ ظهر أولاً في كلمة جامعة لجملة من الأخلاق في قولها: «إِنْ صَمَتَ فَعَلَيْهِ الْوَقَارُ»، فيدخل في الوقار الحلم والرزانة والسكينة، وكذلك عندما نفت عنه خصلتين مذمومتين هما العبوس وتكذيب الآخرين والاستخفاف بهم «مَحْفُودٌ مَحْشُودٌ، لَا عَابِسٌ، وَلَا مُفَنِّدٌ» 27. وهي بهذا النفي تُثبت له قيماً أخلاقية محبّبة هي البشاشة، وعدم الاستخفاف بحديث جليسه.

ولا نعدو الصواب في أنّ هذا الجمع بينهما لم يأت من فراغ، فالجمع بين الجمال الحسيّ والمعنويّ دليل على كمال الموصوف، فالطبّاع مجبولة على

حبّ القيم المعنويّة، فكيف إذا اجتمعت معها القيم الحسيّة، وقد صدّرت وصفها بالفعل (رأيت) دلالة على بصرها وتيقّنها بما وصفت، والجمال الحسيّ ممّا يدرك بالبصر، أما الجمال المعنويّ فهو وإن كان مرتبطاً بالباطن إلاّ أنّه يبدو في السلوك الظاهر ما يدل عليه، فكان تعبيرها بالرؤية عن إدراكها لهاتين القيمتين. ولأنّ قيمة الجمال الحسيّ مما يتفاوت الناس فيه فقد فصلت فيه تفصيلاً استغرق معظم الوصف وهي بهذا التفصيل أبلغ تأثيراً لأنّ؛ «الجمال يختلف - في صفاته وشروطه - باختلاف الأشياء، فكل شيء جماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له، فإذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة؛ فهو في غاية الجمال» 28.

مما يتّصل بالقيم من مقدمات الحجاج هرميّة القيم، فالقيم متفاوتة، لكنها اختارت من قيم الجمال الحسيّ أعلاها وهو جمال الوجه، فالوضاءة جمال الوجه كما ذكر ابن دريد 29، كما اختارت من القيم المعنويّة قيمة جامعة ومضمرة لقيم أخرى هي (الوقار).

**المواضع:** من المقدمات العامة للحجاج، كما أنّها مخازن للحجج 30، فهي تعبّر عن فكرة أو رأي مشترك بين المجموعة متعارف عليها وتجد القبول عندهم، لذا فهي التي «تشدّ الملفوظ إلى مرجعيّة لها سلطة دامغة تجعل المتقبّل يذعن ويسلم بهما في الخطاب» 31، فإذا أخذنا استفتاح أمّ معبد وصفها بقولها: «رأيت رجلاً» بالفعل (رأيت) يحيل إلى موضع وفكرة لها القبول وهي أنّه «ليس الخبر كالعيان» فما سترويه في خطابها مستند إلى وقائع وحقائق رأتها بعينها، وهذا أدعى لتصديق كلامها وتقوية لحججها، كما وظّفت موضعاً آخر في قولها: «إِنْ قَالَ: سَمِعُوا لِقَوْلِهِ، وَإِنْ أَمَرَ تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ» فقد استندت في هذه الحجة إلى فكرة (موضع) لها القبول، هي أن

المحبّ لمن يحبّ مطيع، وأنّ علو المنزلة والقدر يقتضي الحقد والحشد. وقد أسهم عامل الشرط في إظهار هذا الموضع. وبهذا استندت الحجة ونتيجتها للموضع.

**المقارنة:** من الحجج المؤسّسة لبنية الواقع عند (أوليفي روبول) بينما يعدّها (بيرلمان) من الحجج شبه المنطقيّة 32، وهي نوع من القياس يُخضع له شيئان لمعرفة التشابه والاختلاف بينهما، وقد استخدمت أمّ معبد هذه الحجة حين قارنت بين النبي صلى الله عليه وسلم ورفيقه «عُصْنٌ بَيْنَ عُصْنَيْنِ فَهَوَّ أَنْضَرُ الثَّلَاثَةِ مَنْظَرًا، وَأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا» ففي هذا النصّ مقارنة في الجمال والنّضارة وعلو القدر والمنزلة، وقد استعانت بالبلاغة لإثبات تفوّقه في المقارنة الأولى فشبّهتهم بأغصان الشّجرة، ثمّ قارنت بينهم باستخدام صيغة التّفصيل - التي هي في أصلها مقارنة (مفاضلة) في النّضارة فأثبتت له التّفوّق، ولعلّ هذه المقارنة التي كلا طرفيها في الجانب الإيجابيّ أبلغ في التأثير من المقارنة القائمة بين المتناقضين، فلو كان أحد طرفي المقارنة على التّفويض لما عسرت المقارنة وملاحظة الفرق، لكن لما كان طرفيها في الجانب الإيجابيّ فالمفاضلة تحتاج إلى عمق وبعد نظر. أمّا حجّتها (علو منزلته وقدره) فقائمة على المقارنة بينهم، لما رأته من حفاوتهم به ومبادرتهم في خدمته والالتفاف حوله، فلو لم يكن هو أعلامهم منزلة لما فعلوا ذلك، وقد استعانت بما رأته من أحواله وأفعاله كما ورد في المقام الوصف.

**الشّخص وأعماله:** وهي عند (بيرلمان وتيتيكاه) من الحجج الاتّصالية المؤسّسة على بنية الواقع 33، فأعمال الشّخص واحدة من الحجج التي تساق للإقناع بقضيّة ما، فهي تُعين على فهم طبيعة الشّخص وبها تتّضح علاقته بمن حوله، ولمّا كانت أمّ معبد رضي الله عنها في وصفها بصدد الاحتجاج

لتمييز النبي صلى الله عليه وسلم فلم تقتصر على الوصف الخَلقي فقط ؛ بل نظرت إلى أعماله تصرفاته وعلاقته بمن حوله مما يُظهر شخصيته ويصلح للحكم عليه وتقويمه بناء عليها، فنظرت لحلو كلامه فهو فصل لا هذر ولا نزر، ونظرت لمكانته عند من معه، يستمعون لقوله ويتبادرون لأمره يخدمونه ويحتشدون حوله « لَهُ رُفَقَاءُ يَحْفُونَ بِهِ، إِنْ قَالَ: سَمِعُوا لِقَوْلِهِ، وَإِنْ أَمَرَ تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ، مَحْفُودٌ مَحْشُودٌ لَا عَابِسٌ وَلَا مُفَنَّدٌ » فلو لم تكن فعالة باعثة على الحقد والحشد والطاعة لما فعلوا ذلك، والمتأمل في هذه التقنية يجدها ترتبط بحجة السلطة التي تتمثل في الاحتجاج لفكرة أو رأي أو موقف اعتمادا على منزلة صاحبها، وما له من قيمة في عيون الناس 34، فلو لا ما للنبي صلى الله عليه وسلم من سلطة عليهما ومنزلة عندهما لما وجد ذلك منهم، وكل هذا يأتي طواعية لا إكراها، وحبًا لا خوفًا، فلو كان ما يقومان به قسرًا وجبرًا، لتحاشيا المكوث عنده بعد خدمته، وفي قولها: « لَا عَابِسَ وَلَا مُفَنَّدَ » ما يدل على ما ذهبنا إليه بقليل تأمل. فأنى لعابس ومكذب أو مكذب أن يجد حفدا وحشدا؟!!

### المبحث الثاني: التقنيات اللسانية:

أولاً: التقنيات اللغوية: عكفت اللسانيات المدمجة مع (ديكرو وأنسكومبر) على دراسة الحجاج في اللغة، وهو عندهم « علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب، تنتج عن عمل المحاجة، ولكن هذا العمل محكوم بقيود لغوية فلا بد من أن تتوفر في الحجة (ق 1) شروط محددة حتى تؤدي إلى (ق 2)، لذلك فإن الحجاج مسجل في بنية اللغة ذاتها وليس مرتبطاً بالمحتوى الخبري للأقوال ولا بمعطيات بلاغية مقامية» 35 لذا كان لا بد من البحث في بنية اللغة وبحث العلاقة بين الأقوال داخل الخطاب وصولاً لعلاقة

الحجة بالنتيجة، فالحجاج وفق هذا التّصوّر «تفضحه البنية اللّغويّة المجرّدة وتصريف المتكلم لمفوضه عبر عوامل حجاجيّة ومواضع متواضع عليها بين المجموعة المستعملة للّغة الواحدة» 36؛ لذا اهتمت المقاربة التّداوليّة للحجاج بدراسة المكونات اللّغويّة التي تحقق وظائف حجاجية وتوجّه الخطاب الوجهة التي يريدّها المتكلم من المتلقّي وهي الإقناع، كما اعتنت بما يحقق التماسك والانسجام في الخطاب من وروابط حجاجيّة وعوامل 37 تجعل الحجج متسلسلة في سلّم حجاجيّ قوّة وضعفًا.

ومن التقنيات اللّغويّة الحاضرة حجاجيًا في خطاب أم مَعْبِد:

#### الصّفة:

ثمّة كلمات في اللّغة تنطوي على أحكام تقويمية، «والتقويم في اصطلاح الفلاسفة تحديد قيمة الشيء بإطلاق حكم قيمي عليه يرفعه أو يحطه بالنسبة إلى معايير أو مبادئ كونية قوامها العقل أو التّواضع الاجتماعيّ أو ذاتيّة عاطفيّة خاصّة» 38. ومن بين كلمات اللّغة تنطوي الصّفة على أحكام تقويمية دون الاسم والفعل خاصة الصّفات المشتقّة كالصّفة المشبهة وأفعال التّفصيل واسم الفاعل والمفعول، فالصّفة أكثر استعدادا من الأفعال والأسماء للتقويم، والمفاضلة كذلك 39.

ويذهب العزاوي إلى أن التلّفظ بأوصاف مثل جميل وطيب وممتاز، تعني تقديم حجة لصالح نتيجة معيّنة، فهي: «لا تتضمن أي خاصية إنما هي ألفاظ تصلح أساساً لإنجاز أفعال لغويّة، فر (زيد إنسان طيب) معناه تقديم حجة لصالح نتيجة معيّنة من قبيل هو الشخص المناسب لاتخاذ صديقاً» 40، وهذا إشارة إلى أن الصّفة تؤدي دوراً حجاجياً في توجيه المتلقّي نحو إنجاز فعل التزكية تجاه الموصوف إن كان الوصف إيجابياً والعكس إن كان

سلبياً؛ لأننا عندما نطلق حكماً تقويمياً فهذا حكم على الموصوف وتحديد لموقفنا منه، ورجاء أن يصل المتلقي إلى النتيجة التي وصلنا إليها، فاختيار الصفات والنعوت «من مظاهر اختيار المعطيات وجعلها ملائمة للحجاج. فالصفات تنهض بدور حجاجي يتمثل في كون الصفة إذ نختارها تجلو وجهة نظرنا وموقفنا من الموضوع»<sup>41</sup>. وهنا تبرز وظيفة التوجيه الحجاجي في الوصف، فعندما يعيد الوصف بناء المعرفة عن طريق الإخبار أو التفسير أو التأويل، فإنه ضمناً يوجه المخاطب نحو الوجهة التي يريدها المتكلم سيما إذا استخدم كلمات مشحونة قيمياً<sup>42</sup>.

وقد اعتمدت أم معبد في وصفها على الصفات المشتقة، وهي:

- الصفة المشبهة: يظهر في النص كثرة استعمال الصفة المشبهة، وطاقتها الحجاجية في دلالتها على ثبوت الصفة ولزومها واستمرارها في الغالب<sup>43</sup>، وسياق الوصف ومقامه يدل على ثبوتها واستمراريتها فقد كثفت وصفها في مطلع خطابها بمعان متقاربة كما في:

- «ظَاهِرَ الْوَضَاءَةِ أَبْلَجَ الْوَجْهِ حَسَنَ الْخَلْقِ».

- «وَسِيمِ قَسِيمٍ فِي عَيْنَيْهِ دَعِجٌ، وَفِي أَشْفَارِهِ وَطْفٌ، وَفِي صَوْتِهِ صَهْلٌ،

وَفِي عُنُقِهِ سَطْعٌ، وَفِي لِحْيَتِهِ كَثَائَةٌ، أَرْجُ أَقْرَنُ»

- «حُلُوُ الْمُنْطِقِ فَصْلًا، لَا نَزْرٌ وَلَا هَذْرٌ»

فالصفات: (ظاهر، أبلج، حسن، وسيم قسيم، دعج، وطف، سهل، سطع، أرج، أقرن، حلو) تدل على أوصاف ثابتة ولازمة له، وهي دالة على أحسن هيئة، أكمل خلق فيما يوصف بها، وتكثيفها للوصف بهذه الصفات على وجه التفصيل فيه دليل على ظهورها فلا تخطنها العين.

- اسم التّفْضِيل: يكمن دوره الحِجَاجِي فِي دَلَالَتِهِ عَلَى الْمَقَارَنَةِ وَالتَّفُوقِ وَالكَثْرَةِ وَالمَبَالِغَةِ وَتَفْخِيمِ المَوْصُوفِ، وَهَذِهِ الدَّلَالَاتُ لَا يَجِدُ المَخَاطِبُ بُدَاً مِنَ الإِذْعَانِ لَهَا وَالتَّسْلِيمِ بِمَقْتَضَاهَا، سَيِّمًا حِينَمَا تَفْضَلُهُ فِي كُلِّ حَالَاتِهِ: « أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَاهُ مِنْ بَعِيدٍ وَأَحْسَنُهُ وَأَجْمَلُهُ مِنْ قَرِيبٍ » فَهِيَ تَحَاوِرُ ضَمْنِيًّا ذَهْنَ المَخَاطِبِ وَتَقْطَعُ الطَّرِيقَ عَلَى أَيِّ حِجَّةٍ مُضَادَّةٍ أَوْ تَصَوُّرٍ مُحْتَمَلٍ يَدْحُضُ حِجَّتَهَا فَتَثْبِتُ تَفُوقَهُ فِي الجَمَالِ وَالبِهَاءِ وَالحَسَنِ وَالحَلَاوَةِ قَرَبًا وَبَعْدًا، فَهَذِهِ كُلُّهَا حِجَجٌ وَالتَّيْتِجَةُ المِضْمَرَةُ فِي الوَصْفِ هِيَ الجَمَالُ الثَّابِتُ فِي كُلِّ حَالَاتِهِ. وَفِي مَقَامِ المَقَارَنَةِ عِنْدَ المِشَارَكَةِ فِي الوَصْفِ مَعَ غَيْرِهِ كَمَا فِي قَوْلِهَا: « فَهَوُ أَنْضَرُ الثَّلَاثَةِ مَنْظَرًا، وَأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا »؛ فَالوصف هنا حِجَجٌ لنتيجة مِضْمَرَةٌ هِيَ تَفُوقُهُ فِي الجَمَالِ عَلَى صَاحِبِيهِ.

- اسم الفاعل: جاء في سياق النَّفْيِ فِي قَوْلِهَا: « لَا عَابِسٌ وَلَا مَفِيدٌ » وَلِهَذَا الإِسْتِعْمَالُ بَعْدَ حِجَاجِي؛ لِأَنَّ اسمَ الفاعلِ يَدُلُّ عَلَى الحَدُوثِ وَالتَّجَدُّدِ 44، وَمَجِيئُهُمَا عَلَى صِيغَةِ اسمِ الفاعلِ يَفِيدُ أَنَّهُمَا صِفَتَانِ طَارِئَتَانِ فِي بَعْضِ الحَالَاتِ حَسَبِ مَوْجِبَاتِهِمَا، لَكِنَّهُمَا لَمْ تَخْصَصْهُمَا بِشَيْءٍ، فَجَاءَ نَفْيُهُمَا عَامًّا لِحَدُوثِ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ، وَهُمَا حِجَّةٌ لِصَالِحِ نَتِيجَةِ مِضْمَرَةٍ فِيهِمَا هِيَ البِشَاشَةُ وَحَسَنُ المَعِشَرِ.

- اسم المفعول: هو « مَا دَلَّ عَلَى الحَدُوثِ وَالحَدُوثِ وَذَاتِ المَفْعُولِ » 45، وَقَدْ وَرَدَ فِي قَوْلِهَا: « مَحْفُودٌ، مَحْشُودٌ » وَهَذَا الوَصْفُ يَصْلُحُ نَتِيجَةً لِمَا قَبْلَهُ « إِنْ قَالَ اسْتَمَعُوا لِقَوْلِهِ، وَإِنْ أَمَرَ تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ » كَمَا أَنَّهُ حِجَّةٌ لنتيجة مِضْمَرَةٍ، هِيَ المَحَبَّةُ، أَي أَنَّهُ مَحْفُودٌ مَحْشُودٌ إِذْنُ هُوَ مَحْبُوبٌ. وَهَكَذَا نَلْحِظُ التَّرَابِطَ وَالتَّماسِكَ وَالإِنْسِجَامَ بَيْنَ الحِجَجِ وَالتَّنَائِجِ رَغْمَ عَدَمِ وَجُودِ رَابِطٍ ظَاهِرٍ بَيْنَ الجَمَلَتَيْنِ.



وهكذا تظهر أهمية التوجيه الحجاجي في المكوّن الوصفي الإخباري، فهو المعتمد في بناء الخطاب وتناميّه، كما أنّه يحكم توالي الأقوال وتتابعها بصورة استنتاجية 46، ويعمل على تماسكها وانسجامها مما يكون له أبلغ الأثر في الإقناع والتأثير.

- واو العطف: تعدّ الواو من روابط الوصل، وهي عند النحويين لمطلق الجمع، وتفيد الترتيب وعدمه، ولا توجب إلا الاشتراك بين شيئين فقط في حكم واحد 47، ولهذا تُستثمر حجاجياً في إدراج الحجج والجمع بينها، وتتابعها، مما يساعد على انسجامها وتماسكها وتقوية بعضها ببعض لتوصّل إلى نتيجة واحدة؛ لذا تعدّ من الروابط المهمة في إنجاز السّلم الحجاجي، بما تُفيدة من اشتراك في الحجج الموصلة لنتيجة معينة 48. وقد اعتمد عليها خطاب أمّ معبد في تسلسله وتماسكه فربط بين مفاصل كلامها، وجعله وحدة متماسكة، وساعدت في تفريع الحجج وتجزئتها في الانتقال من العام إلى الخاص كما في قول أمّ معبد: «وسيم قسيم، في عينيّه دَعَجُ، وفي أشْفاره عَطْفُ، وفي صوته صَهْلُ، وفي عنقه سَطْعُ، وفي لحيته كَنَأَةٌ» فقد جاءت هذه الحجج متتابعة كل حجة تعضد أختها في الوصول إلى النتيجة، وأسهمت الواو في ترابطها وانسجامها، وتتابعها، وتقوية اللاحقة بالسابقة، كما يبيّن السّلم الحجاجي:

ن =	كَلَّ	جزء أخذ حظه من الجمال (نتيجة مضمرة)
ح 6 -	في	لحيته كثائة
	و	الرَّابِطُ
ح 5 -	في	عنقه سطم
	و	الرَّابِطُ
ح 4 -	في	صوته سهل
	و	الرَّابِطُ
ح 3 -	في	أشفاره وطف
	و	الرَّابِطُ
ح 2 -	في	عينيه دعج
ح 1 -	وسيم	قسيم (إجمال)

ويظهر في الخطاب استعمال الواو بين الجمل المزدوجة مما زادها قوة في الحجة وانسجامًا وتجانسًا في كلِّ الخطاب، فلنأخذ قولها: « أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَاهُ مِنْ بَعِيدٍ وَأَحْسَنُهُ وَأَجْمَلُهُ مِنْ قَرِيبٍ » ويظهر في السِّلمِ الْحِجَاجِيِّ:

ن =	↑	ثبات جماله (نتيجة مضمرة)
ح 4 -		أجمله من قريب
	-	و
ح 3 -		أحسنه
	-	و
ح 2 -		أباه من بعيد
	-	و
ح 1 -		أجمل الناس (إجمال)

وفي قولها: « إِنَّ قَالًا: سَمِعُوا لِقَوْلِهِ، وَإِنْ أَمَرَ تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ » ربطت الواو بين حجتين مع تحقُّق سلمية الحجج وتصاعدها، فالجملة الثانية أقوى

### حجة من الأولى:

ن =	↑ محبوب
ح 2 -	إن أمر تبادروا إلى أمره
الرباط -	و
ح 1 -	إن قال سمعوا لقوله
-	وقولها: «لَا عَابِسَ وَلَا مُفَنَّدَ»:
ن =	↑ البشاشة وحسن المعشر
ح 2 -	لا مفنَّد
الرباط -	و
ح 1 -	لا عابِس
	<b>النفي:</b>

من العوامل ذات الطاقة الحجاجية بما يحمله من معانٍ إنجازية تقود المخاطب إلى المقصود، عرفه المخزومي بأنه: «أسلوب لغوي تحدده مناسبات القول، وهو أسلوب نقض وإنكار، يستخدم لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب» 49. فالمتكلم يأتي بالنفي في سياق الخطاب دفعاً لأي فهم خاطئ أو استنباقاً للاعتراض على الحجة، فيقود المتلقي إلى النتيجة المضمّنة في النفي، فالظاهر النفي إلا أنه يوجب نقيضه ضمناً، لأنه «يقوم على ضرب من العلاقة بين ملفوظ مصرّح بنفيه وبين ملفوظ مثبت ضمناً» وهذا المثبت هو ما يلمح إليه المتكلم ويجعل ذهن المتلقي يتوصّل إليه، فهو عامل توجيهي يقود إلى النتيجة التي يرنو إليها المتكلم فلا يتعداها وهذا مما يقوي الحجة ويقررها في نفسه ويقويها، كما أنه يدلّ على اهتمام المتكلم بالمتلقي حين يعتقد أنّ ما يقوله يثير احتمالات لا تخدم ما يريد إيصاله فيزيلها بالنفي

ويَقْوِي المعنى. «وهو ردّ على إثبات فعليّ أو محتمل حصوله من قبل الغير فقد كان «برغسون» يرى أنّ الفكر السّالب لا يكون في الكلام إلاّ إذا كان الأمر متعلّقًا بمواجهة الغير أي حين يكون مدار الأمر على الحِجَاجِ» 50.

ولأنّ مقام الخطاب هو الوصف الذي يحتاج إلى دقّة في تقريب الموصوف، فقد لجأت إليه وكأَنَّها تحاور ذهن المخاطب وتتوقّع ما يرد عليه من احتمالات، فتفتني ما قد يرد في خاطره فيعيب وصفها، كما في قولها:

- «حَسَنَ الخَلْقِ لَمْ تَعِبْهُ ثَجَلَةٌ، وَلَمْ تُزْرِيه صَعْلَةٌ».
- «رَبْعَةٌ لَا تَشْنَأُهُ مِنْ طُولٍ، وَلَا تَقْنَحُمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ».
- «فَصَلًّا، لَا نَزْرٌ وَلَا هَدْرٌ».
- «مَخْفُودٌ مَحْشُودٌ لَا عَابِسَ وَلَا مُفَنِّدٌ».

وعودًا على بدء، نراها تجمل الحجّة أو لا ثمّ تفصلها بنفي ما يمكن أن يخلّ بهذا الإجمال، وفي ذلك إعلاء للصفة، واهتمام بالمتلقّي، ودفع لاعتراض محتمل، وتوكيد للمعنى وتقريره في النّفس. فالنتيجة المثبتة بالنّفي في المثال الأول: خلوه مما يعيب الإنسان في خلقته، وفي الثّاني: اعتداله في الطّول، وفي الثّالث: اعتداله في الكلام بما يفي بالغرض، وفي الرّابع: البشاشة وحسن المعشر.

### الشّرط:

هو ربط قضية بأخرى، وربط تحقّق أمر بتحقّق آخر، وعرفه المخزوميّ بأنّه «أسلوب لغويّ يبني - بالتّحليل على جزأين، الأوّل منزل بمنزلة السّبب، يتحقّق الثّاني إذا تحقّق الأوّل، وينعدم الثّاني إذا انعدم الأوّل» 51، أمّا حجاجيًّا فأدوات الشّرط من العوامل الحِجَاجِيَّة التي تحصر الإمكانيّات الحِجَاجِيَّة، بربط الحجّة التي هي فعل الشّرط بالنتيجة التي هي جواب الشّرط،

وجاء توظيف الشرط حجاجياً في خطاب أم معبد في أربعة مواضع عن طريق (إن) التي هي أم حروف الشرط كما ذكر سيوييه 52 وزاوجت بين جملها بالواو العاطفة تحقيقاً للانسجام والتتابع، في قولها: «إِنْ صَمَتَ فَعَلَيْهِ الْوَقَارُ، وَإِنْ تَكَلَّمَ سَمَاهُ وَعَلَاهُ الْبِهَاءُ»، فقد حَقَّقَ الشرط هنا علاقة الاقتضاء، حين جعلت صمته مقتضياً نتيجة واحدة هي الوقار، وكلامه مقتضياً نتيجة واحدة هي البهاء، وهي بهذا تحاصر المتلقي وتدفعه إلى قبول هذه النتيجة فلا يذهب عقله إلى غيرها من الاحتمالات، وكلا النتيجتين توجهان المتلقي لنتيجة عامة هي جمال سمته صمناً وكلاماً:

جمال سمته صمناً وكلاماً (نتيجة مضمرة)	=	3 ن
علاه البهَاء	=	2 ن
و	-	الرَّابِط
إِنْ تَكَلَّمَ	-	2 ح
و	-	الرَّابِط
عليه الوقار	=	1 ن
ف	-	الرَّابِط
إِنْ صَمَتَ	-	1 ح

ولا يخفى ما في هذه المزاجية من طباق بين (تكلّم وصمت) حصرت به المتلقي أيضاً بما لا يترك مجالاً لدفع الحجّة، ومما زاد طاقة الشرط الحجاجية ما في جواب الشرط في الجملة الثانية من زيادة معنى يقوي الأولى، فالكلام يزيده رفعة وبهاء على ما في صمته من وقار. وثمة رابط آخر في الجملة الأولى زاد تماسكها واتساق شرطها مع الجواب مما يعطيها قوّة حجاجية هو دخول الفاء الرابطة على الجملة الاسمية لتنفيذ أنّ الجواب

جاء تابعًا للشَّرْطِ فزمن جملة الشَّرْطِ ماض وجملة الجواب اسمية خالية من الزمن فاحتاجت لرابط مناسب يجعل الجواب غير منفصل في زمنه عن الشَّرْطِ، 53 فمما تفيدُه الفاء التَّرتيبَ والسَّبَبِيَّةَ والتَّعْقِيبَ.

أما الجملة الثانية فقولها: «إِنْ قَالَ: سَمِعُوا لِقَوْلِهِ، وَإِنْ أَمَرَ تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ» فعلاقة الاقتضاء أيضًا محققة فيها فقوله يقتضي الإنصات وأمره يقتضي المبادرة، وفي هذا طاقة حجاجية بما يحمله من نتائج مضمّنة، فسماعهم لقوله ومبادرتهم لأمره دليل على حبهم له، واختيارها في الجواب الثَّاني (تبادروا) أبلغ من (أطاعوا) فالمبادرة مسارعة في العمل. وعلاوة على هذا ما في الجملتين من توظيف للمواضع، وتصاعد الحجج كما أفرطنا.

**التكرار:**

يعدّ التكرار من روافد الحجاج لما فيه من قدرة على الإفهام وترسيخ الأفكار والتأثير في المخاطب، «فنحن نكرّر الكلام للتنبية ونكرّر للتكثير، ونكرّر للتوكيد والمبالغة، ونكرّر لاستحضار المعنى في أنفسنا وفي أنفس السامعين»<sup>54</sup>. ويكون في اللفظ وقد يكون في المعنى، ويلحظ المتأمل في وصف أمّ معبد إلحاحها على المعاني وتوكيدها، ولا غرو في ذلك فيه تريد أن يكون وصفها كأنه رأي عين، لذا استخدمت التكرار سيما تكرار المضمون بوصفه داعمًا لحججها مقويًا لها، فجاءت ألفاظها متقاربة في دلالتها، مثل: (تعبه، تزريه)، (أجمل، أبهاه، أحسنه، أجمله)، (سما، علا)، هذا علاوة على ما فيها من تكرار الإيقاع الذي يترك أثرًا في أذن السامع ونفسه، وتكرار الرّوابط وما فيه من انسجام وتماسك، كل ذلك جعل حججها أبلغ أثرًا في نفس المتلقّي.

## الأفعال الكلامية:

خرجت النظرية الحجاجية من رحم نظرية الأفعال الكلامية، استناداً إلى سمة الإنجازية والتأثير في المتلقي بحسب الموقف الكلامي، ولهذا ينضوي وصف أم معبد تحت عباءة الأفعال الكلامية، ويمكن النظر لهذا الوصف بكونه فعلاً بما يحققه من قوة إنجازية، «فكل فعل إنجازي هو فعل كلامي طبقاً لنظرية الأفعال الكلامية»<sup>55</sup>. وهذا الوصف له قوة إنجازية من جهتين، الأولى: أنه جعل السمع عياناً، فالوصف إخبار، والإخباريات بحسب نظرية الأفعال الكلامية «تصف وقائع وأحداثاً في العالم الخارجي، أما غرضها الإنجازي، فهو نقل الوقائع نقلاً أميناً، فإذا تحققت الأمانة في النقل، فقد تحققت شرط الإخلاص، وإذا تحققت شرط الإخلاص، أنجزت الأفعال إنجازاً ناجحاً أو تاماً»<sup>56</sup>. والأخبار التي رويت ورؤيت دلّ المقام على صدقها وتصديق المخاطب لها، وتحققت الإخبارية في ابتدار الوصف بالفعل (رأيت) بما فيه من يقين وعلم جازم زاده ضمير المتكلم صدقاً وتوكيداً، أما الثانية فقوته الإنجازية في تأثيره في المتلقي، وقد دلّ المقام على تحقق هذا التأثير. وعلى هذا يمكن النظر لكل ما ورد في الخطاب بوصفه أفعالاً كلامية إنجازية تأثيرية أسهمت في توجيه الخطاب حجاجياً.

## ثانياً: التقنيات البلاغية:

ضربت البلاغة وفنونها بسهم وافر في التوجيه الحجاجي، لأن مدار البلاغة، كما يرى ابن الأثير، على استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم، بل لا بد أن تكون الألفاظ المليحة الرانقة، والمعاني اللطيفة الدقيقة مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها<sup>57</sup>. وميزة الأساليب البلاغية أنها تجمع بين الإمتاع والإقناع، ولهذا كان لا بد من النظر في البعد الحجاجي لضروب

البلاغة، ومن ذلك:

التَّشْبِيهِ: يكمن الحِجَاجُ فِي التَّشْبِيهِ حِينَ يَعْمَدُ إِلَيْهِ الْمُتَكَلِّمُ تَقْرِيْبًا لِلْمَقْصُودِ مِنْ الْخُطَابِ جَعْلًا لُصُورَتِهِ وَاضِحَةً فِي ذَهْنِ الْمُتَلَقِّيِّ مِمَّا يَزِيدُ مِنْ اقْتِنَاعِهِ بِهِ، فَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْقِيَاسِ بَيْنَ شَيْئَيْنِ، وَلِهَذَا فَإِنَّ «قُوَّةَ التَّشْبِيهِ أَوْ الِاسْتِعَارَةَ تَتَأْتَى مِنْ قُدْرَتِهِمَا عَلَى التَّقْرِيْبِ بَيْنَ عُنْصُرَيْنِ مِنْ نِظَامَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ مَعَ مَحَاوَلَةٍ جَاهِدَةً لَطْمَسَ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ فُرُوقٍ» 58. وَلَمَّا كَانَ التَّشْبِيهِ نَوْعًا مِنَ الْمَجَازِ فَإِنَّ الْبَحْثَ عَنْ هَذِهِ الْعِلَاقَةِ الْمَجَازِيَّةِ بَيْنَ طَرَفَيْهِ تَكُونُ مِنْ خِلَالِ الْمَقَارَنَةِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ الْمُتَبَاعِدَةِ لِاسْتِنْبَاطِ وَجْهِ الشَّبْهِ، فَيَكُونُ التَّشْبِيهِ أَبْلَغَ تَأْثِيرًا وَإِقْنَاعًا حِينَ يُعْمَلُ الْمُتَلَقِّيُّ فَكْرَهُ فِي الْبَحْثِ عَنِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ طَرَفَيْهِ، وَبِهَذَا يَسْتَدْرِجُهُ مَرْسَلُ الْخُطَابِ لِيُصَلَّ إِلَى النَّتِيْجَةِ الَّتِي أَرَادَهَا فَيُذْعَنُ لَهَا، وَيَتَأَكَّدُ الْمَعْنَى فِي نَفْسِهِ وَهَنَا تَكْمُنُ طَاقَتُهُ الْحِجَاجِيَّةُ، وَهَذَا مَا نَجَدَهُ فِي قَوْلِهَا: «فَصَلًّا، لَا نَزْرُ وَلَا هَذْرُ، كَأَنَّ مَنَظِقَهُ حَرَزَاتٌ نَظْمٌ يَنْحَدَرْنَ» فَهِيَ تَصِفُ مَنَظِقَهُ فِي حِلَاوَتِهِ وَانْتِظَامِهِ وَتَنَاسُقِهِ وَتَتَابَعِهِ دُونَ تَدَاخُلِ بِالْخُرَزَاتِ الَّتِي تَنْظُمُ مُتَتَابَعَةَ مَتَنَاسِقَةٍ لَا تَدَاخُلُ بَيْنَهَا فِي عَقْدِ تَزْيِينِ بِهِ الْمَرْأَةَ جِيْدَهَا، فَلَوْ اِكْتَفَتْ بِقَوْلِهَا: «فَصَلًّا، لَا نَزْرُ وَلَا هَذْرُ» فَهِيَ دَعَاوَى تَحْتَاجُ إِلَى تَوْضِيْحِ فِجَاءِ تَشْبِيهِ التَّمْثِيلِ هُنَا دَلِيْلًا عَلَيْهَا، وَحِجَّةُ جَعْلَتِهِ يَرْبِطُ فِي ذَهْنِهِ بَيْنَ حِلَاوَةِ الْمَنَظِقِ مَعَ تَتَابَعِهِ فِي سَهْوَةٍ وَتَنَاسُقِ وَبَيْنَ الْعَقْدِ الْمَنَظُومِ وَهُوَ شَيْءٌ مَحْسُوسٌ قَرِيْبٌ، وَهَذَا لِعَمْرِي أَبْلَغُ فِي الْإِقْنَاعِ وَالتَّأْثِيرِ. وَذَكَرَ الْجُرْجَانِيُّ: «أَنَّ أُنْسَ النَّفُوسِ مَوْقُوفٌ عَلَى أَنْ تُخْرِجَهَا مِنْ خَفِيٍّ إِلَى جَلِيٍّ، وَتَأْتِيْهَا بِصَرِيْحٍ بَعْدَ مَكْنِيٍّ، وَأَنْ تَرُدَّهَا فِي الشَّيْءِ تُعَلِّمُهَا إِيَّاهُ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ هِيَ بِشَأْنِهِ أَعْلَمُ، وَتَقْتُلُهَا بِهِ فِي الْمَعْرِفَةِ أَحْكَمُ نَحْوِ أَنْ تَقْلُهَا عَنِ الْعَقْلِ إِلَى الْإِحْسَاسِ وَعَمَّا يُعَلِّمُ بِالْفِكْرِ إِلَى مَا يُعَلِّمُ بِالِاضْطِرَارِ وَالطَّبَعِ» 59.



مثال آخر على هذه الآلية الحجاجية قولها: «عُصْنٌ بَيْنَ عُصْنَيْنِ فَهُوَ  
أَنْضَرُ الثَّلَاثَةِ مَنْظَرًا، وَأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا 60» فهي تشبهه وصاحبيه بأغصان  
الشجرة في نضارته وحسن منظره وتعطيه أفضلية في وجه الشبه، وقد  
زادت المقارنة التشبيهية قوة. وكلا التشبيهين استقتنهما من البيئة، فلم يكن فيهما  
غموض أو لبس في ذهن المتلقي.

### التفريع:

أسلوب بلاغي يرد بمسميات مختلفة كالإجمال والتفصيل، والجمع  
والتفريق، والتقسيم وغيرها، وفي الدرس الحجاجي يُعرف بتقسيم الكل  
إلى أجزائه، وهو من الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية  
وفيه تذكر الحجة الكلية ثم تُعدّد أجزاؤها زيادة لقوتها وحضورها في ذهن  
المتلقي، والهدف منه كما ذكر بيرلمان «هو البرهنة على وجود المجموع  
من ثم تقوية الحضور بمعنى إشعار الغير بوجود الشيء موضوع التقسيم  
من خلال التصريح بوجود أجزائه» 61. فيعمد المحاجج في خطابه إلى  
تجزئة هذا الكل ليُشعر المخاطب بأن ما أثبتته في الكلّ هو موجود في أجزائه  
فتقوى حجته، سيما إذا علمنا أنّ «العقل يتحرك بطبيعة تفصيلية تكشف عن  
أن هذه الفكرة تحلّل إلى عناصر جزئية صغيرة غير قابلة للتجزئة أحيانًا  
أو أنّها تتحرك مع عناصر مختلفة تكوّن هذه العناصر مجتمعة فكرة عامّة  
أو كلية» 62، وهذا يكشف عن الحكمة العقلية التي شكّلت النصّ، وقد لجأت  
أمّ معبد لهذه الحجة، فنراها تُجمل وصف الجمال في قولها: «وسيم قسيم  
في عينه دَعَجٌ، وفي أشْفَارِهِ عَطْفٌ، وفي صَوْتِهِ صَهْلٌ، وفي عُنُقِهِ سَطْعٌ،  
وفي لِحْيَتِهِ كَثَائَةٌ، أَرْجُ أَفْرَنْ» فالإجمال في (وسيم قسيم) أي: أنّ كلّ قسم  
من جسمه قد أخذ قسطًا من الجمال كأنه وسم ثابت، ثمّ توزّع هذا الوصف

وتفرّعه فتذكر أكمل ما في الجمال من أوصاف مستحسنة في أجزائه دليلاً على ذلك الكلّ، فكل جزء ذكرته هو حجة قائمة بذاتها وبهذا تتضافر الحجج الموصلة للنتيجة ذاتها. ومن ناحية أخرى يستمدّ هذا التقسيم طاقته الحجاجية من أنّ الزيادة في الوصف تزيد من الانفعال الوجدانيّ فهي لا تصف من خيالها المحض وإنما رؤية عين فكانّ السمع أصبح عياناً له والشخصية حاضرة في ذهنه ووعيه. وكذلك قولها: «رَبْعَةٌ لَا تَشْنَأُهُ مِنْ طُولٍ، وَلَا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ» فهي تصفه بأنه ربعة ثم تفرّع هذا الوصف، فيمكن عدّ كل واحدة منهما حجة تعضّد تلك النتيجة وتخدمها. وكذا قولها: «حلو المنطق» فرّعتها بحجج تخدمها هي: «فَصَلًّا، لَا نَزْرُ وَلَا هَذْرُ». وقد اعتمدت أمّ معبد في خطابها على استيفاء المعاني عن طريق تفريعها تقوية للحجة وإلحاحاً في إقناع المخاطب بما تسوقه من وصف، وربما يكون في الإجمال تشويق ولفت للانتباه، وفي التفصيل إرضاء لفضوله في معرفة المزيد.

ولا إخالني أجنب الصواب إن استنتجت أنّ تفصيلها وتقسيمها بهذه الصورة عائد إلى أنّ الوصف بصورة عامة لا يخلو من الدائنية، وحتى تنفي هذا الجانب وتوصل للمتلقّي أنّها تقرّر الواقع وتخبر عن الحقائق فهي تفرّع وتفصل لذلك، وقد عرف المنفلوطي الجمال بأنّه: «هو التّناسب بين أجزاء الهيئات المركّبة، سواء أكان ذلك في المادّيات، أو في المعقولات، وفي الحقائق أو في الخيالات؛ فما كان الوجه جميلاً إلا للتّناسب بين أجزائه، وما كان الصوت الجميل جميلاً إلا للتّناسب بين نغماته 63.

## الطباق:

من المحسنات البديعية التي تزيّن الكلام وتحليّه، ويكمن دوره الحجاجي في المعنى وفي اللفظ في آن واحد، فالجمع بين المتقابلين والمتنافرين في المعنى يثير ذهن المتلقّي ويدفعه للمقارنة والموازنة فبضدها تتميز الأشياء» فالأمور تفهم وتتمثّل بشكل أفضل بعرضها على مقابلاتها»<sup>64</sup>، فإدراك المتلقّي لدلالة هذه المتضادات في سياقها الواردة فيه يدفعه إلى التسليم بالنتيجة التي يرمي إليها المخاطب في حجته، هذا في جانب المعنى أمّا جانب اللفظ فيتحقّق التأثير عند تقابل وحدة صوتية بأخرى يتحقّق فيها الإيقاع والنغمة الموسيقية سيّما عندما يتداخل الطباق مع التوازي والتكرار والسجع والجناس، وفقد جاء في قولها: «أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَاهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَحْسَنُهُ وَأَجْمَلُهُ مِنْ قَرِيبٍ»، فالطباق بين (قريب وبعيد) في هذا السياق أدّى دوره الحجاجي بثبات جمال الموصوف، لأننا قد نرى الشخص جميلا من بعيد ثم لا تكون النتيجة نفسها عند اقترابه والعكس كذلك، لكنّها جمعت له ذلك في حالتي البعد والقرب، بل يزيد حسنا وجمالا في حالة القرب، ومثله قولها: رَبْعَةٌ لَا تَسْنَأُهُ مِنْ طُولٍ، وَلَا تَفْتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ « فالطباق في (طول وقصر) حصر الوصف في التوسط والاعتدال، والطباق في «فصلا، لَا نَزْرٌ وَلَا هَذْرٌ» حصر كلامه فيما يفي بالغرض دون زيادة أو نقصان، وهكذا كان لهذا التقابل بين الكلمات أثره في الإقناع لأنه أكسب وصفها دقة وتحديدا عاونه في ذلك أسلوب النفي في الثلاث الأخيرة بجانب التأثير الوجداني في ازدواج الجمل وإيقاعها.

## التَّوَازِي وَالْأَزْدَوَاجُ:

من المحسنات البديعية التي اهتمَّ بها البلاغيون «لا يحسن منثور الكلام ولا يخلو حتى يكون مزدوجًا، ولا تكاد تجد لبلوغ كلامًا يخلو من الازدواج»<sup>65</sup>. وربطوه بالسَّجع، ففضَّلوا أن تتقارب أجزاء الكلام، وتتبادل الفواصل، على أحرف متقاربة مع توازن الأجزاء<sup>66</sup>. فهو نوع من التَّناسب اللفظي وتقسيم الكلام، وأكمله وأجمله ما كان مسجوعًا متوازنًا متناسبًا في الوزن، فحينها يخلو في النطق ويؤثر في المتلقِّي، فللكلام بالموازنة «طلاوة ورونق، وسببه الاعتدال لأته مطلوب في جميع الأشياء، وإذا كانت مقاطع الكلام معتدلة وقعت من النَّفس موقع الاستحسان»<sup>67</sup> ويظهر في هذا مراعاة المتلقِّي وقصد التأثير فيه بالخطاب، وإذا ارتبط سياق الخطاب بإيراد حجج تتبَّع هذا الأسلوب فحينها يجمع بين الإمتاع والإقناع، ويكون الإمتاع واحداً من الحجج للإقناع سيما إذا كان المخاطب يعلم أنَّ المخاطب يستهويه هذا الأمر ويؤثر فيه، لذا لم تغطم أمَّ معبد هذه الآلية حقها في التجلي في خطابها، ولا نبالغ إن قلنا: إن خطابها كان متوازنًا في ألفاظه وجمله وعباراته، فاجتمعت فيه مقومات التَّوازن من سجع وازدواج وتقابل فواصل وتكرار إيقاع صوتي، كل ذلك أعطى خطابها بعدًا جماليًّا جعل وقع جرسه في الأذن حسنًا قبل أن يحسن موقعه في نفسه، وقمين بهذه المرأة البدوية أن ينبني خطابها على هذا النحو، فالعربي تروقه العبارات ذات الجرس الموسيقي، فيتفاعل مع مضمونها بصورة أكبر، وتأخذ حيزًا من فكره كما أخذت مكانا في سمعه وقلبه، ولأنَّ كلَّ خطابها قائم على هذا التَّوازن، نكتفي بأمثلة عليه: «لَمْ تَعْبُهُ نَجْلَةٌ، وَلَمْ تُزْرِهِ صَعْلَةٌ».

«فِي عَيْنَيْهِ دَعَجٌ، وَفِي أَشْفَارِهِ عَطْفٌ، وَفِي صَوْتِهِ صَهْلٌ، وَفِي عُنُقِهِ سَطَعٌ».

- «أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَاهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَحْسَنُهُ وَأَجْمَلُهُ مِنْ قَرِيبٍ».

«هُوَ أَنْضَرُ الثَّلَاثَةِ مَنْظَرًا، وَأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا».

إِنْ قَالَ: سَمِعُوا لِقَوْلِهِ، وَإِنْ أَمَرَ تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ.

ولا نحتاج إلى إنعام نظر لندرك أن الازدواج في هذه الأمثلة يقوم على عدد من المحسنات البديعية أسهمت في تشكله من سجع وطباق وجناس وإيقاع.

### الخاتمة:

أجلت هذه الدراسة الأبعاد الحجاجية في وصف أم معبد الخزاعية بكتشفها عن التقنيات الحجاجية التي استند إليها خطابها في سبيل وصف النبي صلى الله عليه وسلم لزوجها وصفًا يقنعه بأن هذا الذي مرّ بخيمتهم رجل مبارك، وأنه صاحب قريش الذي خرجوا في طلبه، وهذه خلاصة ما توصل إليه البحث:

- انبنى خطاب أم معبد على تقنيات حجاجية تنم عن معرفة تامة بالمخاطب، وكان لهذه المعرفة أثرها في بلوغ الخطاب غايته الحجاجية.
- كان لتكثيف الحجج وتداخلها أثر في زيادة الإقناع والتأثير.
- تبوّأت الصفة مقامًا محمودًا في تكوين الخطاب سيما الصفة المشبهة وأفعال التفضيل.
- أسهم الرابطة الحجاجي الواو في تماسك الخطاب وانسجامه، وعمل على تتابع الحجج وبيان درجتها في السلم الحجاجي.

- عمل العَمَلان الحِجَاجِيَّان الشَّرْط والنَّفِي على تَقْيِيد النُّتَاج بالحِجَج وحصرها بما لا يَدَع مَجَالاً للاعْتِرَاض.
- جَمَعَت التَّقْنِيَّات البَلَاغِيَّة فِي الخُطَاب كالتَّشْبِيهِ والتَّفْرِيع والطَّبَاق والازدواج بين الإمتاع والإقناع.
- تجلَّى الفعل الكلامي في الوصف في قوِّته الإنجازية والتأثيرية، ممَّا وثَّق العرى بينه وبين الحجاج وجعله قوَّة فاعلة في العملية الحجاجية.
- وأخيراً فإن عكوف الباحثين على تحليل نصوص تراثنا وإعادة قراءتها على ضوء المنجزات اللسانية الحديثة يُسهم في إبراز ما في هذه النصوص من عمق وسعة، ويكشف عن جوانب لم تكن واضحة لقارئ تلك النصوص.

### الهوامش :

- 1 - علوي، حافظ إسماعيلي، الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث الاردن 2010م: 79/2
- 2 - ورد حديث أم معبد ووصفها في قصة الهجرة النبوية، وروته كتب الحديث والسيرة والتاريخ بألفاظ مختلفة متقاربة، وقد اعتمد البحث على ما رواه الحاكم في المستدرک على الصّحیحین فقد أورد القصّة كاملة (ينظر: الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، المستدرک على الصّحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1411هـ/1990م: 10/3).
- 3 - الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال: 162/7
- 4 - ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا القزويني الرازي، مقاييس اللّغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ / 1979م: 115/6.
- 5 - ابن قدامة، أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشّعْر، ط1، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، 1302هـ، 41/1.
- 6 - ابن رشيق، أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشّعْر وأدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط5، دار الجيل، 1401 هـ / 1981م، 295/2.
- 7 - المصدر السابق: 294/2.
- 8 - زيتوني، عبد اللّطيف، معجم مصطلحات نقد الرّواية، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 2002م: 171.
- 9 - ينظر: قناوي، عبد العزيز، الوصف في الشّعْر العربي، ط1، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، 1994م: 42.
- 10 - العمامي، محمد نجيب، في الوصف بين النظريّة والنصّ السردّي، ط1، دار محمد علي الحامي، 2005م: 174
- 11 - ينظر للمزيد حول وظائف الوصف: ظاهري: ناصر عمار، وصف الجسد في الشّعْر الجاهلي، دار الخليج، عمان، الأردن، 2017م: 474 وما بعدها.
- 12 - ينظر: ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1994م: 226/2 وما بعدها.
- 13 - عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوّن العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1998م: 226.
- 14 - عشير، عبد السلام، عندما نتواصل نغير، ط1، إفريقيا الشرق، المغرب، 2006م: 128
- 15 - عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2007م: 38.

- 16 - الذريدي، سامية، الججاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ط2، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011م: 26
- 17 - صولة، عبد الله، الججاج في القرآن: 41.
- 18 - الذريدي، سامية، الججاج في الشعر العربي: 88.
- 19 - صولة، عبد الله، في نظرية الججاج دراسات وتطبيقات: 13
- 20 - صولة، عبد الله، الججاج أطره ومنطقاته وتقنياته (ضمن كتاب أهم نظريات الججاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، إصدار جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس: 297.
- 21 - المبخوت، شكري، الججاج في اللغة (ضمن كتاب أهم نظريات الججاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، إصدار جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس: 351.
- 22 - صولة، عبد الله، في نظرية الججاج دراسات وتطبيقات، ط1، مسكلياني للنشر والتوزيع، تونس، 2011م: 32.
- 23 - صولة، عبد الله، الججاج أطره ومنطقاته وتقنياته: 308
- 24 - صولة، عبد الله، في نظرية الججاج دراسات وتطبيقات، 26.
- 25 - الطلبة، محمد سالم محمد الأمين، الججاج في البلاغة المعاصرة - بحث في بلاغة النقد المعاصر، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، 2008م: 114.
- 26 - ورد في روايات أخرى في كتب التاريخ والسير "حسن الخلق" وهي كلمة جامعة لكل ما يستحسن من القيم الأخلاقية.
- 27 - روي بكسر النون وفتحها، من الفند وهو الكذب، فبالكسر: يكذب غيره ويجهلهم، وبالفتح: يقول المحرف من الكلام، والكسر يتناسب مع السياق، (ينظر: لسان العرب 128/6 الحاشية).
- 28 - الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، تحقيق: الشحات الصحان وعبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، 1417هـ / 1996م: 254.
- 29 - ابن دريد، أبوبكر محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م: 242/1.
- 30 - الناجح، عز الدين، العوامل الججاجية في اللغة العربية، ط1، مكتبة علاء الدين، صفاقص، تونس، 2011م: 87.
- 31 - المصدر السابق: 83
- 32 - ينظر: الذريدي، سامية، الججاج في الشعر العربي: 248.
- 33 - ينظر: صولة، عبد الله، في نظرية الججاج: 51.
- 34 - المصدر السابق: 52.
- 35 - المبخوت، شكري، الججاج في اللغة: 360 - 361.



- 36 - الناجح، عز الدين: 30
- 37 - الروابط الحجاجية هي التي: "تربط بين قولين، أو بين حجّتين على الأصح (أو أكثر)، وتسد لكل قول دورًا محددًا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة. ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية: بل، لكن، حتى، لا سيما، إذن، لأن، بما أن، إذ... أمّا العوامل الحجاجية فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما...إلا، وجل أدوات القصر" ينظر: العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج: 27.
- 38 - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط2، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2007م: 129.
- 39 - ينظر: المصدر السابق: 146.
- 40 - العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ط1، العمدة في الطبع، 1426هـ/2006م: 35.
- 41 - الشهري، عبد الهادي ظافر، استراتيجيات الخطاب، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2004م: 488.
- 42 - ينظر: العمامي، محمد نجيب، نظرية الوصف في الفن السردي: 204.
- 43 - ينظر: الاسترابادي، رضي الدين محمد بن الحسن، شرح كافية ابن الحاجب، ط1، دار الكتب العلمية، 1998م: 500/3
- 44 - ينظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990م: 103/3
- 45 - السامرائي، فاضل صالح، معاني الأبنية في العربية، ط2، دار عمار، عمان، 2007م: 52.
- 46 - ينظر: العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج: 133.
- 47 - ينظر: ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي، شرح المفصل، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422 هـ - 2001 م: 6/5.
- 48 - الناجح، عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية: 152.
- 49 - المخزومي، مهدي، في النحو العربي - نقد وتوجيه، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 1384هـ، 1964م: 246.
- 50 - صولة، عبد الله، الحجاج أطره ومنطقاته وتقنياته، ص 320 - 321.
- 51 - المخزومي النحو العربي نقد وتوجيه 284.
- 52 - سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي، 1408هـ/1988م: 63/3.
- 53 - ينظر: فيصل إبراهيم صفا، (التعليق الشرطي: أسلوب للربط التركيبي والدلالي بين الجمل

- في النَّصِّ) مجلّة العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، الهيئة القوميّة للبحث العلميّ، الجماهيرية العظمى، طرابلس، ع5، السّنة الخامسة 1999م: 31 - 39.
- 54 - سعيد، جميل، دروس في البلاغة وتطوّرها، مطبعة المعارف بغداد 1951م: 261.
- 55 - صحراوي، مسعود، التّداوليّة عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، 2005م: 42.
- 56 - نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيّة، 2002م: 103.
- 57 - ابن الأثير، ضياء الدّين نصر الله بن محمّد، المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة: 205/2.
- 58 - الرّديدي، سامية، الحجاج في الشّعر العربي: 253.
- 59 - الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمّد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني، جدة: 165/1.
- 60 - في بعض الروايات "وأحسنهم قدًا" وهي مناسبة للسياق لأنّ القدّ (القوام) يوصف بالحسن، أما القدر فيوصف بالعلو والرفعة.
- 61 - صولة، عبد الله، الحجاج أطره ومنطقاته وتقنياته: 311.
- 62 - العكيلي، عهود عبد الوهاب، قيس من بلاغة الأندلس، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان: 67.
- 63 - المنفلوطي، مصطفى لطفی، النظرات، دار الجيل، بيروت، 1427هـ / 2006م: 167/1
- 64 - بازي، محمّد، التّأويلية العربيّة نحو نموذج تساندي في فهم النّصوص والخطابات، ط1، الدّار العربيّة للعلوم، بيروت، لبنان، 1431هـ/2010م: 222.
- 65 - أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل، الصناعتين، تحقيق: علي محمّد البجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، بيروت، 1419 هـ: 260/1.
- 66 - المصدر نفسه: 264/1.
- 67 - ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر: 1 / 291.

#### المصادر والمراجع:

- ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمّد، المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة.
- الاستراباذي، رضي الدّين محمّد بن الحسن، شرح كافية ابن الحاجب، ط1، دار الكتب العلميّة، 1998م.

- بازي، محمّد، التّأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم التّصوص والخطابات، ط1، الدّار العربيّة للعلوم، بيروت، لبنان، 1431هـ/2010م.
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمّد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني، جدة.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمّد علي النجار، دار الشؤون الثقافيّة العامّة، بغداد، 1990م.
- الحاكم النّيسابوري، أبو عبد الله محمّد بن عبد الله، المستدرک على الصّحّاحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1411هـ/1990م.
- ابن دريد، أبوبكر محمّد بن الحسن، جمهرة اللّغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.
- الدّريدي، سامية، الحجاج في الشّعر العربي بنيته وأساليبه، ط2، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011م.
- ابن رشيق، أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشّعر وآدابه، تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد، ط5، دار الجيل، 1401هـ/1981م.
- زيتوني، عبد اللّطيف، معجم مصطلحات نقد الرّواية، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 2002م.
- السامرائي، فاضل صالح، معاني الأبنية في العربية، ط2، دار عمار، عمان، 2007م.
- سعيد، جميل، دروس في البلاغة وتطوّرها، مطبعة المعارف، بغداد 1951م.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي، 1408هـ/1988م.
- الشّهري، عبد الهادي ظافر، استراتيجيات الخطاب، ط1، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، 2004م.
- صحراوي، د. مسعود، التّداوليّة عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، 2005م.
- صولة، عبد الله:
- الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته (ضمن كتاب أهمّ نظريات الحجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم)، إصدار جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانيّة، تونس.
- الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، ط2، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2007م.
- في نظريّة الحجاج دراسات وتطبيقات، ط1، مسكلياني للنشر والتّوزيع، تونس، 2011م.
- الطّلبة، محمّد سالم محمّد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة - بحث في بلاغة التّقدّ المعاصر، ط1، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بنغازي، 2008م.

- ظاهري: ناصر عمار، وصف الجسد في الشَّعر الجاهلي، دار الخليج، عمان، الأردن، 2017م.
- عبد الرَّحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1998 م.
- عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2007م.
- العزاوي، أبوبكر، اللُّغة والججاج، ط1، العمدة في الطبع، 1426هـ/2006م.
- عشير، عبد السلام، عندما نتواصل غير، ط1، إفريقيا الشرق، المغرب، 2006م.
- العكيلي، عهود عبد الوهاب، قيس من بلاغة الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- علوي، حافظ إسماعيلي، الججاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث الاردن 2010م.
- العمامي، محمَّد نجيب، في الوصف بين النظرية والتَّصَّ السَّردي، ط1، دار محمَّد علي الحامي، 2005م.
- الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، تحقيق: الشحات الصحان وعبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، 1417 هـ / 1996م.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا القزويني الرَّازي، مقاييس اللُّغة، تحقيق عبد السلام محمَّد هارون، دار الفكر، 1399 هـ / 1979م.
- الفراهيدي، أبو عبد الرَّحمن الخليل بن أحمد، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- ابن قدامة، أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشَّعر، ط1، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، 1302 هـ.
- قناوي، عبد العزيز، الوصف في الشَّعر العربي، ط1، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، 1994م.
- المبخوت، شكري، الججاج في اللُّغة (ضمن كتاب أهمَّ نظريات الججاج في التقاليد الغربيَّة من أرسطو إلى اليوم)، إصدار جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانيَّة، تونس.
- المخزومي، مهدي، في النحو العربي - نقد وتوجيه، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 1384 هـ، 1964م.
- ابن منظور، أبو الفضل محمَّد بن مكرم، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414 هـ.
- المنفلوطي، مصطفى لطفى، النظرات، دار الجيل، بيروت 1427 هـ / 2006م.
- الناجح، عز الدين، العوامل الججاجية في اللُّغة العربيَّة، ط1، مكتبة علاء الدين، صفاقص، تونس، 2011م.
- نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللُّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيَّة، 2002م.
- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل، الصناعتين، تحقيق: علي محمَّد الجاوي ومحمَّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريَّة، بيروت، 1419 هـ.

- ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي، شرح المفصل، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1422 هـ - 2001 م.

**المجالات والدوريات:**

- صفا، فيصل إبراهيم، (التعليق الشرطي: أسلوب للربط التركيبي والدلالي بين الجمل في النص) مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، الهيئة القومية للبحث العلمي، الجماهيرية العظمى، طرابلس، ع 5، السنة الخامسة 1999م.



جماليات التحوّل الصّرفي في الرّبّع الأوّل من القرآن الكريم  
«دراسة تحليلية»

إعداد:

د. ازدهار عبد الرحمن السيد إبراهيم  
أستاذ مساعد بجامعة أم درمان الإسلامية  
كلية اللغة العربية - قسم النحو والصرف





### مستخلص:

تناولت الدراسة جماليات التحول الصرفي في اللغة العربية، وذلك للكشف عن عذوبة اللغة العربية، وجمال ألفاظها، وحسن تركيب عباراتها. ثم كان القرآن الكريم مجالاً للتطبيق؛ للوقوف على جماليات التعبير فيه. وقد هدفت الدراسة للوقوف على إحدى الظواهر الأسلوبية التي تكشف عن التحول عن الأصل، والعدول من بنية إلى بنية أخرى؛ لتتعرّف أسرار التغيرات فيه. كما تكشف عن التأثير الذي بين الأصوات والذي يترتب عليه تغيير في المعنى.

وقد كان المنهج الوصفي التحليلي منهجاً للدراسة، التي جاءت في مقدمة وثلاثة، مباحث وخاتمة حوت أهم النتائج.

#### ومن أبرز النتائج وأهمها:

\* هنالك معانٍ وجماليات ودقائق مكتسبة من البنية المعدول إليها قد لا نلمحها في البنية المعدول منها.

\* ومن أبرز ميزات العربية أنّ المباني تتناسب مع المعاني.

### **Abstract:**

The study tackles the beauties of morphological transformation in Arabic Language that by disclosing the purification of Arabic Language, the beauty of expressions and the good structure of its words, then the Holy Quran is a field for application to capture the beauties of expression in it.

The study aimed at acquaint with one of the stylistic phenomena which disclose the transformation from the origin and shift from structure to another one to know the secrets of variations in it, also disclose the effect between sounds that results in changing in the meaning.

The descriptive analytical method is adopted in this study, the study contained an introduction, three themes and a conclusion that included the results.

The most important results:

There are meanings, beauties and details acquired from the structure that rendered to which we may not notice in the structure rendered from.

The most prominent features of Arabic Language is that; the structures proportionate with the meanings.

## مقدمة:

الحمد لله الملك الحق المبين، والصلاة والسلام على الهادي المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد بن عبد الله صادق الوعد الأمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فلا كلام يعدل كلام العربية في العذوبة والبيان، وفي الاختصار والإيجاز مع تمام المعنى؛ لذا أرادت الباحثة أن تنقب عن عذوبة اللغة العربية وجمال ألفاظها وحسن تركيب عباراتها على مستوى مكونات الكلمة من الحروف، فكان عنوان البحث «جماليات التحوّل الصّرفي في الربع الأول من القرآن الكريم» ثم اختارت القرآن الكريم مجالاً للتطبيق؛ للوقوف على جماليات التعبير فيه؛ لأنها تفوق جماليات أي نص بشري؛ ذلك لأنه تنزيل العزيز القدير، ذي النظم المحكم، والتعبير الدقيق. أهداف البحث: دراسة بعض الظواهر الأسلوبية التي كثر الحديث عنها في عصرنا هذا، منها ظاهرة العدول أو الانحراف أو الانزياح أو التجاوز أو الانعطاف أو التغيير أو المخالفة، وهي في مجملها تمثل تحوّلاً عن الأصل. لكنه تحوّل يكمن وراءه حسن بيان وجمال إيقاع. ومن أهدافه كذلك الوقوف على أسرار التغييرات الصوتية التي تتعرض لها الكلمات، وما ينتج عنها من تأثير الصيغ بالأصوات، والأصوات بالصيغ، وكلاهما يتأثر غالباً بالمعنى. الأسئلة التي يجيب عنها البحث:

- أ - هل عرف الأقدمون أوجه التحوّل في اللغة؟
- ب - ما الأسباب التي دعت إلى هذا التحوّل؟
- ج - ما هي مظاهر التحوّل الصّرفي في الربع الأول من القرآن الكريم؟
- د - ما الدلالة الصّرفية بين الصيغ المعدول عنها والصيغ المعدول إليها؟

أدوات البحث: الملاحظة وهي الأداة التي تناسب هذا البحث في الحصول على المعلومات المطلوبة من المصادر المتخصصة، حيث تقوم الباحثة بتحديد العلاقة بين المتغيّرات للحصول على بيانات ومعلومات تحقّق غرض الدراسة. وقد جاء البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة تحوي أهم النتائج والتوصيات:

**المبحث الأوّل:** مناسبة الأبنية للمعاني.

**المبحث الثاني:** دلالات التحوّل الصّرفي لدى الأقدمين. المبحث الثالث:

نماذج من التحوّلات الصرفية في الرّبع الأوّل من القرآن الكريم.

كيفية تحليل البيانات: وقد جاء التّحليل في فقرات هي:

1/ التحوّل من بنية تتفاعل إلى تفاعل.

2/ التحوّل من بنية الماضي إلى المضارع.

3/ التحوّل من بنية الفعل إلى الاسم ومن بنية الاسم إلى الفعل.

4/ التحوّل من بنية اسم الفاعل إلى صيغة المبالغة.

5/ التحوّل من بنية المصدر إلى اسم المصدر.

6/ التحوّل من بنية الجمع إلى المفرد ومن بنية المفرد إلى الجمع.

منهج البحث: وقد اعتمدت على المنهج الوصفي التّحليلي الذي يقوم على

انتخاب النّماذج وتحليلها للكشف عن أسباب التحوّل الصّرفي.

**المبحث الأوّل :** مناسبة الأبنية للمعاني:

لعلّ أبرز سمة تكمن وراء جماليات اللغة، هي صور التناسب بين الألفاظ

والمعاني؛ وذلك هو سرّ جمال التحوّل من لفظ إلى لفظ؛ إذ العدول من لفظ إلى

آخر لا يكون اعتباطاً بل يهدف إلى إضافة شيء يقصر عنه اللفظ المعدول عنه.

وقد لاحظ علماء اللغة منذ القدم أنّ من أبرز مميزات اللغة العربية، أنّ

كلّ لفظٍ فيها قد تمّ وضعه بإزاء المعنى المنوط بالدلالة عليه في دقةٍ تامةٍ وعنايةٍ فائقةٍ<sup>1</sup>

فهذا جلال الدين السيوطي يقول : «وأما أهل العربية فقد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ ومعانيها»<sup>2</sup>، كما عقد ابن جني في كتابه الخصائص باباً سمّاه (في إمساس الألفاظ أشباه المعاني)، حيث ذكر طائفة من صور التناسب بين الألفاظ ومعانيها منها على وجه المثال: الأصوات التي تحاكي أصوات الأحداث: وهذا النوع من أبرز الصور التي تتجلى فيها براعة العربية وامتيازها على غيرها من اللغات، إذ ما أن تسمع اللفظ حتى تحسّ بوقوع الحدث وإن لم تره أو تعينه من قبل، فضلاً على أنه قد يكون مناط التفرقة بين حدث وآخر، مجرد تغيير حرف في الكلمة لا أكثر، بل ربما تقلب المعنى إلى الضد تماماً، وذلك إنما يرجع إلى إحساس العربي بالحرف وما يحمله من معنى وما يوحي به من دلالة.

فقد أورد جلال الدين السيوطي خبراً عن عباد بن سليمان الصيرمي - من المعتزلة - أنه سئل: ما يسمى إذعاع؟ - وهو يعني بالفارسية: الحجر - فقال: «أجد فيه ببساً شديداً وأراه الحجر»<sup>3</sup>

فكما كان هنالك تناسب بين اللفظ ومعناه كذلك هنالك تناسبٌ وارتباط بين الصيغة المعدول إليها والمعنى الذي ستكتسبه البنية الجديدة، وهذه الدراسة هدفها الكشف عن المعاني والجماليات التي تكمن وراء الصيغة المعدول إليها.

وقد تناول سلفنا مناسبة الأبنية لمعانيها ونحن نعلم أنّ اللغة العربية تمتاز بخصائص لا توجد في غيرها من اللغات، أعلاها قدراً أنّ الله تعالى خصّ اللسان العربي بالبيان، فسائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه، على حدّ قول

ابن فارس.4 ومن خصائصها أيضا مناسبة أبنيتها لمعانيها، فالأبنية والصيغ فيها تجيء دالةً على المعنى المنوط بها مفصحة عن الدلالة المقترنة بها، مما يجد فيها القارئ الغناء كلّ الغناء عن اللجوء إلى المعاجم والمراجع اللغوية في فهم كلّ ما يقرأ أو يسمع، إذ يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: «كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالةً ومداً فقالوا (صرّ) وفي صوت البازي تقطيعاً فقالوا (صرصر)» 5 ويقول ابن جني: «وكذلك جعلوا تكرير العين نحو فرّح وبشّر فجعلوا قوة اللفظ لقوة المعنى، وخصوا بذلك العين؛ لأنها أقوى من الفاء واللام، إذ هي واسطة لهما، ومكنوفة بهما، فصارا كأنهما سياج لها، ومبذولان للعوارض دونها، ولذلك نجد الإعلال بالحذف فيها دونهما» 6

ومن ذلك صيغة (استفعل) حيث جعلوها للطلب؛ لما فيها من تقدم حروف زائدة على الأصول كما يتقدم الطلب الفعل نحو: استسقى، استطعم، استوهب، استفتح، واستقدم، واستصرخ، فرُتبت في هذا الباب الحروف على ترتيب الأفعال وجعلوا الأفعال الواقعة من غير طلب إنما تفجأ حروفها الأصول، أو ما ضارع الأصول، فالأصول نحو قولهم: (طعم، وهب، دخل، خرج، صعد، نزل) فهذا إخبار بأصول فاجأت عن أفعال وقعت ولم يكن معها دلالة على طلب لها ولا إعمال فيها.7 وفي المصادر أيضا قال سيبويه: «إن التي تأتي على (الفعلان) إنما تأتي لتدل على الاضطراب والحركة نحو: (النقران، الغليان، العنّيان) فقابلوا بتوالي حركات الأمثال توالي حركات الأفعال» 8 كما تأتي المصادر الرباعية المضعفة لتدل على التكرير نحو: (الزرعة، القفلة، الصلصلة، القعقة، الجرجرة، القرقرة). كما تأتي المصادر والصفات

على (الفعلَى) لتدل على السرعة نحو: (البَشَكِي، الجَمَزِي، الوَلَقِي). وهكذا نرى أنّ الأبنية والصيغ الصرفية توحى بالدلالة على المعاني التي وضعت لتدل عليها وإن لم يسبق لنا علم بها أو اطلاع عليها في معاجم اللغة. 9

### المبحث الثاني: دلالات التحوّل الصّرفي لدى الأقدمين:

#### أولاً: لدى الصرفيين:

من القضايا التي أكد عليها العلماء والباحثون، الصلة بين مستويات التحليل اللغوي، بحيث لا يمكن الفصل بين المستويات أو عزل أحدها عن الآخر. والتحويل في الصيغ الصرفية له صلته الوثيقة بالدلالة، إنّ القدماء من العلماء العرب حين يثيرون إلى تحويل صيغة إلى أخرى كانوا يربطون هذا التحويل بالدلالة، وهذا الربط في معظمه نجده حين يفسرون آيات القرآن، أو توجيه إحدى القراءات القرآنية، أو تفسير بيتٍ من الشعر، ومحاولة الوقوف على المعنى الذي يريده الشاعر. وحين ننظر في التعريفات التي وضعها القدماء، نجد أنّ التحويل في الأصل الواحد إنما يتم لمعانٍ مقصودة على حدّ تعبيرهم. فالصرف: «علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب»<sup>10</sup> وهذا هو أيضاً المراد بالتصريف عندهم بالمعنى العلمي. أما المقصود بالمصطلحين فهو تحويل الأصل الواحد إلى أمثلةٍ مختلفةٍ لمعانٍ مقصودةٍ لا تحصل إلا بها.<sup>11</sup> إنّ التحويل يكاد يكون مصطلحاً صرفياً خالصاً، حيث إنّ القدامى والمحدثين من اللغويين العرب يثيرون إليه حين دراسة بعض الظواهر الصرفية؛ لذلك حين يتعرضون للحديث عن صيغ المبالغة - مثلاً - نجد أنّ التحويل أو غيره من الألفاظ المأخوذة من الجذر (ح و ل)

هو المستخدم، بالإضافة إلى أنّ التحويل من المصطلحات التي أخذت مكانها في الدرس اللغوي الحديث سنة 1975م مع ظهور المنهج التحويلي. 12 فالتحويل والتحوّل متقاربان في المعنى، لكن الثانية عندي أعمق في الدلالة من الأولى؛ ولعلّ التضعيف أكسبها هذه القوة، فأثرت اختيار كلمة التحوّل وسمّاً لبحثي.

ولاغرابة في أنّ التحويل له صلته الوثيقة بالدلالة؛ ذلك لأنّ الدلالة التصريفية مظهر من مظاهر الغنى والثراء اللغوي وسبيل إلى النماء اللغوي. 13 فإنّ تعدد الأبنية والصيغ و كثرتها في العربية يوّلّد تعدد المعاني وكثرتها، إذ إنّ كلّ بنية تحمل معنًى خاصاً أو مشتركاً. 14 وقد عني العلماء بإيضاح الدلالات التصريفية وإبراز الفوارق المعنوية بين الصيغ، وعقدوا لذلك الأبواب في مطولاتهم ومختصراتهم. فسيبويه قد أدرك هذا البعد اللغوي حيث ذكر ذلك في قوله: «وقد جاء شيء من هذه الأشياء المتعدية التي هي على فاعلٍ على فعيلٍ، حين لم يريدوا به الفعل، شبهوه بظريفٍ ونحوه، قالوا: ضَرِبُ قِدَاحٍ، وصَرِيْمٌ للصارم. والضريب الذي يضرب بالقِدَاح بينهم، قال طريف بن تميم العنبري:

أَوْ كَلَّمَا وَرَدَتْ عُكَاظُ قَبِيلَةٍ \*\*\* بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ

يريد: عارفهم». والشاهد فيه: بناء عارف على عريف لمعنى المبالغة في الوصف بالمعرفة 15 فحوّلوا فاعلٍ لفعالٍ لدلالة عنوها. وكذلك باب ما جاء من الأدواء على مثال: وَجِعٌ - يَوْجَعُ - وَجَعًا وهو وَجِعٌ، لتقارب المعاني وكذلك حَبِطٌ - يَحْبِطُ - حَبْطًا وهو حَبِطٌ... وقد يجيء الاسم فعيلًا نحو مَرَضٌ - يَمْرَضُ - مَرَضًا وهو مَرِيضٌ. وهذا يعني التحوّل من اسم الفاعل إلى فعيل،... وقالوا السُّقْمُ كما قالوا



الحُزن وقالوا حزن حزناً وهو حزين: جعلوه بمنزلة المرض لأنه داء. 16  
فأنت ترى أن الحزن لما كان بمنزلة المرض عدلوا في بنيته فقالوا السُّقم  
كما قالوا الحُزن.

والعرب مما يبنون الأشياء إذا تقاربت على بناء واحد، ومن كلامهم  
أن يُدخلوا في تلك الأشياء غير ذلك البناء، وذلك نحو: الثُّفور والشُّبُوب  
والشَّبِّ فدخل هذا في ذا الباب كما دخل الفُعُول في فَعَلْتُهُ والفَعْلُ في فَعَلْتُ.  
باب ما يكثر فيه المصدر من فَعَلْتُ فتلحق الزوائد وتبنيه بناء آخر: كما  
أنك قلت في فَعَلْتُ: فَعَلْتُ حين كثرت الفعلَ وذلك قولك في الهَدْر: التَّهدار،  
وفي اللَّعِب: التَّلعب، وفي الصَّفَق: التَّصفاق، وفي الرَّدِّ: التَّرداد، وفي  
الجَوْلَان: التَّجْوَال، والتَّقْتَال والتَّسْيَار. وليس شيء من هذا مصدر فَعَلْتُ  
ولكن لما أردت التكاثر بنيت المصدر على هذا. وأما التَّيْبَان فليس على شيء  
من الفعل لحقته الزيادة ولكنه بُني هذا البناء فلحقته الزيادة... ونظيرها التلقاء  
وإنما يريدون اللقيان وقال الراعي :

أَمَلْتُ خَيْرِكَ هَلْ تَأْتِي مَوَاعِدُهُ \*\*\* فَالْيَوْمَ قَصَرَ عَنِ تِلْقَائِكَ الْأَمَلُ 17

فكلّ هذا يُعدُّ مظهراً من مظاهر التحول في البنية؛ وللعرب فيها مآرب  
ومعانٍ قصدوها.

يقول المبرد: «ومعنى فاعل إذا كان داخلاً على فعل أن الفعل من اثنين أو  
أكثر وذلك لأنك تقول: ضربت ثم تقول ضاربت فتخبر أنه قد كان إليك مثل ما كان  
منك، وكذلك شاتمت، فإن لم يكن فيه فَعَل فهو فعل من واحد نحو: عاقبت اللص  
وطارقت نعلي. والمصدر يكون على مفاعلة نحو قاتلت مقاتلة وشاتمت مشاتمة».   
وقد تلمح التحوّل أو العدول في قول المبرد: "وقد تطويت انطواء" لأن  
تطويت في معنى انطويت فعدل من بنية فَعَل إلى انفعل وقال امرؤ القيس:

وَصِرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَقَّ كَلَامُهَا\*\*وَرَضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيَّ إِذْلالِ 18  
ولو كان على ذلّت لكان أي ذلّ، لكن رضت في معنى أذللّت.  
فأنت ترى عناية الأوائل بإيضاح الدلالات التصريفية وإبراز فروقها المعنوية  
بين تلك الصيغ.

وقد نلمح دلالات التحوّل عند ابن السراج أيضاً: فقد أورد باباً ذكر فيه  
ما يعترى بعض الأبنية من تحوّل فتأتي لغير ما وضعت له، ومن ذلك ما  
لفظه لفظ الصفة فوق المصدر وذلك ما جاء على «فَعُولٍ» نحو: تَوَضَّأْتُ  
وَضُوءًا وَتَطَهَّرْتُ طَهُورًا، وَأَوْلَعْتُ بِهِ وَلُوعًا، وَمَنَّهُمْ مَنْ يَقُولُ: وَقَدْتُ النَّارَ  
وَقُودًا عَالِيًا، وَقَبْلْتُهُ قَبُولًا وَالْوَقُودُ أَكْثَرُ وَالْوَقُودُ الْحَطْبُ وَعَلَى فِلاَنِ قَبُولٌ  
وهذا البناء أكثر ما يجيء في الصفات نحو: ضَرُوبٍ وَقَتُولٍ وَهَبُوبٍ وَتُؤُومٍ  
وَطَرُوبٍ.

وقد ذكر ابن السراج نوعاً آخر في تحوّل البنية حيث قال: «ما لفظه لفظ  
المصدر فجاء على معنى: مَفْعُولٍ وَفَاعِلٍ وَذَلِكَ قَوْلُكَ:  
لَبِنٌ حَلْبٌ إِنَّمَا تَرِيدُ: مَحْلُوبٌ وَكَقَوْلِهِمْ: الخَلْقُ إِنَّمَا يَرِيدُ بِهِ: المَخْلُوقَ  
والدِرْهُمُ ضَرْبُ الأَمِيرِ: أَي: مَضْرُوبٌ. وَيَقَعُ عَلَى الفَاعِلِ نَحْو: رَجُلٍ  
غَمْرٍ، وَرَجُلٍ نَوْمٍ إِنَّمَا تَرِيدُ: العَامَرِ وَالنَّائِمِ وَمَعَشَرَ كَرَمٍ أَي كَرَماء» 19  
فكتب الأوائل مليئة بمظاهر التحوّل لكنّ المقام لا يتسع لذكرها. وعلى  
الباحثين التفتيش عنها وإبراز جهود السابقين وإثبات أسبقيتهم في كثير من  
الأمر ثم محاولة تفسير جماليات هذا التحوّل ودلالته.

#### ثانياً: لدى القراء:

لا ننسى ملامح التحوّل الصرفي ودلالاته في القراءات القرآنية؛  
ذلك لأنّ علماء اللغة من المفسرين اعتنوا ببيان الدلالات التصريفية

في كتاب الله تعالى؛ لأنّ العناية بها تدرج في منظومة الاعتناء بتفسير كتاب الله، وقد جعل المؤلفون في أصول التفسير وجوب الإلمام بالعربية من أهم الشروط الواجب توفرها في المتصدي للتفسير، كما أنّ تفسير القرآن باللغة، واحد من مصادر التفسير المعتبرة.20 وعلم التصريف على الخصوص أحد الركائز الأساسية للتفسير اللغوي كما قيل: «وفائدة التصريف حصول المعاني المختلفة المتشعبة من معنى واحد، فالعلم به أهم من معرفة النحو في تعرّف اللغة؛ لأن التصريف نظر في ذات الكلمة، والنحو نظر في عوارضها وهو من العلوم التي يحتاج إليها المفسر.21

لقد استنبط المفسرون مما توحى به الصيغة الصرفية كثيراً من المعاني اللطيفة والأحكام الفقهية والعقدية، وقد أورد صاحب الخلاف التصريفي بعض الاستنباطات عند بعض المفسرين وذلك نحو قوله تعالى:

(يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) البقرة:9. من المعلوم أنّ صيغة فاعل تدلّ على المشاركة 22، فكيف تتصور المشاركة في الخداع بين الله والمنافقين؟ حيث أجاب عن ذلك الزمخشري حيث قال: «إن صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالإيمان وهم كافرون صورة لصنع الخادعين، وصورة صنع الله معهم حيث أمر بإجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة وأهل الدرك الأسفل من النار، صورة صنع الخادع»23، مثبتين بقاء فاعل على معناه الكثير. وفي ذلك لي أعناق النصوص لتوافق بعض معتقدات المفسرين، ولكننا إذا ملنا إلى الرأي القائل: «بأن فاعل هنا بمعنى فَعَلَ المجرد»24 لكان في العدول من بنية فاعل إلى فَعَلَ المجرد مخرجاً لطيفاً؛ لأنّ الصيغ الصرفية قد تنوب عن بعضها لأداء معنى

مخصوص، وكان المعنى المجرد أوفق في حق الله تعالى من معنى المشاركة. وكقوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ فَاغْتَسِلُوا وَالنِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ النَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) البقرة: 222.

أخذ بعض العلماء من الفرق بين طهر وتطهر حكماً فقهياً، وهو أنّه لا يجوز إتيان المرأة بعد الحيض إلا بعد الاغتسال. 25 وقال ابن العربي رداً على من لم يفرّق بين طهر وتطهر: «فإن قيل قد يستعمل التشديد في موضع التخفيف فيقال: تطهر بمعنى طهر، كما يقال قطع وقطع... قلنا: لا يقال: اطهرت المرأة بمعنى انقطع دمها، ولا يقال قطع مشدداً بمعنى قطع مخففاً، وإنما التشديد بمعنى تكثير التخفيف» 26 أرايت المعنى اللطيف والدقيق؟! فالتخفيف رحمة، بل التحوّل في البنية جعل التخفيف فيه تكثيراً وهذا من لطف الله بعباده.

وقد قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية حفص (يطهّرن) وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر (يطهّرن) 27 وذهب الأكثرون إلى معنى: (حتى يطهّرن) أي حتى ينقطع الدم، و(حتى يطهّرن) أي حتى يغتسلن بالماء 28.

وذهب ابن عطية إلى أنّ هذا التفريق غير لازم، لأنّ كلّ واحدة من القراءتين تحتمل أن يُراد بها الاغتسال بالماء وأن يراد بها انقطاع الدم وزوال أذاه. 29 وقول الجمهور هو الصواب؛ لأنّ فيه إعمالاً لدلالة بنية (فعل يفعل) فإنّه يدل على الصفات اللازمة، والطهارة التي تتسبب عند انقطاع دم الحيض من الصفات اللازمة التي لا يتكلفها الإنسان ولا يعتملها. فحمل الآية على التحوّل في البنية من (فعل إلى تفعل) أيضاً وجه؛

أي فالدّم له مدى ينقطع فيه عادة، ولا مجهود للإنسان فيه، أما الذي يعتمله الإنسان فهو الاغتسال الذي يقوم به بعد الانقطاع من دم الحيض والله أعلم. قال تعالى: (فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ) المائدة:13

قرأ حمزة (قسيّة) وقرأ الباقر (قاسية)، فأما قاسية فاسم فاعل من القسوة ضد اللين، وأما قسيّة فقد خرجوها تخريجين: أنها فعيلة من القسوة وهي على ذلك أبلغ في الذم من قاسية؛ لأنها صفة مشبهة دالة على الثبات، وأما اسم الفاعل فهو دالّ على الحدوث. أنها من قولهم: درهم قسيّ أي مغشوش والمعنى أنّ قلوبهم ليست خالصة الإيمان.

واعتد الزمخشري بكونه مشتقا من القسوة؛ ولذا أرجع القول الثاني في الآية إلى معنى القسوة؛ لأنّ الدرهم المغشوش الذي خالطه رصاص أو نحاس ونحوه فيه صلابة ويبس بخلاف الخالص ففيه لين.

واختار الطبري قراءة حمزة أنها فعيلة من القسوة فهي أبلغ في الذم، ولم يرتض جعلها من قولهم قسيّ: لأنّ المعنى ليست بخالصة الإيمان، والآية لا تدل على أنّ قلوبهم فيها إيمان يخالطه كفر، بل إن الله وصفهم بنقض الميثاق والكفر بالله ولم يصفهم بشيء من الإيمان.

قال تعالى: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) الحجر:22

اختلف العلماء في مفرد لواقح ودلالاته، فذهب بعضهم إلى أنّ لواقح جمع لاقحة وذلك على معنيين:

أنّ المعنى أنّ الريح هي التي تلقح وذلك بمرورها على اللقاح فيكون فيها

اللقاح فتوصف بأنها لاقحة، ويؤيد هذا وصفها بأنها عقيم في قوله تعالى:  
(وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ) (الذاريات:41).

أنّ المعنى أنّها مُلقحة وأنّ فاعل جاء بمعنى مُفعل وقد جاء عن العرب  
ليل نائم: أي منوم فيه.30 وعلى الوجه الثاني ففي البنية تحوّل.

المبحث الثالث: نماذج من التحوّلات الصّرفيّة في الرّبع الأوّل من القرآن

الكريم:

### التحوّل من بنية تفاعل إلى تفاعل:

يرى علماء الصرف أنّ مراعاة الحذف في الميزان الصّرفي أمر ضروري؛  
لأنّ الحرف المحذوف من الموزون يجب أن يُحذف ما يقابله في الميزان؛  
لكي تتحقق في الميزان الصورة التي تُبين ما طرأ على الكلمة من حذف، ومن  
أنواع الحذف أنّه إذا اجتمعت تاءان مفتوحتان في أول الفعل المضارع من  
باب (تفعلُ وتفاعل وتفعّل) إحداهما تاء المضارعة، والثانية التاء الدالة على  
المشاركة أو المطاوعة جاز إثباتهما؛ لكون الأصل عدم الحذف، ولأنّ كلّ واحدة  
منهما وُضعت لمعنى، فلو حُذفت احتمل فوت هذا المعنى. فتقول مثلاً لذلك:  
تتقدم الأمم بالعلم، وتتضاعف خيراتها بالعمل، ولا تتبعثر ثروتها بالتبذير.  
ويجوز حذف إحداهما وإثبات الأخرى؛ لأنه يتولد من اجتماعهما  
ثقل وهذا الثقل لا يُدفع إلا بالإدغام أو الحذف. ولا سبيل هنا للإدغام  
لأنّ أساسه سُكون أول المثليين، وحرف المضارعة إذا سكن وجب  
على المتكلم أن يبتدئ بالساكن وهو مُتَعَذِر في اللسان العربي.  
فإذا كان الإدغام غير ممكن تعيّن الحذف لندفع به الثقل.31 فأنت ترى ذلك  
التحوّل الذي نتج عن الحذف في تاء تفاعل والسبب في ذلك الفرار من الثقل  
والميل للخفة. وقد وقع حذف هذه التاء في القرآن كثيرًا نذكر منه بعض النماذج.

قال تعالى: (ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرَجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) البقرة: 85.

فُرىء بتخفيف الظاء وتشديدها، فمن شدد أدغم التاء في الظاء لمقاربتها، ومن خفف حذف التاء لكراهة اجتماع المثليين. 32 وعندئذ يكون في البنية تحوّل من تفاعل إلى تفاعل. ويؤكد هذا المعنى الجوزي حيث قال: «ومن قرأ تظاهرون خفيفة حذف التاء التي أدغمها أولئك من اللفظ فخفف بالحذف» 33 فأنت ترى أن في حذف التاء جمالاً يحقق هدفين: الفرار من اجتماع المثليين، وتخفيف في اللفظ بالحذف. وقوله تعالى: (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمُونَ) البقرة: 280

أريد بالتصدق الإنظار لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة» فقرئت تصدّقوا بتخفيف الصاد على حذف التاء ففيه تحول إلى بنية تفاعل طلباً للتخفيف.

وقوله تعالى: (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ) آل عمران: 63. جاء في البحر المحيط: تولوا: ماضٍ أو مضارع حُذفت تاؤه وجواب الشرط في الظاهر الجملة من قوله تعالى: (فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ) وأحسب أنّ الوجه القائل بأنه مضارع حُذفت تاؤه، هو الوجه الأقوى عندي؛ والسبب في تفسير الآية يؤكد هذا حيث أتى بالاسم الظاهر دون الضمير «تولوا» - فإن الله» وبرز الاسم الظاهر يقابل الخطاب ومعنى الحال في (تولوا). وإن كان ذلك كذلك ففي البنية تحوّل من تفاعل إلى تفاعل.

وقوله تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ

رَقِيبًا) النساء:1.

قرأ ابن كثير «تساءلون» وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتخفيف. قال الزجاج: «الأصل تتساءلون فمن قرأ بالتشديد أدغم التاء في السين؛ لقرب مكان هذه من هذه، ومن قرأ بالتخفيف حذف التاء الثانية لاجتماع التاءين» 34 فالتاء مذكورة في أكثر القراءات وفي حذفها أو إدغامها تحوّل من بنية تتفاعل إلى بنية تفاعل لأجل التخفيف الذي يميل إليه اللسان العربي كثيراً في كثير من مظاهره.

وقوله تعالى: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (41) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا) النساء: 41 - 42.

ومعنى الآية: أنّ الله يأتي بالأنبياء شهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب، وروي أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان إذا قرأ هذه الآية فاضت عيناه، وكذلك ذرفت عيناه عليه السلام حين قرأها عليه عبد الله بن مسعود. كلّ هذا السياق يؤكد جماليات التحوّل الذي حدث في بنية تتفاعل حيث قرأ نافع وابن عامر «تسوى» بتشديد السين والواو على إدغام التاء الثانية من تتسوى، وقرأ حمزة والكسائي «تسوى» بتخفيف السين وتشديد الواو، على حذف التاء الثانية المذكورة.

وهذه البنية المعدول إليها تؤكد المعنى الدقيق الذي ذهب إليه العلماء فقالت فرقة: تنشق الأرض فيحصلون فيها ثم تتسوى هي في نفسها عليهم وبهم، وقالت فرقة: معناه لو تستوي هي معهم في أن يكونوا تراباً كأبائهم، فجاء اللفظ على أنّ الأرض هي المستوية معهم، والمعنى: إنّما هو أنهم يستوون مع الأرض. 35 ففي اللفظ قلب يُخرَج على نحو اللغة التي حكاها سيبويه:



أدخلت الفلنسة في رأسي وأدخلت فمي في الحجر، وما جرى مجراه. 36  
أياً كان المعنى إلا تتفق معي أنّ قراءة (تسوّى) كشفت عن جمال البنية  
المعدول إليها، فالمشهد المهيّب هذا تناسبه قراءة التشديد؛ لأنّ زيادة المبنى  
تدلّ على زيادة المعنى.

### التحول من بنية الماضي إلى المضارع:

إنّ الفعل يدلّ على مدلولين رئيسيين هما: الحدث والزمن معاً. ومن ثم نعلم  
أنهما وظيفتان صرفيتان أساسيتان لصيغة الفعل.

فالمضارع ما دلّ على حدوث شيء في زمن التكلم أو بعده قال تعالى:  
(وَاللّٰهُ يَفِيضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) البقرة: 245، وتدخل عليه النواصب  
والجوازم ونون التوكيد كقوله تعالى: (وَتَاللّٰهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا  
مُدْبِرِينَ) الأنبياء: 57

والأفعال من حيث المبنى الصرفي تنقسم إلى أقسام تختلف من حيث  
المبنى وكذلك من حيث المعنى الصرفي للزمن، ولكل مبنى منها صيغته  
الخاصة وتصاريفه التي تميزه عن غيره 37 من الأفعال إلا أنّ هذه البنى  
يُعدّل عنها أحياناً فيعبّر عن الماضي ببنية المضارع.

فقد يعبر بالماضي عن المضارع، وهذا التعبير يُعدّ تحولاً يتمّ عن  
معان عميقة، وذلك كقوله تعالى: (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ  
سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ  
عَظِيمٌ) البقرة: 49. فسوم فرعون بني إسرائيل سوء العذاب، وتذبيح  
الأبناء واستحياء النساء أحداث ماضية، غير أنّه عبّر عنها بالفعل الذي  
يدلّ على الحال وهو المضارع؛ وذلك لقصد إحضار مشهد التعذيب أمام  
العين، فالحال الماضية تعبّر عن الحدث الماضي بما يدلّ على الحاضر؛

استحضاراً لصورته في الذهن كأنه مُشاهدٌ مرئيٌّ وقت الإخبار. 38. وقد ورد التعبير بصيغة المضارع عن الماضي في قوله تعالى: (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ) البقرة: 102. والمعني ما تلت الشياطين.

التحوّل من بنية الفعل إلى الاسم ومن بنية الاسم إلى الفعل:

قال تعالى: (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) البقرة: 14 - 15.

إذا قيل لم عدل عن بنية الفعل إلى بنية الاسم والفعل في الحاليين قولٌ للآخر: (قَالُوا آمَنَّا) (قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ)؟ تلك مفارقة بين الجمل لطيفة، فقد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وخاطبوا شياطينهم بالجملة الاسمية؛ وذلك لأنّ الجملة الاسمية أثبت من الجملة الفعلية، فإيمانهم قصير المدى لا يعدو تحريك اللسان أومدة التفاهة بالمؤمنين، وركونهم إلى شياطينهم دائم الاستمرار والتجدد، وهو أعلق بنفوسهم وأكثر ارتباطاً بما رسخ فيها. وقد يُعكس الأمر وفق ما يقتضيه الحال - وهذا لعمرى من دقائق القرآن وأسرار بلاغته - ففي الآية نفسها قوله تعالى: ( إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ \*اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) ففي موقف الاستهزاء استعير لهزاء الله بنية الفعل؛ لأنّ هزاء الله بهم متجدد وقتاً بعد وقت وحالاً بعد حال، يوقعهم في متاهات الحيرة والارتباك زيادةً في التنكيل. 39.

فهناك تحوّل من بنية الفعل إلى الاسم عندما كان الأمر يتعلق بهم: (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) لأنّ الجملة الاسمية أثبت من الفعلية، فدلت على تعلّقهم بالاستهزاء والتّمسك به.

والاستهزاء لا يليق بالله تعالى، ولكن من باب المشاكلة اللفظية فعندما

أَحْتِيجُ لَهُ اخْتِيرَتْ لَهُ بِنِيَّةِ تَوَافِقِهِ، فَاخْتِيرَ لَهُزَاءَ اللَّهِ مَا فِيهِ تَجَدُّدٌ وَاخْتِيرَ لِمَا يَنَاسِبُهُمْ مَا فِيهِ ثَبَاتٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قال تعالى: (وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) البقرة: 48.

هذه الآية توالى فيها الجمل الفعلية إلا أنه أتى بالجملة المعطوفة الأخيرة (وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) اسمية. وسرّ هذا التحوّل يشير إلى المبالغة والدلالة على الثبات والديمومة؛ أي أنّهم غير منصورين دائماً، ولا عبرة لما يصادفونه من نجاح مؤقت. 40 رأيت كيف أنّ التحوّل من بنية الفعل إلى الاسم كان ذا دلالاتٍ دقيقةٍ وأبعادٍ عميقةٍ تعكس جماليات لغة القرآن الكريم.

**التحول من بنية اسم الفاعل إلى صيغ المبالغة:**

إذا أريد الدلالة على كثرة الحدث من الفاعل، حُوّلت صيغة اسم الفاعل إلى وزن من الأوزان التي تدلّ على الكثرة، وتسمى تلك الأوزان أمثلة المبالغة أو صيغ المبالغة. قال سيبويه: « وأجروا اسمَ الفاعل، إذا أرادوا أن يبالغوا في الأمر، مُجْراه إذا كان على بناء فاعلٍ، لأنّه يريد به ما أراد بفاعل من إيقاع الفعل، إلاّ أنّه يريد أن يُحدّثَ عن المبالغة. فما هو الأصلُ الذي عليه أكثرُ هذا المعنى: فَعَوْلٌ، وفَعَّالٌ ومَفْعَالٌ، وفَعِلٌ» 41

فصيغ المبالغة تشترك مع اسم الفاعل في الدلالة على الحدث وفاعله، وتزيد بأنها تدلّ على كثرة الحدث. وإلى هذا المعنى يشير العلماء في بيان مفهومها. 42

وقد أشكلت دلالة هذه الصيغ على بعض العلماء في صفات الله تعالى، وذلك أنها موضوعة للمبالغة، ومعنى المبالغة أن تُثبِتَ للشئ أكثر مما له، وصفات الله تعالى لا مبالغة فيها؛ لأنها متناهية في الكمال، وإنما تكون

المبالغة في وصف يقبل الزيادة والنقصان.43 أجاز بعضهم بأنّ صفات الله تعالى التي جاءت على صيغة من صيغ المبالغة محمولة على المجاز. ويزول هذا الإشكال عند مَنْ ذهب إلى أنّ صيغ المبالغة قسمان: 1. ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل.

2. ما تحصل فيه بتعدد المفعولات.

وتعدد المفعولات لا يوجب للفعل زيادة، وعلى هذا فصفات الله تعالى التي وردت على صيغة مبالغة ك(الرحمن - الرحيم - الغفور - التواب) فالمبالغة فيها بكثرة المفعولات.44 وابن الجوزي فسّر المبالغة في (العليم) بكمال العلم كما فسّر لها ابن عاشور بكثرتة، وذلك متعلق بزيادة الفعل، وفسّر لها في (الرحمن) و(الرحيم) بتمكّن الرحمة وتعلّقها بكثير من المرحومين وذلك متعلّق بتعدد المفعولات.

وفسّر ابن القيم الجوزية (البصير): بكمال البصر، فهو يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في حُنْدُس الظلماء، ويرى تفاصيل الذرة الصغيرة وأعضائها ولحمها ومخّها وعروقها كما فسّر (السميع) بأنّه الذي استوى في سمعه سرّ القول وجهره، ووسع سمعه الأصوات فلا تختلف عليه أصوات الخلق، ولا تشتتبه عليه ولا يشغله منها سمع عن سمع.45

فتفسير ابن القيم يوضح معنى المبالغة في الصفة توضيحاً جلياً؛ ولهذا فالمبالغة تقوم بكلا القسمين: زيادة الفعل و تعدد المفعولات. وقد أفاد وأجاد صاحب الخلاف التصريفي في هذا العرض الذي يعكس جماليات التحوّل من اسم الفاعل إلى صيغ المبالغة بل يظهر جلياً إضافة المعاني التي اعترت البنية المعدول إليها فإذا تدبّرت هذه الآيات أدركت

الجماليات ومنها:

قوله تعالى: (درجاتٍ منه ومغفرةً ورحمةً وكان الله غفوراً رحيماً) النساء: 96.  
(واللذان يأتيناها منكم فادؤهما فإن تابا وأصلحاً فأعرضوا عنهما إن الله كان  
تواباً رحيماً) النساء: 16.

(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتكم بين الناس أن  
تحكموا بالعدل إن الله نعماً يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً) النساء: 58.  
(من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعاً  
بصيراً) النساء: 134.

#### التحول من بنية المصدر إلى اسم المصدر:

المصدر هو الحدث المجرد ويستعمل أحياناً استعمال الفعل، فيكون له  
فاعل ومفعول، وذلك كقوله تعالى: (إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل)  
البقرة: 54. أما اسم المصدر فقد ذهب النحاة إلى أنه ما ساوى المصدر في  
الدلالة على الحدث وخالفه بخلوه من بعض حروف فعله لفظاً وتقديراً دون  
تعويض. 46 وذلك كـ(العطاء والثواب والسلام والكلام) وحق المصدر أن  
يتضمن حروف فعله بمساواة، نحو تعلمت تعليماً أو بزيادة نحو: أعلمت إعلاماً،  
فإن نقص عن حروف فعله دون عوض أو تقدير، كان اسم مصدر، فإعطاء  
مصدر لـ أعطى، وأما العطاء، فاسم مصدر؛ لأنه خلا من الهمزة في أوله  
دون عوض. والتكلم مصدر تكلم، أما الكلام فهو اسم مصدر لـ تكلم؛ لأنه  
خلا من التاء دون عوض. 47

ولا شك أن من دقائق العربية التحول من بنية المصدر إلى اسم المصدر؛  
لأسرار تكمن في اللفظ والمعنى ويبدو ذلك جلياً في نحو قوله تعالى: (وإن  
أحد من المشركين استجارك فأجزه حتى يسمع كلام الله) التوبة: 6

ولا يصح أن نقول: حتى يسمع تكليم الله أو تكلم الله؛ فإنّ كلام الله القرآن، أما التكليم فهو الحدث، ولو كانا بمعنى واحد لصحّ أن يُستعمل أحدهما مكان الآخر.

كذلك هنالك تحوّل في كلمة (طاقة) التي وردت في موضعين فقط في القرآن الكريم

قوله تعالى: (فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ) البقرة: 249

وقوله تعالى: (رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ) البقرة: 286.

فقد كان فيهما تحوّل من المصدر إلى اسم المصد، فالفعل أطاق، مصدره الإطاقة، وهو اسم لمقدار ما يمكن للإنسان أن يفعله بمشقة، لكن لما ورد في مقام لعبد يتذلل لخالقه أن يخفف عنه ما لا يتحمّله، كذلك وافقه تخفيف في البنية. فتّم التحوّل من المصدر إطاقة إلى اسم المصدر طاقة.

وعلى وفق قواعدنا اللغوية هو أن ينقص أو يزيد عن حروف فعله. فقد يجوع اللفظ وتنقص حروفه ومع ذلك يأتي المعنى كاملاً وموافقاً للسياق الذي ذكر فيه، فيصدق بذلك ما أشار إليه ابن رشيق بقوله: «إجاعة اللفظ وإثباع المعنى» 48 التحوّل من بنية الجمع إلى المفرد ومن بنية المفرد إلى الجمع:

الجمع في اصطلاح النحويين ضمُّ اسم إلى أكثر منه بشرط اتفاق الألفاظ والمعاني. 49.

وقد اختلف العلماء في دلالات الجمع في كتاب الله تعالى في عدد من الآيات وذلك في نحو قوله تعالى: (حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) البقرة: 7 حيث عدل عن صيغة الجمع إلى المفرد في كلمة (سَمْعِهِمْ) وفي ذلك دلالة دقيقة؛ حيث وحدّ السمع لوحدة

المسموع، دون القلوب والأبصار؛ لتنوع المدركات والمرئيات. 50.  
قال تعالى: (أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ  
أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ)  
البقرة: 19.

كذلك نجد تحوُّلاً من الجمع إلى المفرد في هذه الآية في كلمتي (رَعْدٌ  
وَبَرْقٌ) فأيهما أبلغ؟

هنالك من يرى أنّ الجمع أبلغ من الأفراد كالبحتري في قوله:

يَا عَارِضاً مُتَلَفِعاً بِبُرُودِهِ \*\*\* يَخْتَالُ بَيْنَ بُرُوقِهِ وَرُعُودِهِ

ولكن في سياق الآية الكريمة إنما أفرد الرعد والبرق، وظاهر الكلام  
وسياقه يستوجبان جمعهما، كما جمع ظلمات.

وقد أبدع درويش في إعرابه حيث قال: «إنما جنح القرآن إلى الأفراد  
لنكتة هامة: وهي أنّ البرق والرعد لما كانا في الأصل مصدرين، والمصادر  
لا تجمع، يقال: رعدت السماء رعدا وبرقت برقا، روعي حكم الأصل  
بأن ترك جمعها. وإن أريد معنى الجمع، وهذه النكتة ذهل عنها البحتري،  
ولا يخفى أن من بين الألفاظ ما يعذب مفردة ويقبح جمعه وبالعكس» 51  
فقد عدل عن صيغة الجمع إلى المفرد لأجل هذه اللطائف اللغوية الدقيقة.  
وهذا من أسرار التحوُّل من بنية إلى أخرى.

وفي الآية سرٌّ آخر في التحوُّل من بنية المفرد إلى الجمع في كلمة  
(أَصَابِعُهُمْ) قطعاً لا يمكن أن تُسد الأذن بأكثر من إصبع، فلم عدل إلى الجمع؟  
لاشك أنك تدرك المجاز المرسل الذي في الآية، لأن الإصبع ليست هي التي  
تجعل في الأذن، فذكر الأصابع وأراد الأنامل، وعلاقته الكلية، والمجاز هنا  
أبلغ من الحقيقة، ولذلك عدل عنها إليه، وتابعه عدول في البنية أيضاً فجمع

الأصابع؛ لأنه لم يُرد إصبعاً معينة؛ لأنّ الحالة حالة دهش وحيرة فأية إصبع اتفق لهم أن يسدوا بها آذانهم فعلوا غير معرجين على ترتيب معتاد أو تعيين مفترض. 52.

وكذلك في قوله تعالى: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) آل عمران: 173. فقد ذهب طائفة إلى أنّ «الناس» رجل واحد وهو نُعيم بن مسعود، أو أعرابي من خزاعة، وإنما عبّر عن الواحد بلفظ الجمع. 53. وذهبت طائفة إلى أنّ المراد به جماعة وهم ركب من عبد قيس أو المنافقون.

وأحسب أنّ الأعمق في الدلالة هو الرأي الأوّل، وفيه تحوّل من بنية المفرد إلى الجمع والذي يؤيد ذلك أنّ الفارسي قد استدل على الآية أنّ المراد به واحد، بقوله تعالى بعدها: (إِنَّمَا ذَلِكَمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) فوقعت الإشارة إلى واحد ولو كان المعنى جمعاً لقال: «إنما أولئك الشياطين» 54.

قال تعالى: (مَتَّئِهِمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ) البقرة: 17.

هذه الآية تضمنت نوعين من التحوّل:

أ. التحوّل من بنية المفرد إلى بنية الجمع.

ب. التحوّل من بنية أفعل إلى بنية فَعَلَ.

وقد ذهب بعض العلماء إلى أنّ الباء قد تأتي بمعنى الهمزة، وعندئذ لا يوجد تحوّل في البنية. إلا أنّ المبرد يرى خلاف ذلك وهو قوله: «بين الهمزة والباء هنا فرق، وذلك أنك إذا قلت: أذهبت زيداً، المعنى جعلته يذهب وإن كنت غير ذاهبٍ معه، وإذا قلت: ذهبت يزيدٍ فلا تقوله حتّى تذهب



وأميل إلى هذا القول؛ لما فيه من لطف المعنى ودقته. كما ذهب إليه كثيرون، منهم صاحب إعراب القرآن وبيانه، حيث قال في معرض تفسير هذه الآية وقد فرّق بين الضوء والنور قائلاً: «الضوء فيه دلالة على الزيادة، فلو قال بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يُسمى نوراً. والغرض هو إزالة النور عنهم رأساً وطمسه أصلاً»

ويؤكد هذا المعنى الدقيق التحوّل الذي حدث في بنية الكلمة، فالسياق كان يقتضي أن يقول: «بضوئهم» مقابل كلمة «أضاءت» ولكنه قال «ذهب بنورهم» وذهب على زنة فَعَلَ، ولم يقل أذهب على زنة أفعل. والفرق بينهما أنّ معنى أذهبه أزاله وجعله ذاهباً، ومعنى ذهب به استصحبه ومضى به معه، كما ذهب إليه المبرد.

والغرض إفادة أنه لم يبق مطمع في عودة ذلك النور إليهم بالكلية. إذ لو قيل: أذهب الله نورهم، ربما يُتوهم إنما أذهب عنهم النور وبقي معهم، فربما عوضهم بدل ما فاتهم، فلما قال: ذهب الله بنورهم كان ذلك حسماً وانقطاعاً لمادة الأطماع من حصولهم على أيّ خير لهم أو منهم، وهذا من أسمى ما يصل إليه البيان.56

وقد ورد عند الرازي هذا المعنى أيضاً: « وَالْمَعْنَى أَحَدَ اللَّهِ نُورَهُمْ وَأَمْسَكَهُ وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ، فَهُوَ أَبْلَغُ مِنَ الْإِذْهَابِ »57  
وفي الآية وجه آخر للتحوّل من بنية المفرد إلى بنية الجمع:  
وحول الشّيء: ما دار من جوانبه. والهاء: عائدة على المستوقد. فان قيل:  
كيف وحّد، فقال

كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ، ثم جمع فقال: ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ؟ فالجواب: أن ثعلباً

حكى عن الفراء أنه قال: إنما ضرب المثل للفعل، لا لأعيان الرجال، وهو مثل للنفاق، وإنما قال: ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ لأن المعنى ذاهب إلى المنافقين، فجمع لذلك. قال ثعلب: وقال غير الفراء: معنى الذي: الجمع، وخذ أولاً لفظه، وجمع بعد لمعناه، كما قال الشاعر :

فَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفُلْجٍ دِمَاؤُهُمْ \*\*\* هُمْ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ 58

فجعل «الذي» جمعاً. وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة: أن «الذي» في قوله: «كمثل الذي استوفد نازراً» بمعنى الذين 59، كما قال جل ثناؤه: (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) الزمر: 33. فلك أن تتصور جمال هذا التحوّل في كلّ موضعٍ من كتابه العزيز.

**الخاتمة:**

تناولت صفحات البحث ثلاثة مباحث، أحسب أنها عكست جماليات اللغة ودقائقها التي تكمن في التحوّل من بنية إلى أخرى. وبعد دراسة التناسب بين الأبنية والمعاني، والوقوف على معرفة دلالات التحوّل الصّرفي لدى الأقدمين، واختيار بعض نماذج التحوّل في الرّبع الأوّل من القرآن الكريم، وقد خرجت الدراسة بالنتائج والتوصيات التالية: أولاً: النتائج:

معرفة قدمائنا بالظواهر الأسلوبية والاهتمام بأوجه التحوّل في لغتنا الشريفة.

من أبرز ميزات العربية أنّ المباني تتناسب مع المعاني، بل مجرد تغيير حرف قد يكون مناط التفرقة بين حدث وآخر.

هنالك معانٍ وجماليات ودقائق مكتسبة من البنية المعدول إليها قد لا نلمحها في البنية المعدول منها.

نجد أنّ علماء اللغة المفسرين اعتنوا عناية فائقة ببيان الدلالات الصرفية

في كتاب الله تعالى؛ لأنّ العناية بها تدرج في منظومة الاعتناء بتفسير كتابه العزيز.

### ثانياً: التوصيات:

إنّ كتب الأوائل مليئة بمظاهر التحوّل، أوصي الباحثين بالتفتيش عنها وإبراز جهودهم، وإثبات أسبقيتهم في كثير من الأمور، ثم محاولة تفسير جماليات هذا التحوّل ودلالاته.

## الهوامش:

- 1 - صلاح رّواي، فقه اللغة وخصائص العربية وطرائق نموّها، 130.
- 2 - السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، المحقق: فؤاد علي منصور، 47/1.
- 3 - ابن جنّي، أبو الفتح عثمان بن جنّي الموصلي، الخصائص، 157/2.
- 4 - ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، 40 /1.
- 5 - سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر، الملقب سيبويه، الكتاب، المحقق: عبد السلام محمد هارون، 277/4.
- 6 - ابن جنّي، الخصائص، 155/ 2.
- 7 - السيوطي، المزهري، 49/1.
- 8 - سيبويه، الكتاب، 41/4.
- 9 - الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، المحقق: عبد الرزاق المهدي، العربي، 136.
- 10 - الرضي، محمد بن الحسن الرضي الإسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب، المحقق: محمد نور الحسن وآخرون، 5/1.
- 11 - محمود سليمان ياقوت، ظاهرة التحويل في الصيغ الصرفية، 72.
- 12 - المرجع السابق، 9.
- 13 - صبحي إبراهيم الصالح، دراسات في فقه اللغة، 328.
- 14 - فريد بن عبد العزيز الزامل السليم، الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن الكريم، 62.
- 15 - سيبويه، الكتاب، المطبعة الكبرى الأميرية لبولاق - مصر، الطبعة الأولى 1317هـ، 215\2.
- 16 - المرجع السابق 219\2.
- 17 - انظر سيبويه، الكتاب، 12/4 و 84/4.
- 18 - انظر امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار، ديوان امرئ القيس، اعتنى به عبد الرحمن المصطوي، 137/1، والمبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس المبرد، المقتضب، المحقق: محمد عبد الخالق عزيمة، 72 و74.
- 19 - ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل ابن السراج، الأصول في النحو، المحقق: عبد الحسين الفتلي، 11/3.
- 20 - ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 8/1.

- 21 - الزركشي، بَدْر الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، 373.
- 22 - ابن الحاجب، شرح شافية ابن الحاجب، 96/1.
- 23 - الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 171/1.
- 24 - فريد بن عبد العزيز الزامل السُّلَيْمِ، الخلاف التصريفي، 65.
- 25 - الطبري، تفسير الطبري، 386/2، والجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، 248.
- 26 - ابن العربي، أحكام القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، 184/1.
- 27 - ابن خالويه، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، الحجة في القراءات السبع، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، 321/2. وابن جماعة، أبو عبد الله، محمد ابن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، كشف المعاني في المتشابه من المثاني، تحقيق: عبد الجواد خلف، 293/1.
- 28 - الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء، معاني القرآن بيروت، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، 143/1. الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق طه عبدالحميد طه، 155/1.
- 29 - ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، 298/1.
- 30 - فريد بن عبد العزيز الزامل السُّلَيْمِ، الخلاف التصريفي: 86 و 331.
- 31 - أمين علي السيد، في علم الصرف، 58.
- 32 - النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد: تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، 168/1.
- 33 - الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، 85/1.
- 34 - المرجع السابق، 367/1.
- 35 - ابن عطية، المحرر الوجيز 55/2.
- 36 - سيبويه، الكتاب، 181/1.
- 37 - محسن محمد قطب معالي، المشتقات ودلالاتها في اللغة العربية، 14.
- 38 - المرجع السابق والصفحة.
- 39 - درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، 52/1.
- 40 - المرجع السابق 101/1.
- 41 - سيبويه، الكتاب، 110/1.

- 42 - المبرد، المقتضب، 113/2.
- 43 - السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، 283/2.
- 44 - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 136/1.
- 45 - ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين وباب السعادتين، 79/1.
- 46 - الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1419 هـ - 1998 م، 287/2.
- 47 - فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة: الأولى، 1438 هـ - 2017 م، 169، 190/3.
- 48 - ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، 243/2.
- انظر: محمد عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، تصدير محمود محمد شاكر، 77/6.
- 49 - ابن عصفور، المقرب، تحقيق أحمد عبدالستار الجواري وعبد الله الجبوري، 40.
- 50 - درويش، إعراب القرآن، 43\1.
- 51 - المرجع السابق، 62\1.
- 52 - درويش، إعراب القرآن، 63/1.
- 53 - الفراء، معاني القرآن، 247/1. انظر أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، مجاز القرآن المحقق، محمد فواد سزكين، 9/1.
- 54 - أبو علي الفارسي، المسائل الحلييات، تحقيق: حسن هنداي، 174.
- 55 4 - ابن أبي الربيع، عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله، ابن أبي الربيع القرشي الأموي العثماني الإشبيلي، تفسير الكتاب العزيز وإعرابه، المحقق: علي بن سلطان الحكمي، 319/1.
- 56 - درويش، إعراب القرآن، 57/1.
- 57 - الرازي، تفسير الرازي 314/2.
- 58 - الشعر للأشهب بن رميلة، من شواهد سيبويه 187/1. وقلج: واد بين البصرة وحمى ضرية، كانت فيه هذه الواقعة التي ذكرها.
- 59 - 320/1. - الجوزي، زاد المسير 37/1. انظر الطبري، جامع البيان

## المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم.

## ثانياً: المصادر والمراجع:

- 1 - الأشموني، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني الشافعي، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1419 هـ - 1998 م.
- 2 - امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار، ديوان امرئ القيس، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الثانية، 1425 هـ - 2004 م.
- 3 - أمين علي السيد، في علم الصرف، الناشر: دار المعارف، الطبعة الثالثة - 1985 م.
- 4 - الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى 1422 هـ - 2002 م.
- 5 - ابن جماعة، أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، كشف المعاني في المتشابه من المثاني، تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف، الناشر: دار الوفاء - المنصورة، الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1990 م.
- 6 - ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلية، الخصائص، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة، د.ت.
- 7 - الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى 1422 هـ.
- 8 - ابن الحاجب، محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين، شرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهد للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب، حققهما، وضبط غريبهما، وشرح مبهمهما، محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، 1395 هـ - 1975 م.
- أبوحيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، 1420 هـ.
- 9 - أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420 هـ.
- 10 - ابن خالويه، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، الحجة في القراءات السبع، المحقق: عبد العال سالم مكرم، الناشر: دار الشروق، بيروت، الطبعة: الرابعة 1401 هـ.
- 11 - درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص - سورية، دار اليمامة - دمشق - بيروت، دار ابن كثير - دمشق -

- بيروت، الطبعة:الرابعة، 1415 هـ.
- 12 - ابن أبي الربيع، عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله، ابن أبي الربيع القرشي الأموي العثماني الإشبيلي، تفسير الكتاب العزيز وإعرابه، المحقق: علي بن سلطان الحكمي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالدينة المنورة، الطبعة: الأعداد 85 - 100 السنوات 22 - 25 المحرم 1410 هـ - ذو الحجة 1413 هـ.
- 13 - ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الجيل، الطبعة: الخامسة، 1401 هـ - 1981 م.
- 14 - الرضي، محمد بن الحسن الرضي الإسترأبادي، شرح شافية ابن الحاجب، المحقق: محمد نور الحسن وآخرون، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، 1395 هـ - 1975 م.
- 15 - الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ.
- 16 - الزركشي، بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله بن بهادر الزركش، البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م.
- 17 - الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، 1407 هـ.
- 18 - ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل ابن السراج، الأصول في النحو، المحقق: عبد الحسين الفتلي، الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت.
- 19 - سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر، الملقب سيبويه، الكتاب، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، 1408 هـ - 1988 م.
- وسيبويه، الكتاب، المطبعة الكبرى الأميرية لبولااق - مصر، الطبعة: الأولى 1317 هـ.
- 20 - السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، المحقق: فؤاد علي منصور، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1998 م.
- والسيوطي، الإقتان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394 هـ / 1974 م.
- 21 - صبحي إبراهيم الصالح، دراسات في فقه اللغة، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الطبعة: الأولى 1379 هـ - 1960 م.



- 22 - صلاح رَوّاي، فقه اللغة وخصائص العربية وطرائق نموها، الطبعة: الأولى، 1413 هـ - 1993 م.
- 23 - الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.
- 24 - ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، 1984 هـ.
- 25 - ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الأشبيلي المالكي، أحكام القرآن، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م.
- 26 - ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1422 هـ.
- 27 - ابن عصفور، المقرب تحقيق أحمد عبدالستار الجواري وعبد الله الجبوري، بغداد، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.
- 28 - أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، مجاز القرآن، المحقق: محمد فواد سزكين، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة: 1381 هـ.
- 29 - أبو علي الفارسي، المسائل الحلييات، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق 1407 هـ.
- 30 - فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، 1438 هـ - 2017 م.
- 31 - ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء الفزويني الرازي، الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين، الناشر: محمد علي بيضون، الطبعة: الأولى 1418 هـ - 1997 م.
- 32 - الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء، معاني القرآن: المحقق: أحمد يوسف النجاتي - محمد علي النجار - عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة: الأولى، د.ت.
- 33 - فريد بن عبد العزيز الزامل السليم، الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن الكريم، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، 1427 هـ.
- 34 - ابن قيم لجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين وباب السعادتين، الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الثانية، 1394 هـ.

- 
- 35 - الميرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس المبرد، المقتضب، المحقق: محمد عبد الخالق عضيمة، الناشر: عالم الكتب. - بيروت، د.ط، د.ت.
- 36 - محسن محمد قطب معالي، المشتقات ودلالاتها في اللغة العربية، الناشر: مؤسسة حورس الدولية للنشر - الاسكندرية 2009م.
- 37 - محمد عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، تصدير محمود محمد شاكر، الناشر: دار الحديث، القاهرة.
- 38 - محمود سليمان ياقوت، ظاهرة التحويل في الصيغ الصرفية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1985م.
- 39 - النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد: تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1994

ظاهرة ضعف التلاميذ في التعبير الشفهي  
والتحريري وإمكانية علاجها باستخدام  
الوسائط التعليمية السمعية

إعداد:

د. السر الشيخ أحمد المختار

أستاذ مساعد بجامعة النيلين - كلية التربية



## مستخلص:

تهدف هذه الدراسة أساساً إلى تعرّف إمكانية استخدام الوسائط السمعية في علاج ظاهرة ضعف التلاميذ في التعبير الشفهي والتحريري. استخدم الباحث المنهج الوصفي في إعداد الدراسة، متّخذاً الملاحظة أداة لرصد المعلومات والمفاهيم المتعلقة بالظاهرة.

هذا وقد توصل الباحث للنتائج التالية:

1. من أهم أسباب ضعف التلاميذ في التعبير الشفهي والتحريري:

المنهاج الدراسي.

البيئة المدرسية.

البيئة الاجتماعية.

كفايات المعلم.

2. تتمثل الأهمية التربوية للتعبير الشفهي والتحريري في أنه الوسيلة الوحيدة التي تُمكن المتعلم من التواصل والتفاهم بغرض التعلّم.

3. من الوسائط السمعية المتاحة التي يُمكن الإفادة منها في علاج

الظاهرة: التلفزيون التعليمي، والفيديو التعليمي، والسبورة الذكية.

وفي ضوء نتائج الدراسة فإنّ الباحث قد تقدّم ببعض التوصيات ذات

الصلة بالموضوع

### **Abstract:**

This study aims to identify the possibility of using audiovisual media in treating the phenomenon of students' impairment in verbal and written expression.

Descriptive method was used in this study, using observation as a tool to collect data and concepts related to the phenomenon.

Results:

The most important reasons of students' impairment in verbal and written expression include:

Curriculum.

School environment.

Social environment.

Teachers qualification.

The educational importance of verbal and written expression represents that it is the only way which enables the learner to communicate in order to learn.

The audiovisual media that can be used in treating the phenomenon are educational television, educational video and smart board.

Recommendations were made according to the results of the study.

## مقدمة:

من الظواهر التربوية التي تستحق الاهتمام من قبل التربويين ومختصي اللغة العربية، ظاهرة ضعف التلاميذ في التعبير، بشقيه الشفهي والتحريري. ذلك لأهمية التعبير في التحصيل الدراسي والكسب المعرفي، وفي التفاهم والتخاطب والاتصال التعليمي. وفي تقدير الباحث فإن هذا الضعف ربما يصبح مهّداً رئيساً لتحقيق الأهداف التربوية العامة والأهداف التعليمية السلوكية.

وما يُبشّر بإمكانية الإصلاح أن عصر التكنولوجيا قد أتاح وسائط متعدّدة سمعية وبصرية بالغة التأثير في العملية التعليمية، وبالإمكان الإفادة منها في علاج الظاهرة موضوع الدراسة، ما يُعدُّ من التجديدات التربوية التي ترتقي بطرائق التدريس التقليدية إلى طرائق وأساليب أكثر إثارةً وتشويقاً.

تتناول هذه الدراسة ظاهرة ضعف التلاميذ في التعبير، وإمكانية علاج الظاهرة باستخدام الوسائط السمعية البصرية. يعرض الباحث أولاً لمفهوم التعبير وأهميته التربوية، ثم يتناول أسباب الظاهرة كما يراها بعض التربويين، ويعرض الباحث كذلك لمفهوم الوسائط السمعية البصرية، ويقدم نماذج للوسائط المتاحة في حقل التعليم وأهم خصائصها، خاتماً الدراسة بالنتائج والتوصيات.

## ثانياً: مشكلة الدراسة:

لاحظ الباحث من خلال تجربته الطويلة في التدريس بمرحلتَي التعليم العام الأساسي والثانوي، الممتدة إلى التدريس بمرحلة التعليم الجامعي، ضعفاً بانناً لدى التلاميذ والطلاب في التعبير التحريري والشفهي، ونسبةً لأهمية التعبير في اكتساب وتعلّم اللغة العربية، ونسبةً لأهمية اللغة العربية في اكتساب العلوم والمعارف الأخرى، فقد رأى الباحث إمكانية الإفادة من

معطيات تكنولوجيا التعليم بهدف الإسهام في معالجة ظاهرة ضعف التلاميذ في التعبير باللغة العربية.

عليه يمكن تحديد مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي :  
ما إمكانية علاج ظاهرة ضعف التلاميذ في التعبير التحريري والشفهي باستخدام الوسائط السمعية؟

### ثالثاً: أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة أساساً إلى تعرّف إمكانية معالجة ظاهرة ضعف التلاميذ في التعبير التحريري والشفهي باستخدام الوسائط التعليمية السمعية. كما تهدف إلى تعرّف:

- أ. أسباب الظاهرة من خلال آراء بعض التربويين.
- ب. الأهمية التربوية للتعبير التحريري والشفهي.
- ج. الوسائط التعليمية السمعية المتاحة لمؤسسات التعليم العام، والمناسبة لعلاج الظاهرة.

### رابعاً: أسئلة الدراسة:

تتفرع عن السؤال الرئيس لمشكلة الدراسة أسئلة فرعية أخرى تُشكّل قوام الموضوع، كما يلي:

- أ. ما أسباب ظاهرة ضعف التلاميذ في التعبير التحريري والشفهي؟
- ب. ما الأهمية التربوية للتعبير التحريري والشفهي؟
- ج. ما أنجع الوسائط التعليمية السمعية التي يُمكنها الإسهام في علاج الظاهرة؟

### خامساً: أهمية الدراسة:

تكتسب الدراسة أهميتها من أهمية اللغة العربية، فالى جانب أنها لغة



القرآن الكريم، وأداة التواصل والتخاطب على المستويين الرسمي والشعبي، فإنها لغة الكسب الأكاديمي والتحصيل المعرفي في مؤسسات التعليم العام والعالى.

ويأمل الباحث أن تفيد نتائج هذه الدراسة، وما تقدمه من توصيات، الجهات والمؤسسات التربوية و التعليمية التالية:

أ. وزارة التربية والتعليم والمؤسسات التربوية المختصة.

ب. المركز القومي للمناهج والبحث التربوي.

ج. الموجهين التربويون ومعلمو اللغة العربية.

د. الباحثين التربويين وكل المهتمين بدراسات اللغة العربية.

**سادسا: منهج وأدوات الدراسة:**

يتبع الباحث المنهج الوصفي، وذلك وفق المنهجية العلمية المتبعة في كتابة البحوث، والدراسات التربوية وإعداد الأوراق العلمية، كما يستخدم الملاحظة أداة للدراسة.

**سابعاً: حدود الدراسة:**

أ. حدود موضوعية: علاج ظاهرة ضعف التلاميذ في التعبير التحريري و الشفهي باستخدام الوسائط السمعبصرية.

ب. حدود مكانية: مدارس ومؤسسات التعليم العام في السودان.

م 2020/ج. حدود زمانية: 2019

**ثامناً: مصطلحات الدراسة:**

1. التعبير الشفهي:

«هو الكلام، وهو مهارة من مهارات اللغة العربية، بها تُنقل الأفكار والمعتقدات والآراء والمعلومات إلى الآخرين بواسطة الصوت، فهو ينطوى

على لغة وصوت وأفكار وأداء...»<sup>1</sup>  
إجرائياً: هو المحادثة أو الإنشاء الشفهي.

## 2. التعبير التحريري:

« هو عملية التعبير عن المشاعر والأحاسيس والأداء والحاجات، ونقل المعلومات بكلام مكتوب كتابةً صحيحةً، تُراعى فيها قواعد الرسم الإملائي الصحيح للغة، وحسن التراكيب والتنظيم، وترابط الأفكار ووضوحها...»  
إجرائياً: هو الإنشاء الكتابي.

## 3. الوسائط السمعية:

هي الأجهزة التي تنتج مواد يُعتمد في استقبالها على حاستي السمع والبصر معاً في وقت واحد، أي استخدام الأذن والعين معاً في استقبالها، مثل التلفزيون التعليمي، والفيديو التعليمي والسبورة التفاعلية.

## أسباب ضعف التلاميذ في التعبير التحريري والشفهي:

يرى الطيب حياتي<sup>2</sup> أن هنالك عدة أسباب لتردى مستوى اللغة العربية في نظامنا التعليمي، لعلّ من أهمها ما يلي:

1. ضعف المستوى الاجتماعي الاقتصادي لمعظم الأسر.
2. الدخول المبكر للأطفال عند السادسة وما دون السادسة.
3. اتباع أكثر من طريقة لتعليم اللغة العربية في رياض الأطفال.
4. الضعف الواضح في تدريب معلمي اللغة العربية بمرحلة التعليم الأساسي.

ويرى الباحث أن من أهم أسباب ضعف التلاميذ في التعبير التحريري والشفهي، ما يلي:

### 1. المنهاج الدراسي:

ولأن المنهاج الدراسي بمفهومه الحديث يشتمل على عدّة مكونات، هي جوهر العملية التربوية والتعليمية، فإن الباحث هنا يركز على رباعية عناصر المنهاج، وهي كما يلي:

أ. الأهداف: هل صيغت أهداف مقررات اللّغة العربية بطريقة واضحة ومحدّدة، ويمكن قياسها، ومن ثم البناء عليها؟ وهل روعي التمييز بين الأهداف التعليمية السلوكية و الأهداف التربوية العامة؟

ب. المحتوى: ويُقصد به محتوى المقرر الدراسي، وما يتضمنه من موضوعات، بما يحقّق الأهداف العامة للمرحلة المعيّنة أو المقرر المعين، وبما اتفق عليه المختصّون في بناء المنهج، ولعلّ ما يهمننا هنا هو التأكد من أن محتوى مقرر اللّغة العربية يتيح للتلاميذ تدرجياً اكتساب ذخيرة لغوية مُقدّرة تُمكنهم من فهم العلوم والمعارف المتعدّدة، والتعبير عن أنفسهم بسهولة ويُسر، كتابةً وشفاهةً.

ج . طرائق التدريس: وهي العنصر الأهم، ويُرجّح الباحث أن تكون طرائق التدريس هي العامل الأكثر تأثيراً في نشأة الظاهرة، فتباين اتجاهات معلمي اللّغة العربية نحو التدريس بالطريقة الجزئية أو الكلية أو التوليفية، وكذا تباين طرائق وأساليب التدريس بين مرحلة دراسية وأخرى في التعليم العام كما أشار الطيب حياتي 3، كل هذا يُحدث حيرةً واضطراباً لدى التلاميذ، ويؤثر بالتالي في فهمهم واستيعابهم للدروس، ويققل من قدرتهم على حُسن التعبير. يُضاف إلى عنصر طرائق التدريس الأنشطة الصفّية، وهي كافة

الأنشطة والإجراءات التي يتبّعها المعلم مع تلاميذه داخل قاعة الدرس، ولها علاقة مباشرة بموضوع الحصة في أي فرع من فرع اللّغة العربية، وذلك بغرض تثبيت المفاهيم وتركيز المفردات والمعاني، وتوضيح ما استشكل على بعضهم، وهي أيضاً مساحة لصقل مهارة الكلام والكتابة والخطابة، وفنّ الحوار والمناقشة والمناظرة، ما يُعزّز قدرة التلاميذ على التعبير بجرأة وطلاقة.

**د. التقويم والتغذية الراجعة:** التقويم و القياس عمليتان متلازمتان في سياق التحصيل الدراسي للتلاميذ، وذلك للتأكد من مدى تحقيق الأهداف المحدّدة للمناهج الدراسي، التقويم بأنواعه المختلفة، المستمر و البنائي التكويني والنهائي، وفي مراحل مختلفة الفورية منها و الأجلة، والتغذية الراجعة من الميدان - وفق ملاحظات المعلمين والموجهين الفنيين - هي المؤشّر الحقيقي لمدى ترابط رباعية عناصر المنهج الدراسي.

**2. البيئة المدرسية:**

الأنشطة المدرسية اللاصقيّة لا تقلّ أهمية عن الأنشطة الصّفيّة المصاحبة لطرائف التدريس، فالجمعيات الأدبية والثقافية والعلمية، والصحف الحائطية، وحصص المكتبة المدرسية، ويضيف محمد خضر عريف<sup>4</sup> «المجلات المدرسية والإذاعة المدرسية والمسرح المدرسي»، كل هذه الأنشطة كانت سوحاً للإبداع والتميّز، ومضماراً للمنافسات التي تظهر مواهب التلاميذ وقدرتهم على الكتابة والخطابة والإبانة والإفصاح، والملاحظ أن هذه الأنشطة قد غابت منذ عقدين من الزمان، وذلك لضيق الجدول الدراسي اليومي وضغطه في خمسة أيام فقط، ما لا يدع مجالاً متسعاً للأنشطة المصاحبة للمنهج.

### 3. البيئة الاجتماعية:

من العوامل المؤثرة في تعزيز اكتساب اللغة العربية وتطوير مهارات التعبير لدى التلاميذ البيئة الاجتماعية المحيطة بهم، الأسرة ومستواها الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، ومدى تكامل دورها تربوياً مع دور المدرسة، وكذا المجتمع ومؤسساته الاجتماعية والثقافية والرياضية. ولا يُغفلُ في هذا الجانب الوسائط الإعلامية - المسموعة والمرئية والمقروءة - ووسائط التواصل الاجتماعي المختلفة، وأساليب التعبير المستخدم فيها، والذي ربما لا يوافق أحياناً ما يتلقاه التلميذ في المدرسة وفي سياقاتٍ تربوية معينة مخطط لها أصلاً.

### 4 - المعلم المدرب:

على الرغم من التغيير والتطور الذي طرأ على دور المعلم في العملية التربوية والتعليمية وفقاً لمنظور المنهج الحديث، حيث أصبح دوره التوجيه والإرشاد وتصميم الموقف التعليمي، بينما المتعلم هو محور العملية التعليمية، إلا أن المعلم يظل الركيزة الأساس في بناء وتنمية شخصية المتعلم، معرفياً ووجدانياً ومهارياً.

فهل يتلقى معلم اللغة العربية الجرعات التدريبية الكافية التي تعينه على إكساب تلاميذه مهارات اللغة العربية كما حُطت له في حقيقته التدريبية؟

**مفهوم التعبير في اللغة العربية وأهميته التربوية:**

**التعبير لغة:**

«هو الإبانة والإفصاح عمّا في خاطر الإنسان من أفكار ومشاعر بحيث يفهمه الآخرون.. ويُقالُ عبّرَ عمّا في نفسه، أي أعرب وبيّن الكلام»5.

## والتعبير اصطلاحاً:

«هو العمل المدرسي المنهجي الذي يسير وفق خطة متكاملة للوصول بالطالب إلى مستوى يُمكنه من ترجمة أفكاره ومشاعره وأحاسيسه ومشاهداته وخبراته الحياتية، شفاهاً وكتابةً، بلغة سليمة، وفق نسقٍ معيّن»<sup>6</sup>

«وهو أيضاً وسيلة التفاهم بين الناس، لتنظيم حياتهم وقضاء حاجاتهم، وهو الهدف الذي ترمي إليه فروع اللغة العربية جميعها».

ومفهوم التعبير كما أورد فهد زايد ومحمد رمان<sup>7</sup>:

«هو الطريقة التي يصوغ بها الفرد أفكاره وأحاسيسه وحاجاته وما يُطلب إليه بأسلوب صحيح في الشكل والمضمون».

ويضيف المؤلفان<sup>8</sup> في ذات الاتجاه «وللتعبير مفهوم آخر وهو الإفصاح عن الأفكار والمشاعر، حديثاً أو كتابةً بلغة عربية سليمة ومناسبة».

## أهمية التعبير:

تكمن أهمية التعبير سواء الكتابي أو الشفهي في أنه الوسيلة الوحيدة التي تمكن المتعلم من التواصل والتفاهم بغرض التعلم، هذا بجانب الأغراض التربوية والاجتماعية والثقافية الأخرى التي أوردتها فهد زايد ومحمد رمان<sup>9</sup>:

1. يتوقف تقدّم الفرد في كسب المعلومات الدراسية المختلفة على إتقان

التعبير، لذا فالتعبير أمرٌ ضروري في مختلف المراحل الدراسية.

2. يُعتبر أداة لنقل التراث الحضاري والثقافي والعلمي والأدبي إلى

الأجيال القادمة.

3. ميدان لتنافس رجال العلم والفن والأدب، والتعرّف على كفاياتهم

وقدراتهم.

4. مجال ليتعرف المعلمون على عيوب طلابهم في عرض أفكارهم،

والأسلوب ومعالجته.

5. مجالاً واسعاً لاكتشاف مواهب الطلاب الأدبية، ليتعهدهم المعلم بالتشجيع والرعاية.

6. اكتساب مهارات لغوية تُمكن الإنسان من استخدام اللغة استخداماً سليماً في مواقف الحياة.

ويضيف الباحث التأكيد على أهمية التعبير في التحصيل الدراسي، حيث يتوقف نجاح التلاميذ وتفوقهم الدراسي على مدى إتقانهم لفنون التعبير بشقيه - التحريري والشفهي، كما أن تميزهم ونجاحهم في الحياة يتوقف على مدى إتقانهم التعبير الوظيفي، أو الإبداعي حسب مجالات التعامل والتواصل مع الآخرين.

### الوسائط السمعية:

يعتبر العقد الأخير من القرن العشرين وبداية الألفية الثالثة حقبة مميّزة وغير مسبوقة في مجال الإصلاح التربوي، المعتمد على إدماج التكنولوجيا في التعليم. وتأتي الوسائط السمعية على قائمة الأجهزة والمواد التي يُعوّل عليها في تحسين طرائق التدريس، نسبةً لما توفره من مزايا وخصائص، أهمها:

1. استثمار حواس المتعلّم وإبقاء نواتج التعلم لفترات أطول.
2. التغلّب على دواعي الملل لدى المتعلمين الناتج عن طرائق التدريس التقليدية، المعتمدة على اللفظية المجردة.

«المطلوبة التي هي أساس التعلم. Interactivity». إحداهن التفاعلية<sup>3</sup> واللغة العربية بفروعها المتعددة ومهاراتها الأربع، فإنها الأولى والأحق بالإفادة من مثل هذه التجديدات التربوية المهمّة.

### مفهوم الوسائط السمعية:

تعددت التعريفات والتسميات والتصنيفات المتعلقة بمفهوم الوسائط السمعية، إلا أن التعريف الجامع الذي يطمئن إليه الباحث هو ما أورده أمل كرم 10:

«هي المواد التي تعتمد على السمع والبصر في تحصيل المعلومات، مثال الأفلام المتحركة الناطقة والأفلام الثابتة والشرائح المصحوبة بتسجيلات صوتية، والتلفزيون والفيديو».

### أهمية الوسائط السمعية في حلّ بعض مشكلات العملية التعليمية:

تكتسب الوسائط السمعية أهميةً تربويةً مقدّرة، وذلك لإمكانية إسهامها في حلّ بعض مشكلات التعليم وصعوبات التعلّم، منها على سبيل المثال ما ورد عن أمل كرم 11:

1. تُقدّم للطلاب أساساً مادياً للتفكير الإدراكي الحسي ومن ثم تُقلل استخدام الطلاب لألفاظ لا يفهمون معناها.
2. تُسهم في نمو المعاني، ومن ثم في زيادة الثروة اللفظية للطلاب وخصوصاً في معامل تعليم اللغات.
3. تُساعد على تنمية مهارات الاتصال والاعتماد على النفس في حل مشكلات التعلّم.
4. تُسهم في معالجة الفروق الفردية بين الطلاب.

بعض الوسائط السمعية وإمكانية الإفادة منها في معالجة ظاهرة الضعف في التعبير:

ينجذب التلاميذ في الفئات العمرية الصغرى لمشاهدة الوسائط المتعددة لما توفره من عنصري الإثارة والتشويق، وبالإمكان الإفادة من هذه الخاصية



في إنتاج برامج متخصصة تُعنى بالتعبير الشفهي والتحريري. ومن الوسائط التعليمية التي أثبتت نجاعةً ونجاحاً في إنتاج مواد تعليمية مصحوبة بالصوت والصورة والحركة التلفزيون التعليمي والفيديو التعليمي ومؤخراً السبورة الذكية، وهذه الأجهزة لحسن الحظ متاحة في حقل التعليم ويرى الباحث أنّ بالإمكان إنتاج برامج على شاكلة:

1. القصص المشوّقة.
2. الأناشيد المدرسية.
3. التمثيليات الهادفة والمسرحيات المدرسية (مَسْرحة المناهج).
4. الأندية العلمية والمنافسات الأدبية.

لوزارة التربية والتعليم تجربة مميزة في إزكاء روح المنافسة بين الطلاب في المجال الأدبي واللغوي، منها على سبيل المثال الدورات المدرسية، وبرنامج تحديّ القراءة العربي الذي يهدف إلى صقل مهارة التعبير لدى الطلاب، فالفكرة أن يقرأ التلميذ كتاباً مختاراً ثم يلخّصه ويُعبر عن محتواه ومغزاه شفاهةً وبلسانٍ عربيّ مُبين. وبإمكان الوسائط السمعبصرية أن تنقل هذه الأنشطة عبر شاشاتها حتى يفيد منها أكبر قطاع من المستهدفين.

ما يلي عرضٌ موجز لخصائص بعض الوسائط السمعبصرية:

#### أولاً: التلفزيون التعليمي:

« يُعتبر أحد الوسائط التكنولوجية السمعبصرية الحديثة، وهو أكثر وسائط الاتصال فاعليّةً في التأثير على سلوك الأفراد، وله القدرة على تخطي الحواجز الزمانية والمكانية »12..

أما أهميته في التعليم و أهم خصائصه، فهي كما يلي:

1. وسيط متعدّد الجوانب.

2. من أكثر الوسائط تمثيلاً للواقع بما يمثله من مادة مصوّرة بألوان طبيعية وصوت حقيقي.

3. تجاوز البُعدين - الزماني و المكاني.

4. تعدّد إمكاناته - حوار، مناقشة، تمثيل، تعليق.

5. قدرته على توظيف مختلف الوسائط التعليمية.

6. الإثارة والتشويق.

### ثانياً: الفيديو التعليمي:

1. سهولة الاستخدام.

2. مرونة استخدام البرامج.

3. توفّره بالمدارس.

4. إمكانية إعادة العروض أكثر من مرّة بما يناسب العينة المستهدفة.

### ثالثاً: السبورة الذكية:

أورد مزهر شعبان العانى 13 أهم خصائص وميزات السبورة الذكية

كما يلي :

1. إمكانية الكتابة وتصحيح العبارات والمعلومات آلياً.

2. إمكانية تحريك الكتابة والصور بالقلم أو باليد.

3. يمكن إدراج صور وفيديو من مواقع أخرى.

4. يمكن ربطها بالإنترنت، فيتم عرض كل ما يكتب عليها مع صوت

وصورة المعلم في حالة وجود كاميرا.

5. توفّر إمكانية تسجيل الدرس كاملاً، مع صوت المعلم، و إمكانية إعادة

عرضه في فصول أخرى.

## خاتمة:

عرض الباحث فيما تقدّم لظاهرة ضعف التلاميذ في التعبير الشفهي والتحريري، موضحاً الأهمية التربوية للتعبير، كما عرض لأسباب الظاهرة كما يراها بعض التربويين والمختصين، مضيفاً إليها تجربته الخاصة المستندة على خبرته في التدريس بمؤسسات التعليم العام والعالي، وملاحظته حول تنامي الظاهرة.

ولأن هدف الدراسة هو السعي لعلاج الظاهرة باستخدام الوسائط السمعبصرية، فقد قدّم الباحث نماذج من الوسائط التعليمية المتاحة في مدارس التعليم العام، وإمكانية الإفادة منها في علاج الظاهرة.

هذا وقد توصلَ الباحث لما يلي :

### أولاً: النتائج:

1. من أهم أسباب ضعف التلاميذ في التعبير الشفهي والتحريري :
  - أ. المنهاج الدراسي.
  - ب. البيئة المدرسية.
  - ج. البيئة الاجتماعية.
  - د. كفايات المعلم.
2. تتمثل الأهمية التربوية للتعبير الشفهي والتحريري في أنه الوسيلة الوحيدة التي تُمكن المتعلم من التواصل والتفاهم بغرض التعلم، هذا بجانب الأغراض التربوية الأخرى، والاجتماعية والثقافية.
3. من الوسائط السمعبصرية التي يُمكن الإفادة منها في علاج الظاهرة، والمتاحة في المدارس: التلفزيون التعليمي والفيديو التعليمي والسيبورة الذكية.

## ثانياً: التوصيات:

يوصي الباحث في ضوء نتائج الدراسة بما يلي:

1. تدريب معلمي اللغة العربية تدريباً نوعياً بما يكفي لرفع كفاياتهم التربوية، للتعامل الحصيف مع ظاهرة ضعف التلاميذ في التعبير.
2. تزويد المدارس بمعامل اللغة العربية والمكتبة المدرسية.
3. تخصيص حصة للمكتبة المدرسية في الجدول الدراسي اليومي، بمعدّل حصة واحدة أسبوعياً على الأقل.
4. توفير الوسائط السمعية بصرية بالمدارس، وتوجيه معلمي اللغة العربية لاستخدامها وتوظيفها ما أمكن.
5. تشجيع ورعاية الأنشطة المدرسية - الأدبية والثقافية خارج الجدول الدراسي، وحثّ التلاميذ على الإبداع الأدبي - الكتابي و الخطابي.

**الهوامش:**

- 1 - سعيدة عمر محمد ثانی (2018م)، المهارات الكتابية وتنميتها. مصر، القاهرة، الدار العالمية للنشر والتوزيع، ص 159
  - 2 - الطيب أحمد المصطفى حياتي (2017م)، أسس بناء الكتاب المدرسي وأهميته في إعداد البرامج التدريبية مع الإشارة لبعض أسباب تردّي مستوى اللغة العربية في السودان، مجلة دراسات تربوية، العدد 34 ص 32، المركز القومي للمناهج والبحث التربوي، السودان، بخت الرضا، ص 143.
  - 3 - الطيب حياتي، المرجع أعلاه، ص 144
  - 4 - محمد خضر عريف (2014م)، النهوض بالمهارات اللغوية الأساسية وقياسها في تعليم اللّغة العربية، المجلة العربية للدراسات اللغوية، العدد 35، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، السودان، الخرطوم، ص 36
  - 5 - سعيدة عمر مرجع سابق، ص 154
  - 6 - سعيدة عمر، مرجع سابق، ص 15
  - 7 - فهد خليل زايد و محمد صلاح رمان (2015 م)، الكتابة العربية وفنونها، الأردن، عمّان، دارالإعصار العلمى للنشر و التوزيع، ص 30
  - 8 - فهد زايد ومحمد رمان، مرجع سابق، ص 31
  - 9 - فهد زايد ومحمد رمان، مرجع سابق، ص 31
  - 10 - أمل كرم خليفة (2015 م)، تقنيات الوسائل التعليمية. ط2، مصر، كفر الدوّار، مكتبة بستان المعرفة، ص 22.
  - 11 - أمل كرم، مرجع سابق، ص 33
  - 12 - طارش بن غالب ( 2011 م )، الوسائل التعليمية وتقنيات التعليم. الأردن، عمّان، داراليازوري العالمية للنشر و التوزيع، ص 117
  - 13 - مزهر شعبان العانى (2015م)، التعليم الإلكتروني التفاعلى، قطر، الدوحة، مركز الكتاب الأكاديمي، ص 120
- المصادر والمراجع:**
- أولاً: الكتب:**
1. أمل كرم خليفة (2015م). تقنيات الوسائل التعليمية. ط2، مصر، كفر الدوّار، مكتبة بستان المعرفة.
  2. سعيدة عمر محمد ثانی (2018م). المهارات الكتابية وتنميتها. مصر، القاهرة، الدار العالمية للنشر والتوزيع.

3. طارش بن غالب ( 2011 م ). الوسائل التعليمية وتقنيات التعليم. الأردن، عمان، دار اليازوري العالمية للنشر و التوزيع.
4. فهد خليل زايد ومحمد صلاح رمان (2015م). الكتابة العربية وفنونها. الأردن، عمان، دارالإعصار العلمى للنشر والتوزيع.
5. مزهر شعبان العانى (2015م). التعليم الإلكتروني التفاعلى. قطر، الدوحة، مركز الكتاب الأكاديمي.

#### ثانياً: المجالات والدوريات:

1. الطيب أحمد المصطفى حياتى (2017 م). أسس بناء الكتاب المدرسي وأهميته في إعداد البرامج التدريبية مع الإشارة لبعض أسباب تردى مستوى اللغة العربية في السودان. مجلة دراسات تربوية، العدد 34 ص 132، المركز القومى للمناهج والبحث التربوي، السودان، بخت الرضا.
2. محمد خضر عريف (2014 م). النهوض بالمهارات اللغوية الأساسية وقياسها في تعليم اللُّغة العربية. المجلة العربية للدراسات اللغوية، العدد 35 ص 9، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، السودان، الخرطوم.



ردمد 1858 - 6031 - 1858 6031 - ISSN

طُبِعَ بِمَطْبَعَةِ أَجْوَادِ مِيدِيَا - الْخَرْطُومِ